الدكتور ابراهيم إمام



ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ شارع جواد حسني - القاهرة

وكالات الأنباء

✪

تأليف

الدكتور ابراهيم إمام

عميد كلية الاعلام - جامعة القاهرة

رئيس مجلس ادارة وكالة أنباء الشرق الأوسط

✪

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

١١ شارع جواد حسني / القاهرة

ص ب ١٣٠١ - ت ٧٦٠٥٢٣

مقـدمة الطبعـة الثانية

لا تزال المكتبة العربيـة بالرغم مما نشر من دراسـات اعلامية ، فقيرة فى ميدان وكالات الأنباء ، فمنذ ظهور الطبعـة الأولى من هذا الكتاب لم تصدر أية أبحاث أو دراسات أو كتب فى مجـال وكالات الأنبـاء ، وذلك بالرغم من التقـدم التقنى المذهل الذى طرأ على فنون نقل الأخبار وتحريرها وتوزيعها ، ولا سيما استخدام الحاسبات الالكترونية والأقمار الصناعية، حتى أصبحت وكالات الأنباء مؤسسات ضخمة يقوم نشاطها على أسس علمية معقدة أشد التعقيد .

وفى المجـال السـياسي والاجتماعى ، تكونت التكتلات الدوليـة الاقليمية كمنظمة حلف شـمال الأطلنطى ومنظمة حلف وارسو ، فكان لابد للدول النامية أن تلم شملها وتتجمع فى منظمات تعاونية تتضامن فيما بينها فنشأت تجمعات فى آسيا وأفريقيا والدول غير المنحازة، ولا شك أن وكالات الأنباء الناشئة قد جاءت صدى معبرا عن هذه التنظيمات الجديدة ، فنجد مثلا أن مجمع دول عدم الانحياز هو عبارة عن وكالة أنباء عالميـة تسعى لتحقيق التوازن والانصاف فى مجال التدفق الاعلامى ، وذلك بعد الدراسات العديدة التى حفلت بها منظمة اليونسكو الدولية عن الاحتكارات العالميـة فى ميدان الاعلام الدولى .

وقد كان للدول الاسلامية نصيب كبير من العناية بالتدفق الاعلامى بين الدول الاسلامية من ناحية وبين الدول الأخرى من ناحية أخرى ، فنشأت محاولات اقامة وكالة اسلامية دوليـة للأنباء .

لذلك جاءت هذه الطبعة الثانية من كتاب وكالات الأنباء منقحة ومزيدة لمتابعة ما جد من تطورات منذ صدور الطبعة الأولى .

وأرجو أن يسد هذا الكتاب بعض الفراغ في المكتبة الاعلامية العربية ، وأن يؤدى أغراضه العلمية والثقافية .

والله ولى التوفيق .

الجيزة ــ سبتمبر ١٩٨٤

ابراهيم امام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

« وكالة الأنباء » عبارة تتردد على الألسنة فى جميع بلاد العالم، وتنشرها الصحف فى بداية أخبارها كل يوم ، وتذيعهـا محطات الاذاعة والتليفزيون من خلال نشراتها الاخبارية التى تقدمها على فترات متقاربة للغاية. وقد ثبت أن أكثر من ٧٠٪ من مواد الصحف اليومية والمجـلات الأسبوعية تنقـل عن وكالات الأنباء العالميـة والمحلية ، وكذلك الوكالات المتخصصة فى نشر المقالات والأعمـدة والتحقيقات والصور وغيرها . ومع أن وكالات الأنباء هى المصدر الرئيسى للصحافة والينبوع الأول للنشرات الاخبارية والموضوعات التى تذيعها محطات الاذاعة والتليفزيون ، فانها لم تظفر بعناية الباحثين واهتمام الدارسين. فبالرغم من أن كتبا عديدة قد صدرت أخيرا عن الصحافة والصحف ، سـواء باللغة العربية أو باللغـات الأجنبية ، فان موضوع وكالات الأنباء لم يظفر حتى الآن بكتاب عربي واحد يعالج مشكلاتها، ويتناول آثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة بالبحث العميق . حقيقـة أنه توجد بعض الفصول القصيرة التى تتناول هـذا الموضوع ضمن الكتابة عن الصحافـة ومصادر الأخبار ، غير أنه لا يوجد كتاب عربي واحد ــ حتى الآن ــ يعالج هذا الموضوع الخطير معالجة كاملة متخصصة .

لقد ضبطت سلطات الأمن فى مصر حلقات للتجسس كانت تعمل من خلال بعض وكالات أجنبية ، نذكر منها على سبيل المثال قضية وكالة الأنباء الفرنسية سنة ١٩٥٦ ، وقضية وكالة أنباء رويتر التى صدر الحكم فيها على الجاسوس زارب(١) وزميله سوينبرن(٢) بالسجن سبع سنوات ، فهل هناك علاقة بين أجهزة المخابرات ووكالات الأنباء ؟ وهل هذا هو أحد الأسباب الذى يجعل الكتابة فى هذا الموضوع أمرا حساسا شائكا ؟ ومن هنا جاءت ندرة المؤلفات حول وكالات الأنباء ؟

ان من حقنا أن نتساءل : ما هى وكالات الأنباء ؟ وكيف نشأت ؟ ولمصلحة من تعمل ؟ وماهى مصادر تمويلها ؟ وما هى أهدافها ؟ وكيف تحصل على الأخبار ؟ وكيف تدار ؟ وما علاقتها بأنظمة الحكم المختلفة ؟ وهل للنظم السياسية المختلفة وكالات للأنباء تسايرها وتتمشى معها وتحقق أغراضها ؟ وما العلاقة بين الوكالات والصحف والاذاعات ومحطات التليفزيون . وما حقيقة الدور الذى تقوم به وكالات الدول الكبرى ؟ وما هى الصلة بينها وبين وكالات الدول الصغيرة والنامية ؟ وما أثر كل ذلك على الرأى العام ؟

ان المثقفين بوجه عام والاعلاميين بوجه خاص لا بد وأن يعرفوا الاجابات عن هذه الأسئلة . وهذا الكتاب الذى نقدمه للقارىء العربى عن وكالات الأنباء هو أول محاولة لدراسة الموضوع من زواياه المتعددة ، وخاصة بالنسبة لوكالات الأنباء التى تعمل لحساب الدول الكبرى ، وتمارس احتكارا خطيرا ، وضغطا شديدا على الصحف والمجلات والاذاعات المسموعة والمرئية ، وكذلك على وكالات الأنباء المحلية ، ومن ثم على الرأى العام العالمى .

---

(١) Zarp.

(٢) Swinburne.

فالموضوع له جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، لأن الاعلام عملية حضارية تقوم فيها وكالات الأنباء بدور خطير يكتنفه الغموض ، ولعل هذا الكتاب فى محاولته لتبديد هذا الغموض يعتبر فى نفس الوقت استكمالا منطقيا لكتاب آخر أصدرته هذا العام بعنوان « دراسات فى الفن الصحفى »(١) ، لما بين الصحافة ووكالات الأنباء من علاقات وثيقة ، وان كانت الوكالات هى المنبع الأول التى تغترف منه كافة أجهزة الاعلام أخبارها وموضوعاتها ٠

وقد شجعنى على تأليف هذا الكتاب اشتغالى بتدريس مادة الصحافة الأجنبية بجامعة القاهرة ، وكذلك تدريس مادة الفن الصحفى ووكالات الأنباء بنفس الجامعة أيضا ، كما شجعنى على ذلك ممارستى العمل فى وكالات الأنباء عدة سنوات ، تقلدت فى آخرها منصب رئيس مجلس ادارة وكالة أنباء الشرق الأوسط فى المدة من سنة ١٩٦٣ حتى سنة ١٩٦٦ ، وقد منحنى زملائى شرف رئاسة اتحاد وكالات الأنباء العربية، والأمانة العامة لاتحاد وكالات الأنباء الافريقية ، كما حضرت كافة المؤتمرات التى عقدت فى باريس وتونس والرباط وأكرا وياوندى وأديس أبابا وغيرها ، حيث لمست مشكلات وكالات الأنباء عن كثب ، كما اتيحت لى فرصة زيارة جميع وكالات الأنباء العالمية ، والكثير من الوكالات المحلية وخاصة العربية ٠

ويتناول الباب الأول من الكتاب نشأة الوكالات وتطورها منذ بدايتها كمكاتب أخبارية فى العصور الوسطى ، وبعد ذلك تأتى دراسة وكالات الأنباء العالمية وفقا لتاريخ ظهورها ، فنبدأ بوكالة

---

(١) ابراهيم امام ـ دراسات فى الفن الصحفى (١٩٧٢) ـ القاهرة٠

الأنباء الفرنسية ثم وكالة أنباء رويترز ، وبعد ذلك ندرس الوكالتين الأمريكيتين (الأسوشيتد برس واليونايتد برس انترناشيونال) ، ثم الوكالتين السوفييتيتين (تاس ونوفوستى) ، مع المقارنة بين النظامين الاعلاميين ، وأخيرا يأتى موضوع الوكالات المحلية مع الاهتمام بالوكالات العربية ، وخاصة وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية ·

وبعد ، فاننا اذ نقدم هذا الكتاب الذى يعالج موضوعا دقيقا حساسا يكتنفه الغموض ، نرجو أن نوفق الى سد بعض الفراغ فى مكتبتنا العربية الاعلامية ، التى أخذت تثير اهتمام المثقفين والعاملين فى ميادين السياسة والاقتصاد والاعلام والرأى العام · والله ولى التوفيق ؟

فبراير ١٩٧٢ دكتور ابراهيم امام

الباب الأول

نشأة وكالات الأنباء وتطورها

حيثما يوجد الانسان تولد الأخبار . فطبيعة الانسان الاجتماعية تحمل فى ثناياها طرزا خاصا من التفاعل الجوهرى الذى تنشأ عنه عدة ظواهر اجتماعية منها اللغة والفن والقانون والصحافة ، التى من أهم وظائفها نشر الأخبار ، لأنها تتصل بأهم الغرائز البشرية وأظهر صفة من صفات الانسان الاجتماعية وهى حب الاستطلاع لمعرفة الأنباء والاطمئنان الى البيئة داخليا وخارجيا ومن الثابت أن رغبات الفرد الأولية كالبحث عن الطعام والمأوى والجنس ترتبط برغبات أخرى اجتماعية كالتعرف على الآخرين ، ومراقبة البيئة ، وجمع المعلومات المفيدة عن الطبيعة والانسان والحيوان ، وهذه هى أهم سمة من سمات الانسانية التى تساعد الفرد على التكيف مع البيئة والانسجام مع غيره من الناس الذين يعيشون معه ، لأن هذا التكيف مع البيئة والانسجام مع الجماعة هو الدليل على الصحة النفسية والسلامة الاجتماعية .

والكائنات الحية ـ فى أبسط صورها ـ تعنى بجمع الأخبار وتعرف فنون الاستطلاع . ويكفى أن ننظر الى خلية النحل أو الى جماعة النمل لكى ندرك قيمة الأخبار فى انقاذ الأفراد والمجتمعات. ان هذه الحشرات البسيطة ترسل من بينها جماعات للكشف والاستطلاع ، وهى تدلى بمعلوماتها عن الفرص المتاحة للطعام

والرحيق ، كما أنها تبلغ عن الأخطار المحدقة بالخلية . حتى يستطيع الجميع أن يحافظوا على حياتهم ، ويتجنبوا الأخطار التى تهددهم .

فليس غريبا أن توجد فى المجتمع الانسانى ـ حتى فى صورته البدائية ـ بذور الوظيفة الاخبارية . فمن الثابت أن الانسان البدائى كان يحكى للداته أخبار مغامراته فى الصيد ، ويروى لأقرانه أنباء انتصاراته وخبراته المختلفة فى الحرب والدفاع عن النفس . حقيقة أنه كانْ ينقل أخباره عن بعد بقرع الطبول واشعال النار وغيرها من الوسائل البسيطة ، ولكن الوظيفة الاعلامية كامنة كالبذرة التى تتهيأ للنماء . وسرعان ما أخذت هذه المهمة الاعلامية فى التطور بتحسن وسائل المواصلات ورقى فنون الاتصال حتى بلغت أوجها فى النصف الثانى من القرن العشرين . وفى خلال هذا التطور ظهرت المؤسسات الاجتماعية المتخصصة فى نشر الأخبار واذاعتها على الناس ، ومن بين هذه المؤسسات وكالات الأنباء .

الصحافة والأخبار فى الحضارات القديمة :

وقد عرفت صناعة الرسائل الاخبارية ، واتقنت فنون استقاء الأنباء ، منذ الحضارات الشرقية القديمة ، وهناك أوراق مصرية من البردى الفرعونى يرجع تاريخها الى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ـ من اكتشاف فلندرز بترى(١) ـ وتتضح فيها الحاسة الصحفية لاثارة الميول عند القراء وجذب انتباههم وتحريك الشوق فيهم . وهناك أيضا لائحة منقوشة على واجهة معبد هيبيس تضمنت القانون الذى يجب أن يرعاه الحاكم والمحكوم ضمانا لحسن سير العدالة وايضاحا لقواعد جباية الأموال وانذارا بالعقاب عن الجرائم المتفشية وأهمها

(١) W. Flinders Petrie.

الرشوة والبلاغ الكاذب . كما عرفت قيمة الأخبار فى الحضارات البابلية والأشورية والصينية والهندية ، وتشهد المعابد والآثار على ذلك كله /

ويؤكد المؤرخ اليهودى فلافيوس جوزيف أنه كان للبابليين مؤرخون مكلفون بتسجيل الحوادث . شأنهم فى ذلك شأن الصحفيين فى العالم الحديث ، ولقد كانت لبابل فى العصور القديمة شهرة منف وطيبة فى مصر الفرعونية ، وبلغت أوج مجدها فى عهد الملك حمورابى سنة ٢١٠٠ قبل الميلاد والى هذا الملك تنسب أول صحيفة ظهرت فى العالم وهى مجموعة حمورابى للقوانين التى اعتبرها علماء تاريخ القانون أول صحيفة لتدوين القوانين ، مثل صحيفة الوقائع المصرية وغيرها من الصحف الرسمية التى تنشر القوانين واللوائح والقرارات . وتمتاز هذه القوانين بأنها كانت تصاغ فى أسلوب علمى يماثل أسلوب القوانين الحديثة ، وذلك بعكس قانون مانو الهندى وقانون الألواح الرومانية التى كانت تكتب بأسلوب شعرى . وقد جاءت مشتملة على الأحوال الشخصية والمعاملات والعقوبات والأحكام التجارية والحربية . وفى جميع الأحوال كانت خالية من الأحكام الدينية ، الا بعض الامتيازات المدنية للراهبات فى معاملاتهن .

ويرجع الفضل الى الأشوريين فى ابتداع الصحافة المصورة ، كانوا يرقمون حوادث انتصاراتهم وبجانب الرقم يصورون بالألوان صور الأسرى من ملوك ورعايا بينها مشاهد تصور التمثيل بهم ويعرضونها فى قصورهم وأبهائهم العامة وشوارعهم الكبرى ويلقى المرء نماذج من هذه الرقم المسورة فى متحفى بغداد ولندن ، هذا فضلا عن أن البلاغات الرسمية والتوجيهات العامة التى كانت تنشرها الحكومة على الناس ، وهذا ما اكتشفته مديرية الآثار فى بغداد

بآثار عقرقوف التى تحتوى على جـدول مقسم الى أشـهر السـنة البابلية ، وقد كتبت التوجيهات بالنسبة لكل يوم من أيام السنة ٠

وصدرت فى بكين أول جريدة سنة ٩١١ قبل الميلاد ، وكانت صحيفة رسمية تنشر الأوامر والبيانات وأخبار الدوائر الحكومية. وقد وصل عدد مشتركيها ـ كما يقول اميل بوفان ـ الى أكثر من عشرة آلاف مشترك ٠ والواقع أن الحضارة الصينية كان لها فضل السبق فى المخترعات الطباعية وفى صناعة الورق من البامبو الذى يشبه البردى عند قدماء المصريين . وفى القرن الأول للميلاد صنع الصينيون ورقا من ألياف النباتات وغيرها بطريقة الطحن والعجن وهى نفس الطرق الحديثة التى ابتـكرها الأوربيـون من أمثـال فوردرينييه(١) الفرنسى وغيره ٠ بل ان الصينيين قد صنعوا بعض الورق من الحرير ٠ أما اليابانيون فاستخدموا القطن والكتان وقشر الأرز لصناعة الورق ٠

ولا شك أن الحضارة اليونانية ـ وهى حضارة المدن ـ كانت مهيأة لتداول الأنباء اليومية ، ويحدثنا التاريخ أن الميادين العامة كانت تستخدم لتناقل الأخبار ٠ أما فى روما فقد أصدر يوليوس قيصر صحيفة « الوقائع اليومية(٢) » سنة ٥٩ قبل الميلاد ، وكانت تحتوى على الأخبار الرسمية والنشرات الحكومية ، كما كانت تعلق طول اليوم فى الميادين العامة ٠ ويبدو أن هـذه الوقائع الرسمية المنسوخة التى أخذت تنتشر فى روما كان يمكن الحصول على نسخ منها لقراءتها فى البيوت بعيدا عن الميادين العامة التى كانت تعلق فيها هذه النشرات عند مفترق الطرق ٠ فقد أشار جيوفينال الى أن

(١) Fourdrinier.

(٢) Acta Diurna.

سيدة كانت تمضى الصباح فى قراءة الجريدة فى بيتها (١) . وكان
ن يدتبون على أوراق البردى التى صنعها المصريون القدماء
فى القرن العشرين قبل الميلاد .

والواقع أن صناعة الورق الحديثة يرجع الفضل فى استنباطها الى العرب الذين نقلوها الى أوربا وخاصة عن طريق أسبانيا فى القرن الحادى عشر للميلاد، ومنها وصلت الى سائر الدول الأوربية. غير أن للعرب فضلا آخر هو علمانية الأنباء ، والخروج بها من قيود البابوية الى الحياة الواقعية . فقد كان الاعلام فى روما محصورا خلال عدة قرون فى الدوريات البابوية التى كان يصدرها البابا ويجمع فيها أحداث العام ويسجلها على سبورة بيضاء يعرضها فى داره حيث يتجمع المواطنون للاحاطة علما بما فيها . ثم تعلمت أوروبا من العرب أن الانسان حر فى علاقاته المختلفة، وأن الأسفار وتناقل الأخبار لا تتنافى مع الدين . ومن الثابت أن اتجاهات عصر النهضة ، عندما ثار الانسانيون على تعاليم الكنيسة بتقديسها للسلطة ، انما ترجع الى العرب وقد ترتب على ذلك نبذ الفلسفة المدرسية القائمة على اليقين الدينى ، وحلت محلها فلسفة عقلية علمانية ، أتاحت للفرد مجالا للتعبير الحر والبحث ، فكانت نهاية للسلطة المطلقة والاستبداد الفكرى وتحطيما للأصنام الثابتة .

وهكذا كانت هذه النزعة الى التفكير الفردى والميل الى المعرفة، والرغبة فى التجربة ، والتعطش الى اكتشاف المجهول لا الخوف منه، هى الأساس الذى قامت عليه الحضارة الأوروبية الحديثة ، فخرج المغامرون لارتياد البحار كما فعل العرب من قبل ، وأخذ الفلاسفة يفكرون فى مجالات جديدة مبتكرة ، وتمثلت معارضة الكنيسة فى

---

(١) La Grande Encyclopedie, Vol. 27, p. 884.

المذهب البروتستانتى الذى احتج على الطغيان مناديا بأن الانسان خليق بعبادة ربه دون وساطة أحد ، وقراءة الكتاب المقدس دون وصاية انسان ٠ وقد كان هذا الجو المشحون بالتوثب والانطلاق والتعطش الى المعرفة ، والرغبة فى نشر كل شىء ، هو الذى مهد الطريق لظهور الصحافة ، والاهتمام بالأنباء ٠

الرسائل المنسوخة والمكاتب الاخبارية :

وقد كانت مظاهر الصحافة الأوروبية الاولى فى العصور الوسطى فى شكل رسائل اخبارية منسوخة تروى أخبار الملوك ورجال الحاشية والنبلاء ، وكانت أهم وظائف هذه الرسائل المنسوخة اذاعة أنباء الحروب الأوروبية المختلفة وخاصة حرب المائة سنة التى نشبت سنة ١٣٣٧ بين الانجليز والفرنسيين ؟ وقد افتتحت هذه الحرب بمعركة بحرية قرب ميناء سلوى ، وكان النصر البحرى للانجليز سنة ١٣٤٠ ذا أهمية كبرى كأول نصر بحرى فى التاريخ الانجليزى ٠ وقد أمن هذا الانتصار الطريق التجارى بين انجلترا وبلجيكا حيث كانت مصانع الصوف هى السوق الكبرى لأهم صادرات انجلترا فى العصور الوسطى وهو الصوف الخام ٠ ثم وضح الفرق بين جيش انجلترا برماته الخفاف وأقواسه الطوال وفرسانه الشداد وبين الجيش الفرنسى بدروعه الثقيلة وأنظمته القليلة ، فكان طبيعيا أن ينتصر الانجليز فى مواقع كثيرة أهمها كريسى وبواتييه وأجنكورت ٠

وكانت وظيفة الرسائل الاخبارية المنسوخة أن تعلن للجمهور أنباء هذه الانتصارات الحربية المختلفة ، كما اهتم تجار الصوف بهذه الأخبار لخوفهم من سيطرة فرنسا على بلجيكا وهى السوق الهامة لصناعة الأنسجة الصوفية وتجارتها ٠ وقد بلغ من اهتمام

الملوك بأخبار حرب المائة سنة أن الرسائل الاخبارية المنسوخة التى أذاعت انتصارات الجيوش كانت تعتبر رسائل ملكية تحتكرها الحكومة تحت سيطرة التاج • وهكذا نجد أن البذور الاولى للصحافة الأخبارية كانت تتناول موضوعات السياسة والاقتصاد والحرب •

وكما احتكرت الحكومة الانجليزية تصدير الصوف ، وفرضت ضرائب على التجار لكى تزيد دخلها وتغطى نفقات الحرب ، فانها احتكرت الرسائل الاخبارية أيضا حتى تكون فى يد الملك سلطة الاعلام وحق التصرف فيما ينبغى أن يعرفه الناس ومالا ينبغى أن يعرفوه • ولعل هذا الأمر أشبه شىء بما يحدث من رقابة على الصحافة الحديثة فى أوقات الحروب •

ومع أن الملوك كانوا يصرون على أن تكون هذه الرسائل الاخبارية مشمولة بالرعاية الملكية ، فان بعض الكتاب كانوا يقومون باعداد الرسائل خفية ولكن هذا الطريق غير المشروع كان مليئا بالأشواك لأنه أثار غضب الملوك حتى بعد انتهاء حرب المائة سنة ، ففى عهد الملك هنرى الثامن (١٥٠٩ ــ ١٥٤٧) صدر أمر ملكى بتحريم رسائل اخبارية تروى انتصارات الملك فى اسكتلندة ، وجاء فى الأمر الملكى أن جميع الرسائل الاخبارية التى صدرت بدون اذن من الملك لا بد أن تجمع وتحرق فى ظرف أربع وعشرين ساعة والا تعرض أصحابها لعقوبة السجن • ولم يسمح لأفراد الشعب الانجليزى بنشر الرسائل الاخبارية بصفة رسمية الا فى نهاية عصر جيمس الاول فى أوائل القرن السابع عشر •

وفى عهد الملكة الياصابات (١٥٥٨ ــ ١٦٠٣) ، وهو أزهى عصور التاريخ الانجليزى الذى ظهرت فيه عبقرية شكسبير الأدبية وفلسفة بيكون العالمية ، كما انتصرت فيه على أسبانيا

ودمرت أسطولها الشهير بالأرمادا فى يوليو سنة ١٥٥٨ ، وتوسعت التجارة الانجليزية فى القارتين الأوربية والامريكية وفى الشرق أيضا بعد انشاء شركات التجارة المختلفة وأهمها شركة الهند الشرقية ، نجد أن الرسائل الاخبارية قد أصبحت مهنة مستقلة قائمة بنفسها لتسجيل الأمجاد الانجليزية والانتصارات الحربية حتى أن الايرل أوف اسكس كان يوظف كتابا متخصصين فى جمع الأنباء وتحريرها • وهكذا اختلطت الوظيفة الاخبارية بالدعاية منذ أمد بعيد •

وظلت الرسالة الاخبارية المنسوخة أهم وسائل الاعلام الأوروبية فى القرون الوسطى وكانت مدينة البندقية تعج بالمكاتب الاخبارية التى يشرف عليها كتاب الأخبار أو المخبرون كما انتشر هذا النشاط الاخبارى فى سائر العواصم الأوروبية ، وكان كاتب الأخبار يستأجر العبيد أو يشتريهم ويملى عليهم ما جمعه من أخبار ليدونوها ويمدوها للبيع والتوزيع على المشتركين، وخاصة بالنسبة لرسائل الأخبار العامة ، التى كانت تختلف عن رسائل المعلومات الخاصة الموجهة الى كبار رجال السياسة والاقتصاد•

على أن أشهر هؤلاء المخبرين جميعا اخوان فوجرز(١) الذين اتخذوا من مدينة أوجزبرج(٢) مقرا لهم وكانت لهم مكاتب اخبارية فرعية فى لندن وباريس وغيرهما من العواصم الأوروبية ومدنها الكبرى • وكان اخوان فوجرز(٣) متخصصين فى أعمال المصارف فنشروا الى جانب الأخبار السياسية والحربية والاجتماعية أخبارا تجارية ومالية ذات قيمة كبيرة للتجارة ورجال المال • والحق أن

---

(١) Fuggers brothers.

(٢) Augsburg.

(٣) ومنهم أيضا اخوان Taxis, Thurn, Medici

جهود اخوان فوجرز فى القرن السادس عشر تنم عن جرأة بالغة ودقة فائقة حتى أصبحت رسائلهم من الأسس الجوهرية التى لا يستغنى عنها رجال السياسة والحكم والمال . ولا يزال بعض هذه الرسائل المنسوخة الهامة محفوظا بالمكتبة القومية فى فيينا ، وهكذا نرى ان المكاتب الاخبارية الاولى التى ظهرت فى القرون الوسطى لخدمة الطبقة البرجوازية التجارية الناشئة ، وتزويدها بالأخبار الاقتصادية والمالية ، وكذلك مد الطبقة الحاكمة بالمعلومات السياسية والعسكرية ، كانت فى حقيقة الأمر بمثابة وكالات أنباء على نطاق ضيق ، ولكنه خطير .

وقد يبدو غريبا أن يستمر نشاط الرسائل المنسوخة حتى مطلع القرن الثامن عشر ، أى بعد اختراع الطباعة بثلاثة قرون ، ولكن الحقيقة أن هذه الرسائل كانت تسد فراغا كبيرا لا يمكن أن تسده الصحف المطبوعة ، وذلك لأن القيود الحكومية والرقابة الصحفية وقوانين النشر المختلفة كانت تنصب على المطبوعات فقط ، مما جعل لهذه الرسائل المنسوخة أهمية كبرى وخاصة عندما تكون الحكومة شديدة فى رقابتها أو عندما تصادر المطبوعات أو تعطل .

ولا شك أن انشاء الخدمات البريدية قد ساعد على رواج الرسائل الاخبارية المنسوخة ثم الصحف فيما بعد . غير أننا ينبغى أن نبادر بالاشارة الى أن هذه الرسائل المنسوخة لم تكن ذات صبغة شعبية كما يتوهم بعض المؤرخين ، والحقيقة أنها كانت مقصورة على طبقة بعينها من رجال البلاط والسياسة وأثرياء التجار وذلك لارتفاع قيمة الاشتراك فيها حتى بلغ حوالى خمسة جنيهات سنويا وهو ما يقرب من مائة جنيه بعملتنا الحديثة ، ومن ناحية أخرى كان عدد المتعلمين أنفسهم قليلا ، فضلا عن أن الخطابات

المنسوخة لا يمكن انتشارها على نطاق واسع لقلة عدد ما ينتج منها نظرا لصعوبة عملية النسخ وبطئها ٠

ومع أن نشأة الخدمات البريدية كان نعمة على الصحافة الاخبارية ، الا أنه كان فى نفس الوقت نقمة أيضا ٠ فلقد دأب المسئولون فى البريد على اعتبار الأخبار الخارجية احتكارا لهم يتصرفون فيها كما يشاءون ويثرون من تجارتها ٠ ومثال ذلك أن أصحاب الصحف كانوا يدفعون لمديرى البريد اشتراكات سنوية يبلغ الاشتراك مائة جنيه سنويا نظير ترجمة ملخصة للصحف الواردة من الخارج ٠ والأنكى من ذلك أن المسئولين فى هيئات البريد كانوا يرتشون نظير تفضيل بعض الصحف على غيرها ، واعطائها الأولوية فى تسلم الأخبار ٠

ومن الطريف أن جون والتر رئيس تحرير جريدة التيمس الانجليزية قد لجأ الى تعيين مراسلين لصحيفته فى الخارج لكى يحبط مؤامرات رجال البريد(١) وكان يشترك فى النشرة المترجمة للمراجعة فقط ٠ غير أن رجال البريد الذين ساءهم ذلك التعدى على احتكارهم للأخبار ، كانوا يستولون على الرسائل الواردة من مراسلى التيمس ، ويقومون بفضها والاطلاع على ما فيها ، وكثيرا ما كانوا يعمدون الى تأخير وصولها للجريدة ٠ وعندما هاجمت الصحيفة أعمال رجال البريد وكشفت ألاعيبهم سنة ١٨٠٧ ، رفع الأمر الى القضاء ، وحكم على الصحيفة بغرامة قدرها مائتا جنيه تعويضا واعتذارا للبريد ، غير أن التيمس عاودت هجومها مرة أخرى بعد ثلاثة أسابيع ، وعندما عرض الأمر على النائب العام ، أمر بحفظ التحقيق ، وعدم تقديم الصحيفة للمحاكمة ٠

---

(١) H. Herd, The March of Journalism (1952) p. 129.

وفى الولايات المتحدة الامريكية كانت أول صحيفة تصدر فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٦٩٠ هى « الوقائع العامة الخارجية والمحلية »(١) ولكنها لم تستطع أن تستمر بعد العدد الاول ، لأنها طبعت دون أدنى علم أو موافقة من السلطة ٠ وعندما قام مدير البريد فى بوسطن باصدار صحيفة بوسطن نيوزلتر فى ٢٤ ابريل سنة ١٧٠٤ — أى بعد مرور ١٤ عاما — استمرت الصحيفة ٧٢ عاما ، وكانت تستقى أخبارها من الصحف اللندنية الواردة مع السفن القادمة من بريطانيا ٠ ويبدو أن اصدار الصحف كان مرتبطا بمدير البريد ، حتى أنه عندما فقد جون كامبل صاحب صحيفة نيوزلتر سابقة الذكر منصبه ، ادعى خلفه وليم بروكر أن ملكية الصحيفة يجب أن تعود لمن يشغل منصب مدير البريد ، وعندما رفض كامبل التخلى عن الجريدة ، استاء بروكر فأصدر فى ٣١ ديسمبر سنة ١٧١٩ صحيفة اخبارية أسبوعية منافسة باسم بوسطن جازيت ٠

وفى العام التالى أعفى بروكر من منصبه كمدير للبريد فقام بتسليم صحيفته الى خلفه ، ايمانا منه بالمبدأ الذى أعلنه من قبل وهو أن مدير البريد هو صاحب الحق فى اصدار الصحيفة الاخبارية ٠ وهكذا توطد التقليد الذى يقضى بأن يكون مدير البريد هو صاحب الحق فى نشر هذه الصحيفة ، ولم يكن غريبا أن يتعاقب على اصدارها خمسة من مديرى البريد على التوالى ابتداء من بروكر ٠

ومع ذلك ، فمما لا شك فيه أن انتظام الخدمات البريدية كان سببا مباشرا فى تطور الصحافة الاخبارية وسعة انتشارها ٠ وقد

---

(١) Public Occnrences both Foreign and Domestic.

كانت مواعيد صدور الصحف تتفق مع مواعيد توزيع البريد ، ويلاحظ أن سبب انتشار الصحف الصادرة ثلاث مرات أسبوعيا يرجع الى أن الخدمات البريدية كانت ثلاث مرات فى الاسبوع . ولم يكن من الميسور اصدار الصحافة اليومية لولا تقدم الخدمات البريدية . ومن الطريف أن معظم الصحف كانت تحمل اسم البريد مثل البريد الطائر(١) والرسول الاسبوعى(٢) والبريد المسائى(٣) والبريد الليلى(٤) وغيرها . كما أن ظهور الصحافة المسائية والصحافة الاقليمية يرجع أيضا الى تطور الخدمات البريدية .

البريد والتلغراف والتليفون :

على أن تقدم الخدمات البريدية يرجع هو الآخر الى تقدم وسائل النقل وطرق المواصلات ، مما يسر توزيع الصحف بسرعة وانتظام . فبدلا من نقل الصحف والكتب على ظهور الدواب كما كان يحدث فى العصور الوسطى ، تحسنت الطرق ، ومهدت الشوارع ، وسيرت المركبات التى كانت تجرها الخيول السريعة ، ثم جاءت البواخر والسكك الحديدية والسيارات فأحدثت ثورة فى الاتصال ، ودخلت الصحافة طورا جديدا ، اعتمدت فيه على الأخبار الحديثة السريعة ، وأصبح السبق الصحفى من أهم معايير الصحافة الناجحة ، وعندما بلغت المجتمعات أوج تحضرها ، اعترفت بقيمة الصحافة ودورها فى النقد ، وضرورتها للديمقراطية ، ومنحت الصحفيين حقوقا وامتيازات لتسهيل الحصول على الأخبار ، فكان ذلك تأكيدا لحق الانسان فى المعرفة .

---

(١) Flying Post.

(٢) Weekly Messenger.

(٣) Evening Post.

(٤) Night Post (1711).

وقد تطورت الخدمات الصحفية فى النصف الاول من القرن التاسع عشر لدرجة أنها كانت تتفوق على الخـدمات الحـكومية ، فوكالة رويترز البريطانية مثلا كانت تحصل على المعلومات والأخبار قبل أن تحصل عليها الحكومة • وجريدة جـورنال أوف كومرس الامريكية كانت تسبق الحكومة الامريكية فى معرفة الأنباء ونقلها بين بوسطن ونيويورك وهى مسافة تبلغ ٢٢٧ ميلا ، ولكنها كانت تحتاج الى عشرين ساعة من المواصلات فى ذلك الزمان •

ومن ناحيـة أخرى تفتقت أذهان الصحفيين عن حيل عديدة للتغلب على عقبات المسافات البعيدة • ففى سنة ١٨٣٧ نجد أن الصحفى الامريكى كريج(١) قـد نظم أسرابا من الحمـام يزيد عددها على الخمسمائة لنقل الرسائل بين مدن فيلادلفيا ووشـنطن ونيويورك وبوسطن ، ومن الطريف أنه أعد مهبطا لها فوق سطح مبنى صحيفة نيويورك صن • ويذكرنا ذلك بالصحف الحديثة فى أوروبا وأمريكا التى يقام على أسطح مبانيها مهـابط لطـائرات الهـليوكبتر التى يستخدمها منـدوبو المسـتقبل فى أعمـالهم الصحفية • وقـد كانت وكالات الأنبـاء فى أول عهـود انشائها تستخدم الحمام الزاجل لنقل أخبارها •

« ثم جاء اختراع التلغراف سنة ١٨٣٧ بفضل مورس(٢) فكان بمثابة ثورة فى عالم الاتصال غيرت وجه الفن الصحفى ، وجعلت تطور وكالات الأنباء حقيقة مؤكدة • وما لبث كبار الصحفيين أن أدركوا خطـورة التلغراف وأثره على نقل الأخبـار » فيقـول جيمس جوردون بينيت(٣) فى مقال له نشر سنة ١٨٤٤ بصحيفة نيويورك هيرالد(٤) : « ان نقل الأخبار بالتلغراف سوف يوقظ

---

(١) D. H. Craig.

(٢) S. F. B. Morse.

(٣) James Gordon Bennet.

(٤) New York Herald.

الجماهير ويجعلها أكثر اهتماما بالمسائل العامة ، وسوف يصبح للمفكرين والفلاسفة والمثقفين والصحفيين جماهير أكثر عددا وأشد اثارة وأعمق تفكيرا عن أى وقت مضى » . ولا شك أن نقل المعلومات بطريقة تلغى عامل الزمن قد خلق ثورة فى نفوس الصحفيين والجماهير على السواء . وشتان بين قارىء الأمس الذى كان يعتمد على البريد البطىء فى تلقى معلوماته وقارىء اليوم الذى لا يستطيع أن ينتظر أكثر من بضع ثوان لتوافيه الاذاعات وأجهزة التليفزيون بآخر الأخبار المصورة ، بل انه يعيش الأحداث لحظة وقوعها ، وذلك بفضل التقدم المذهل فى فنون الاتصال .

« ولم يكد يبدأ استخدام التلغراف فى انجلترا سنة ١٨٤٥ ، حتى بدأت الأسلاك تمتد بين سائر المدن . وفى سنة ١٨٥١ ارتبطت فرنسا بانجلترا تلغرافيا عن طريق خط من الأسلاك الممتدة تحت سطح البحر بين كيب جرينيه ودوفر . وما وافت سنة ١٨٥٢ حتى كان طول الخطوط التلغرافية فى الولايات المتحدة الأمريكية ١٦٧٣٥ ميلا ، ارتفعت الى ٥٠٠٠٠ ميل سنة ١٨٦٠ ، ووصلت الى ١١٠٧٢٧ ميلا سنة ١٨٨٠ »

وفى سنة ١٨٥٨ ارتبطت أوروبا بأمريكا عن طريق خط من الأسلاك الممتدة تحت مياه المحيط الأطلسى بفضل سيبروس فيلد(١)، غير أن هذا الخط قد انقطع عن العمل بعد الرسالة رقم ٢٦٩ . ومن الطريف أن أول برقية أذيعت على هذا الخط كانت رسالة تهنئة موجهة من الملكة فكتوريا الى الرئيس الأمريكى بوكنان ، الذى لم يصدق الأمر وظن أن المسألة مجرد خدعة ، ولكنه رد على الملكة عندما أكد له المسئولون أن الاختراع كان حقيقة واقعة .

---

(١) F. Cyprun Field.

وقد أعيد مد هذا الخط العابر للمحيط الأطلسى فى ٢٨ يولية سنة ١٨٦٦ ، واستخدمته الصحافة على نطاق واسع • وفى العقد السابع من القرن الماضى ، تم الاتصال برا وبحرا بين بريطانيا والهند واليابان ، كما امتدت الخطوط بين أمريكا وجزر الهند الغربية من جهة وبينها وبين أمريكا الجنوبية من جهة أخرى • ولما كانت تكاليف انشاء هذه الخطوط باهظة للغاية ، فقد استلزم الأمر تضافر الجهود لانشاء الاتحادات والوكالات التى تستطيع أن تغطى تلك المصروفات • فيوجد فى عالم اليوم أكثر من ٧ مليون ميل من الخطوط التلغرافية ، ولكنها موزعة بطريقة غير متساوية ، اذ يخص أمريكا الشمالية ٤٠٪ من تلك الخطوط ، ويخص أوروبا ٤٠٪ أيضا ، أما بقية الخطوط فهى موزعة على القارات الأخرى بحيث لا يوجد فى آسيا وأفريقيا الا أقل القليل •

ومعظم هذه الخطوط تمتلكها الشركات والحكومات ، ولا بد أن يتم الاتصال عن طريق عواصم الدول الكبرى • ومن الغريب أن أى اتصال بين عاصمة دولة كانت تقع تحت حكم الاستعمار البريطانى ، وعاصمة دولة أخرى كانت تقع تحت حكم الاستعمار الفرنسى ، لا بد وأن يتم عن طريق لندن وباريس ، حتى لو كانت المسافة بينهما لا تزيد عن بضعة أميال . وما يزال هذا الحال مستمرا حتى يومنا هذا •

«وفى سنة ١٨٧٥ اخترع ألكسندر جراهام بيل التليفون ، فكان بمثابة دفعة قوية وقفزة رائعة للفن الصحفى بوجه عام ، ولنقل الأخبار عن طريق الوكالات بوجه خاص . ومنذ سنة ١٩٢٧ أصبح التليفون عاملا هاما ورئيسيا لنقل الأخبار عبر المسافات الطويلة عن طريق دوائر تربط القارات سلكيا ولاسلكيا •

وأصبحت المدن البعيدة تتصل ببعضها البعض فى دقائق معدودات بعد أن كان الاتصال بينها يستغرق شهورا وسنوات ، وخاصة بعد أن امتدت خطوط المواصلات عبر المحيط الهادى ٠

الراديو ووكالات الأنباء :

ويعتبر اختراع الراديو أخطر ثورة فى تاريخ الاتصال بين القارات ، وقد انعكس أثره بشكل واضح على الوكالات ٠ ويرجع اختراع الراديو الى ماركونى الذى تمكن فى سنة ١٨٩٦ من استخدام هذه الوسيلة اللاسلكية للاتصال لأول مرة فى التاريخ ، وتلاه آخرون فى تطوير استخدامه مثل فيسندن الذى تمكن سنة ١٩٠٦ من بث رسائل لاسلكية مختصرة الى السفن فى البحار مصحوبة ببعض القطع الموسيقية مع التهنئة بحلول عيد الميلاد ٠

وقد استخدم التليفون اللاسلكى فى أول الأمر بطريقة بدائية جدا ، الا أنه أخذ فى التطور حتى أصبح حقيقة واقعة عمليا مع بداية سنة ١٩٠٠ ، عندما أمكن صنع جهاز ارسال تليفونى لاسلكى ، كما أمكن بناء أول محطة اذاعة قرب نيويورك ليلة عيد الميلاد سنة ١٩٠٦ استمع اليها عدد كبير من الناس الذين زودوا بأجهزة استقبال ٠ ولقد كان لهذه المحاولة أهميتها رغم أن الموسيقى كانت غير واضحة عند استقبالها لدرجة يستحيل معها تمييز الآلات الموسيقية المستخدمة عن بعضها أو الآلات الموسيقية عن الصوت الانسانى فى الأغنية المذاعة ٠

ولقد كان اختراع صمام الراديو الخطوة التالية الهامة فى تطوير أجهزة الارسال اللاسلكية والحصول على نتائج باهرة ٠ وتلا ذلك قيام دى فورست باستخدام برج ايفل فى باريس سنة

١٩٠٨ للارسال الاذاعى • وقد جذبت محـاولاته التالية أنظار الجمـاهير حتى عـام ١٩١٧ عنـدما اشتركت الولايات المتحـدة الأمريكية فى الحرب العالمية الأولى • وشارك دى فورست وآخرون فى تطوير الاذاعة الصوتية وتحسينها نذكر منهم أمير موناكو الذى سمعت اذاعته التى كان يرسلها من يخته سنة ١٩١٣ ، الا أن هذه الاذاعات كانت صعبة الالتقاط فى بداية الأمر •

وكان نشوب الحرب العالمية الأولى سببا فى تعطيل تقدم الاذاعة الى حد كبير فقـد قامت الحكومات بالسـيطرة على جميع المحطات اللاسلكية ، كما منعت محطات الهواة ولم يتعد تقدم الاذاعة خلال هذه الفترة المجال الحربى • وعندما قطعت الخطوط التلغرافية والتليفونية أصبح من الضرورى استخدام وسيلة تبادلية عن طريق الراديو •

وقد أدرك الحلفاء قيمة الأخبار كقوة معنوية واعلامية فى الحرب ، ولم يكن الألمان أقل منهم ادراكا لخطورتها • فمنذ بداية القرن العشرين ، قسمت الدول الكبرى العالم الى ثلاث منـاطق رئيسية اعلاميا ، تحتكر كل دولة من الدول الكبرى منطقة معينة منها • وعلى هذا الأساس قامت ألمانيا ـ عن طريق وكالة ولف الصحفية ـ باحتكار المجال الاعلامى فى النمسا والمجر والدول الاسكندنافية وألمانيـا ، كما احتكرت بريطانيـا أخبـار جميع امبراطوريتها وبلاد الشرق الأقصى ، وكانت وكالة أنباء رويترز تنهض بأعبـاء تلك المنـاطق الشاسعة • أما وكالة أنباء هافاس الفرنسية فكانت تهيمن على المنطقة الثالثة التى تشمل فرنسـا ومستعمراتها وأمريكا الجنوبية • وهذا بطبيعة الحال بالاضافة الى الولايات المتحدة الأمريكية التى نزعت فى بداية الأمر الى التخصص فى أخبار الأمريكتين •

وقد فطنت هذه القوى الأوروبية المتحاربة منذ البداية الى أن القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية لا بد وأن تساندها قوة اعلامية • وما كادت تنشب الحرب العالمية الاولى حتى اندلعت معها فى نفس الوقت حرب صحفية واعلامية ، فسارعت بريطانيا الى قطع خط الاتصال السلكى الكبير الممتد تحت مياه المحيط الأطلسى بين مدينة ايمدن الألمانية ومدينة نيويورك الأمريكية ، وبذلك انقطعت الصلة تماما بين ألمانيا والعالم الخارجى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية • وبعزل ألمانيا عن العالم ، أصبحت لندن هى قلب العالم الخارجى الذى ينبض بالأخبار والمعلومات ، مما ترتب عليه حرمان ألمانيا من عرض وجهة نظرها ، فى حين أن الجو قد خلا تماما للحلفاء •

وفى دراسة اعلامية قام بها فوستر ، ثبت من خلال تحليل مضمون صحيفة نيويورك تيمس الأمريكية فى المدة ما بين الانذار النمساوى حتى اعلان أمريكا الحرب فى أبريل سنة ١٩١٧ ، أن ٧٠٪ من الأنباء كانت ترد من مصادر الحلفاء ، بينما لم تزد نسبة الأنباء الواردة من مصادر ألمانية عن ٤٪ ، ولم ترتفع هذه النسبة فى أى وقت من الأوقات عن ١٢٪ . ولا شك أن ذلك قد أضر بألمانيا أبلغ الضرر •

«غير أن الألمان لم يقفوا مكتوفى الأيدى . فبحلول سنة ١٩١٥، كانت محطة ناون الاذاعية الضخمة تذيع أخبار ألمانيا على شتى بقاع العالم الممتدة من ايران شرقا حتى المكسيك غربا • ولا شك أن هذه المحطة كانت بديلا وتعويضا ناجحا عن قطع خط الاتصال الرئيسى العابر للمحيط الأطلسى بين ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية • وكانت هذه المحطة تعمل أربعا وعشرين ساعة كاملة

يوميا ، وتوزع نشراتهـا على الصحف وأجهزة الاعـلام والهواة والعملاء ، ونافست بذلك وكالات الأنبـاء التابعة لدول الحلفاء والتى كانت تبيع نشراتها باشتراكات باهظة .

وكالة الأنباء والمجتمع :

ولا شك أن تطور الراديو يرتبط ارتباطا وثيقـا بعمليات جمع الأخبار وتوزيعهـا . فقـد أصبح من الممكن للصحفيين أن يتصلوا بوكالات الأنباء مهما بعدت المسافات ، وفى نفس الوقت يستطيع الارسال الاذاعى أن يبث النشرات الاخبارية عدة مرات فى اليوم الواحد ، فضلا عن استخدام سيارات اللاسلكى لتغطية الأخبار ونقل الصور من مواقع الأحداث فور وقوعهـا . بل ان وكالات الأنباء تقدم خدماتها على شرائط مثقبة تغذى فى آلات جمع الحروف لتتم عمليات الطبع مباشرة . وسنرى فيما بعد أن هذا التقدم التكنولوجى له آثاره البعيدة على الاحتكار الاعلامى والتوجيه السياسى من عواصم العالم الكبرى حيث توجد مراكز وكالات الأنباء الرئيسية .

والواقع أن التقدم العلمى والتكنولوجى هو الذى أحدث ثورة هائلة فى عالم الصحافة وحولها من أوضاعها التقليدية القديمة الى حالتها الراهنة التى تقوم على الحركة والمرونة والسبق ، اعتمادا على الخبر كعنصر أساسى فى الصحيفة الحديثة . وعندما تحـول الاهتمام من المقال الى الخبر ، بفضل وكالات الأنباء ، ارتفعت أرقام توزيع الصحف ارتفاعا كبيرا ، ولم تصبح مصادر الأخبار الرئيسية هى المقاهى أو الحانات والأسواق والبورصة ، بل انها تعددت لتشمل المحاكم والوزارات والمؤسسات والشركات والمنظمات الدولية ، ولم تقتصر الأخبار على الجوانب السياسية والاقتصادية ،

وانما تجاوزتهـا الى الأخبـار المحليـة والاجتماعيـة والثقافية والانسانية الطريفة ·

وقد أدرك وتيلوريد(١) رئيس تحـرير نيويورك تربيون سنة ١٨٧٥ أن الخبر هو الشريان الحيوى للصحيفة الحديثة ، ثم جاءت الصحافة زهيدة الثمن مثل صحيفة لابرس التى أصـدرها اميل دى جير اردان فى فرنسا سنة ١٨٣٦ ، وصحيفة مورننج بوست التى أصدرها هوراس جريلى فى أمريكا سنة ١٨٣٣ ، فضلا عن عـدد كبير من الصحف البريطانيـة كديلى تلجراف وديلى نيوز ومورننج بوست وديلى كرونكل التى أخذت فى الظهور بعد الغاء الضرائب على الصحف ابتـداء من سنة ١٨٥٥ ، وقد اعتمـدت جميعها على الخبر كركن أساسى من أركان الصحيفة ·

وما لبث الصحفيون أن أدركوا قيمة أخبار الحوادث والأخبار الرياضية التى كانت تنقل عن طريق التلغراف والتليفون لسد احتياجات الطبقة القـارئة الجديدة التى اتسعت اتسـاعا ضخما بانتشار الصحافة زهيـدة الثمن · وهكذا أصبحت الأخبـار هى السلعة الرئيسية التى تبيعها الصحف للقراء ، ولكنها سلعة غالية الثمن ، باهظة التكاليف ، ومن هنا نشأت ضرورة التعـاون بين الصحف لمواجهة هذه النفقات بطريقة تعاونية ، وهو الأساس الذى بنيت عليه فكرة وكالة الأنبـاء الحديثة ــ على حـد قول فكتور روزواتر(٢) · وأصبحت مهمة وكالة الأنباء هى تمثيل الصحف أو العمل بالنيابة عنها فى أكبر عـدد ممكن من المدن والعواصم

---

(١) Whitelaw Reid.

(٢) Victor Rosewater History of Cooperative News Gathering in the U. S. A

لراقبة الأحداث وجمع الأخبار من معظم أنحاء العالم ونقلها الى الصحف المشتركة فى نشراتها •

فالقارىء يشترى الصحيفة بقرش ونصف والمجلة بخمسة قروش ، ولكن جمع الأخبار ونقلها يتكلف ملايين الجنيهات ، ولا يمكن تغطية هذه النفقات الا بتعدد المشتركين من صحف ومجلات واذاعات وهيئات مختلفة . وتقوم الوكالة بتغطية الأخبار الأساسية والحقائق الرئيسية وتبيعها للصحف والهيئات الاعلامية التى تقوم بتحريرها واخراجها على النحو الذى يتفق مع سياستها. فما أشبه وكالة الأنباء بالمطحن الذى ينتج الدقيق ويبيعه لتاجر التجزئة وهو الصحيفة أو الاذاعة ، وهذه الأخيرة تقوم بتحويل هذا الدقيق الى فطائر أو حلوى وفقا لاحتياجات مستهلكيها من جماهير القراء • وفضلا عن الأخبار تقوم الوكالات باعداد الصور والتحقيقات والمقالات ، كما توجد وكالات متخصصة فى موضوعات معينة كالعلوم أو الدين مثلا •

غير أن الاتجاه الاحتكارى سرعان ما يسيطر على الاتحادات والوكالات ، وتتحول الوحدات التعاونية الصغيرة الى وكالات ضخمة تصل ميزانياتها الى ملايين الجنيهات ، كما أنها ترتبط سياسيا بالحكومات واقتصاديا بالمنظمات المالية ذات الارتباط الوثيق بالمصارف العالمية •

فوكالة الأنباء اتخذت اسمها من طبيعة عملها كوكيل أو ممثل للصحف ، وهى بمثابة جمعية تعاونية تشترك فيها الصحف لجمع الأخبار لأن كل صحيفة بمفردها لا تستطيع أن تقوم بهذا العمل ، ولا بد من المشاركة فى النفقات •

وقد أوضح لنا وستلى وماكلين(١) أن نقل الأحداث فى المجتمع المتحضر وظيفة رئيسية مستقلة ، فالمجتمع بحاجة دائمة الى نقل الرسائل الاعلامية ومعرفتها لكى يكيف نفسه مع الظروف المحيطة به ، ولضمان الوصول الى حلول للمشكلات التى يتعرض لها واشباع الاحتياجات التى يواجهها . فالصحفى يعمل كوكيل أو ممثل للجمهور لاختيار المعلومات التى تهم هذا الجمهور وينقلها اليه . وكلما اتسع نطاق الأحداث تعذر على الصحفى المحلى أن يغطيها ، وهكذا كانت ضرورة الالتجاء الى وكيل آخر يعمل فى محيط أكثر اتساعا ومن هنا جاءت نشأة وكالة الأنباء .

ومن الثابت أن أى نظام اجتماعى حديث يعمل فى ظروف عالمية لا يمكن التنصل منها أو الابتعاد عنها ، كما أن هذا النظام الحديث أصبح مطالبا بالتكيف مع هذه البيئة العالمية المعقدة ، ولا بد من وجود هيئات اعلامية قوية للقيام بهذه الأعباء الجديدة والنهوض بها ، غير أن هذه الهيئات الضخمة لا يمكن أن تنشأ الا بعد أن تكون قاعدة صناعية تمول الصحف وتنفق على الاعلانات ، ويرتبط بذلك تحول حضارى أساسى يتصل بانشاء المدارس والجامعات ورفع متوسط دخل الفرد .

وقد رأينا أن المكاتب الاخبارية التى بدأت فى الظهور عند نهاية العصور الوسطى كانت تعتمد على الطبقة البورجوازية والأعمال التجارية ، كما قامت بتغطية أخبار السفن والبضائع والشحن ، وكذلك ترتبط وكالات الأنباء الحديثة بالأخبار

---

(١) Bruce Westley & Malcolm Maclean Jr. « A Conceptual Model for Communication Research» Journalism Quarterly, 1957. Vol. 84 p. 31 - 38.

السياسية والاقتصادية وتعتمد على التقدم الحديث فى وسائل الاتصال الالكترونية وأهمها الراديو والتلكس والمبرقات الكاتبة السلكية واللاسلكية ٠

المكاتب والسلاسل والاتحادات :

وقد مرت وكالات الأنبـاء بعدة مراحل حتى أصبحت فى صورتها الحديثة المعروفة ٠ ففى الماضى كان يمكن أن يقوم شخص واحد أو شخصان بادارة صحيفة وكتابة مقالاتها وجمع أخبارها ، وتزويدها بالاعلانات القصيرة ، أما الآن وبعد أن امتدت أسلاك الاتصال عبر العالم بالطريقة التى سبق ذكرها وبدأت الصحف تتخذ لها مراسلين فى أماكن متعددة يبرقون لها بالأخبار ، وعندما تبين أنه لا معنى لصرف نفقات باهظة على هؤلاء المراسلين الذين كانوا يحاكون بعضهم بعضا ، أصبح من الواضح أن توفير الجهد والمال مرتبط بتنمية الكفاية الانتاجية عن طريق الاتحادات التجارية أو الجمعيات التعاونية التى تكرس أعمالها فى جمع الأخبار والمعلومات ونقلها الى الصحف وكالة عنها(١) ٠

واتخذت هذه الفكرة أشكالا متعددة . كان أحدها السلسلة التى تربط بين الصحف بالشراء أو الضم ٠ ولعل أشهر تلك السلاسل سلسلة صحف سكريبس(٢) التى بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر فى أمريكا ، وجاءت بعدها سلسة صحف هيرست(٣) وغيرها ٠ وتم بالفعل توفير مبالغ ضخمة ٠ وقد كان من الممكن

---

(١) مكتبة الفنون الدرامية (١٥) تأليف اريك بارنو وترجمة فؤاد كامل وانور المشرى ٠ ص ١٨٤ ٠

(٢) Scripps.

(٣) Hearst.

لمكتب واحـد متخصص فى جمع الأخبـار أن يزود جميع صحف السلسلة بالأنباء فيما عدا المحلى منها • ولا شك أن هذه المكاتب الاخبارية كانت تستطيع الى جانب جمع الأخبار أن تعرض أجورا عالية على كبـار الكتاب فتكسبهم مقـالات للشرح أو التفسير أو التعليق أو الترفيه •

وفى أول الأمر بدت مزايا السلاسل فائقة ، وتوقع البعض قيـام سلاسل من مئـات الصحف ، بينما أشفق البعض على هـذا الاتجاه ، ولكنهم أدركوا أنه لا سبيل الى تجنبه • وفى نفس الوقت كانت تظهر عمليات ونظم صحفية تقوم على أساس المشاركة فى النفقات •

وقد كانت اتحـادات الصحف شكلا آخر من أشـكال التجمع والتعاون • مثـال ذلك أنه فى سـنة ١٨٤٨ قامت ست صحف فى مدينـة نيويورك بانشـاء الاتحـاد الصحفى المعروف باسـم « الأسوشيتدبرس » ، كوسيلة للاشتراك فى تحمل نفقات الأنباء التلغرافية ، وظلت كل صحيفة منهـا مسـتقلة ، ولكنهـا كانت تحصل على الخدمات المنظمة التى شكلها هذا الاتحاد • ثم نشأت اتحادات مماثلة فى مدن أخرى • وفى عام ١٨٩٣ انضمت عدة اتحادات وكونت الأسوشيتدبرس الحديثة ، وهى اليوم تمد آلاف الصحف بالأخبار فى جميع أنحاء العالم • وتقوم اليونيتدبرس وأمثالها بأعمال مشابهة •

وغالبا ما يكون ذلك عن طريق المبرقات الكاتبة التى تنقل الأخبار وتنسخها أتوماتيكيا بالحروف الكبيرة(١) على أشرطة طويلة من الورق يمكن أن تنتزع منهـا سلخ الأخبار عنـد وصولها الى

(١) Capitals.

الصحيفة أو الاذاعة لتعاد صياغتها وتحريرها محليا • كما ظهر اختراع أحدث ، يسمح بدفع البرقيات الواردة على شريطمثقب الى آلات اللينوتيب مباشرة فيجمع الخبر أتوماتيكيا • كما ترسل الصور سلكيا أو لاسلكيا فى نفس الوقت •

وقد ترتب على قيام المكاتب والاتحادات والوكالات ارتفاع كبير فى نسبة التشابه والنمطية • فالصور والأخبار تظهر بنفس الشكل بالضبط فى عدد لا يحصى من الصحف ، وغالبا ما نجد هذا موضوعا للنقد ضد الوكالات • غير أننا نجد من ناحية أخرى أن هذه الهيئات والاتحادات هى التى منحت الصحف المستقلة فرصة الحياة والبقاء • فلولاها لما أمكن للصحف أن تواصل نشاطها الاخبارى •

غير أن نظم الاتحادات لا تقتصر على العمل الاخبارى وحده ، فهناك مكاتب تزود الصحف بالموضوعات على أساس النفقات الموزعة • ومن هذه المكاتب تستطيع الصحف أن تشترى المقالات والتحليلات والتعليقات ، والقصص القصيرة ، والروايات المسلسلة والقصائد والأعمدة والنكات والفكاهات والمقالات الافتتاحية وغيرها . وتعرض المكاتب الصحفية أيضا أجزاء كاملة صالحة للنشر فى أعداد يوم الأحد الخاصة ، تستطيع الصحيفة المحلية أن تنشرها وتضع عليها اسمها •

ومعظم الموضوعات ترد الى الصحف عن طريق البريد • وبعض الموضوعات مثل الأبواب الخاصة تصل مطبوعة على ورق الصحف ، وبعضها منسوخ على الآلة الكاتبة أو مطبوع فتعيد الجريدة طبعها ، والبعض الآخر ـ كالرسوم الفكاهية والصور ـ يصل محفورا على

الورق الكرتونى أو الفلان(١) الذى يمكن أن يصب عليه الرصاص المصهور مباشرة ، لصناعة الكليشيهات المعدنية ، فى حين أن بعض الموضوعات ترد فى شكل كليشيهات معدنية فعلا .

وتسعى الاتحادات الصحفية والمكاتب - على تنوعها وتخصصها - الى الوقوف فى وجه الدافع الأصلى القائم وراء السلسلة الصحفية ، فهى تقدم نفس المزايا الاقتصادية دون مساس بالاستقلال المحلى .

ومن الواضح أن الاتحادات والمكاتب الصحفية قد غيرت من طبيعة الصحيفة العادية ، بحيث اصبح فى امكان كل صحيفة محلية أن تملأ صفحاتها بفيض من المادة الصحفية الموحدة التى يتم انتاجها على نطاق واسع . ولكن الصحيفة تستطيع أن تستغل امكانياتها المحلية الى جانب خدمات الاتحادات والمكاتب . ولقد ينبنى أملها الطويل المدى على حسن استغلالها لهذا الوضع واستغلال الفرصة السانحة أمامها لتنمية شخصيتها الفردية . ومع ذلك تبقى المواد الموحدة هى العمود الفقرى الاقتصادى .

الانتاج والتوزيع والاعلان :

وينبغى الاشارة هنا الى وظائف الانتاج والتوزيع والاعلان باعتبار أن كل وظيفة منها متميزة عن الأخرى . فالمكاتب الصحفية هى منظمات للتوزيع ، وقد يقوم المكتب نفسه بكتابة « الموضوع الصحفى » أو بشرائه من جهة أخرى منتجة له ليتم توزيعه عن طريق المكتب ، لذا يجب أن نفرق بين وحدات التوزيع ووحدات الانتاج . فقد يكون منتج الموضوع الذى توزعه المكاتب ناشر

(١) Flong

كتب أو ناشر مجلة أو شركة رسوم سينمائية متحركة أو أى هيئة أخرى • وهناك أكثر من مائتى منظمة فى أمريكا وحدها تعمل فى انتاج مواد للتوزيع عن طريق هذه المكاتب •

ومثل هذه الوحدة الانتاجية المستقلة يمكنها أن تبيع المواد الى السلاسل أو المكاتب الصحفية على السواء ، كما يمكن أن تكون الوحدة الانتاجية هى التى تقوم بتكليف الكتاب والفنانين وغيرهم بهذه الأعمال • وقد يكون هؤلاء جزءا من منظمة المنتج أو قد يكونون وحدات مستقلة •

وهكـذا نجد أن عالم الاعـلام الطبـاعى يعمل على ثلاثة مستويات : الانتاج والتوزيع والاعلان • وتتعـامل الصحف مع وكالات الاعـلان عن طريق تعيين ممثلين لها فى المراكز الكبيرة حيث يقومون ببيع المساحات الاعلانية والتعامل مع وكالات الاعلان والحصول منها على الاعلانات • وتستطيع وكالات الاعلان أن تزود مئات الصحف بما تحتاجه من اعلانات •

ومن ثم نرى أن المكاتب الاخبارية والسـلاسل واتحـادات الصحف ومكاتب الخـدمات الصحفية وغيرها كانت تقـوم بمهمة وكالات الأنباء الحديثة • ولذلك نلاحظ أن أهم الأهداف التى نشـأت هذه المنظمات لتحقيقهـا هى نفس الأهداف التى تسعى وكالات الأنباء للوصول اليها • ولعل أهم هذه الأهداف تحقيق الموازنة بين دخل الصحيفة ومصروفاتها عن طريق اشتراك دور الصحف ووسائل الاعلام فى تحمل نفقات الحصول على الأخبـار بما تدفعه من اشتراكات لوكالات الأنباء ، أو ما يقوم مقامها من اتحادات ومكاتب خدمات وغيرها •

ومن هذه الأهداف أيضـا ، الاستفادة من الامكانيات الفنية والتكنولوجية ، بل وامكانيات الأفراد ، اذ تستخدم وكالات الأنباء

أعدادا كبيرة جدا من العاملين سـواء من الصحفيين أو المراسلين أو المترجمين أو المحررين أو الفنيين أو الاداريين ، وهى امكانيات يمكن أن تتوفر لدى وكالة الأنباء أو السلسلة الصحفية أو الاتحاد، فى حين لا يمكن توفرها بأى حال لدى صحيفة بمفردها مهما بلغ مقدار تقدمها • هذا فضـلا عن تحقيق عوامل السبق والسرعة والحالية وهى جميعا ذات أهمية بالغة للصحافة والاعلام بوجه عام .

ومع أن كل صحيفة من الصحف الهامة تحاول بقدر الأمكان أن تحصل على الأنبـاء والمعلومات الخاصة بها لكى تظهر شخصيتهـا المستقلة ، وموادها التى تميزها عن غيرها ، فان النسبة الكبرى مما تحتويه الصحيفة من مواد يرجع الفضل فى الحصول عليه الى وكالات الأنباء • ويصعب تحديد نسبة المواد التى تحصل عليها الصحيفة بنفسها الى تلك المواد التى تحصل عليها عن طريق وكالات الأنباء ، وذلك ليس فقط لأن المؤسسات الصحفية لا تشير دائما الى المصادر التى تحصل منها على موادها ، وانما أيضا لأن النصوص الأصلية لوكالات الأنباء غالبا ما تذوب أو تندمج فى الأنبـاء والتفسيرات الخاصة بالصحيفة نفسها ، بحيث يصبح تحديد ذلك بالتفصيل أمر شبه مستحيل •

وقد قام ماكلوفرى(١) بدراسـة اعلامية على ١٠٥ صحيفـة أمريكية ، فوجد أن ٧٥٪ من الأخبار الخارجية التى تنشرها هذه الصحف يأتى من وكالات الأنبـاء • وأما فيمـا يتعلق بالصحف الأوروبية فقد تأكدت صحة هذه الدراسة بناء على تقارير مديرى

---

(١) Mclouvry, Notes et Etudes Documentaires.

Les Agences de Presse. 17 Mai 1962. No. 2887.

La documentation Française. Série Culturelle L×XXV.

الصحف الذين حددوا نسبة أنباء الوكالات التى تنشرها صحفهم بقدر يتراوح ما بين ٤٠٪ بالنسبة لبعض البلاد و ٧٠٪ بالنسبة للبعض الآخر • على أنه ليس هناك مجال للشك فى أن انخفاض هذا المعدل فى بعض الأحيان يرجع الى كثرة التفسيرات والتعليقات على الأنباء الخارجية ، وليس الى تغلب أو تفوق الأنباء الأصلية الخاصة على مواد وكالات الأنباء •

ومهما كان الأمر ، فان أهميــة وكالات الأنبــاء القاطعة ، والدور الذى تلعبه فيما يتعلق بانتاج الأخبار وتبادلها لا ينكره أحد ، حتى ليمكن القول بأن وسائل الاعلام الحديثة ـ وهى وسائل تمتاز بالدورية والعمومية والحالية والانتظام ـ لا يمكن أن تعيش بدون وكالات الأنبــاء • واذا كانت لوسيلة من وسائل الاعلام مراسلون فى بعض المدن فان شبكة أنبائهــا الخاصة لا يمكن أن تكفى لتغطية الأخبار المتعددة التى تتدفق دون توقف دقيقة وراء دقيقة طول الليل والنهار ، وذلك بالنسبة لجميع أنحاء العالم وفى كل بقعة من بقاعه المترامية •

وهكذا يمكن القول بأن وسائل الاعلام الحديثة لا تستطيع أن تقوم بعملها ، ولا يمكنها أن تنهض بأعبائها الاقتصادية اعتمادا على امكانياتها الخاصة ، بل لا بد لها من الاعتماد على وكالات الأنباء اعتمادا أساسيا •

الأساس الاقتصادى لوكالات الأنباء :

وأما بالنسبة للأساس الاقتصادى الذى يستند عليه العمل فى وكالات الأنباء ـ شأنها فى ذلك شــأن كافة الصناعات الصحفية الأخرى ـ فهو الأسلوب الذى يعرف بالسلسلة أو المجموعة . ومعنى ذلك أن وكالات الأنبــاء تحــاول أن توازن بين المصروفات التى

تتكلفها ـ بسبب ارتفاع المصروفات الثابتة ارتفاعا كبيرا بالنسبة للمصروفات المتغيرة ، التى يمكن التغاضى عنها لقلة أهميتها ـ وبين مبيعات خدماتها ، وذلك عن طريق تحقيق أكبر قدر ممكن من المبيعات ·

ان سعر التكلفة بالنسبة للخبر الواحد يعتبر مرتفعا ، ولكن اعادة نقل هـذا الخبر الى العملاء قد يسـاعد على توفير جزء من نفقاته · ولا يتطلب ذلك أن يتحمل كل مستهلك مبلغا مرتفعا . بل يكفى لتحقيق ذلك أن يكون عدد المستهلكين كبيرا بقدر الامكان. ولذلك فان من أكثر الأساليب التى تطبقها وكالات الأنباء شيوعا هو أسلوب الجمعية التعاونية أو الشركة التى توزع على أعضائها تكاليف الخدمات التى تؤديها لهم جميعا بدون تمييز · وبعض الوكالات الكبرى تعمل بالفعل وفقا لهذا النظام ·

ويتضح من ذلك أن كل صحيفة أو اذاعة أو أية وسيلة من وسائل الاعلام التى ترغب فى الحصول على خدمات وكالة من وكالات الأنباء ، سواء كانت وكالة عالمية أو محلية أو متخصصة ، تسدد اشتراكا معينا اما على أساس النسخة الواحدة سـنويا ، أو على أساس مبلغ معين يدفع شـهريا ، مع ملاحظـة أن دور الصحف والاذاعات تشترك فى أكثر من وكالة من وكالات الأنباء ، وذلك حرصا على تنوع الخدمات ، ومراجعة أخبار كل وكالة على الأخرى ·

ويبين الجدول التالى متوسط الاشتراك الذى تدفعه الصحف على أساس النسخة الواحـدة سـنويا وذلك بالنسـبة للوكالات المحلية(١) :

(١) Claude Bellanger, Op. Cit.

اسم الدولة	القيمة التى تدفعها بالفرنك
اليابان	٩٥ر٥٠
ألمانيا الاتحادية	٩١ر٧٠
فرنسا	٤٢
السويد	٤١ر٨٠
النرويج	٤١ر٧٢
سيلان	٣٩ر٢٠
الدنمارك	٣٩ر٤٠
النمسا	٢٣
بريطانيا	٢١ر٦
فنلندا	١٧ر٠٤

وفيما يلى بيان بالاشتراك الشهرى الذى تدفعه صحيفة تصدر ١٠٠ر٠٠٠ نسخة لوكالة الأنباء(١) :

اسم الدولة	القيمة التى تدفعها بالفرنك
اليابان	أكثر من مليون فرنك
ألمانيا الاتحادية	٥٥٦٠٠٠
النرويج	
ـ الجريدة اليومية الصباحية	٣٣٦٠٠٠
ـ الجريدة اليومية المسائية	٢٨٠٠٠٠
فرنسا	٣٠٥٠٠٠
النمسا	٢٣٠٠٠٠
بلجيكا	٢٠٤٠٠٠

(١) المرجع السابق .

ولكن الواقع أن هذا النظام الاقتصادى السابق ذكره لا يطبق فى كثير من الحالات ، وذلك لأن نفقات الاعـلام نفقات هائلة ، وكان من المفروض أن تقسـم على عـدد كبير جـدا من الصحف اليومية • غير أن هذه الصحف لا يزيد عـددها فى العـالم عن ٧٥٠٠ صحيفة ، أغلبها يعيش فى ظروف متواضعة غير مستقرة ، والأقل هى الصحف القديرة القوية • فاذا أضفنا الى هذا الرقم عدد أجهزة الراديو والتليفزيون وكافة الهيئات الأخرى المشتركة مما قد يضاعف هذا العدد ، فان السلسلة أو المجموعة التى يمكن الاعتماد عليها تظل ضعيفة •

ومن ناحية أخرى نجد أن هذه السوق المكونة افتراضيا من خمسة عشر ألف عميل هى سوق نظرية ، وذلك لأن التقسيمات السياسية والاختلافات الاقتصادية فى العـالم الحالى كبيرة بحيث لا يمكن لأى وكالة من الوكالات أن تأمل مجرد أمل فى تحقيق رغبات المستهلكين الحقيقيين •

وأخيرا ، فان سوق الاعلام ــ مثلهـا فى ذلك مثل أى سوق أخرى ــ بل انها قد تفوق فى ذلك كثيرا من الأسواق الأخرى ، بعيدة عن أن تخضع فقط لالحاح حاجات العملاء من جهة وتحقيق الايرادات من جهـة أخرى • فالواقع أن هذه السـوق لها صدى اجتماعى كبير ، حتى أن السلطات الشعبية فى الوقت الحالى تقبل عادة أن تعطيها حرية مطلقة فى التصرف •

ان هيبة الدول ، ومنافسة بعضها لبعض ، والأنظمة المختلفة التى تحكمها ، وسيطرتها المباشرة أو غير المباشرة على الشعوب ــ كل هذه العوامل تتشابك مع نشر الأنباء وآثار تداولها ، حتى أنه لم يعد من الممكن التعرض لموضوع وكالات الأنباء وعملها دون

الرجوع الى مشاكل السياسة العامة والمسائل الدبلوماسية . وكما أن تجارة الأنباء غالبا ما تحقق عجزا بشكل أو بآخر - حتى ليصعب تصديق الميزانيات المعلنة لوكالات الأنباء الحديثة - فان التدخل العام فى شئون الاعلام لا مفر منه سواء قبلنا ذلك أو لم نقبله .

وكالات الأنباء العالمية :

وهكذا نجد أن تكاليف جمع الأخبار وتوزيعها ترتفع ارتفاعا كبيرا للغاية بحيث يصبح عدد الوكالات التى تستطيع العمل على النطاق العالمى لا يزيد على الخمس وكالات ، وهى تتركز فى بلاد صناعية متطورة وتتمتع بمستوى مرتفع من المعيشة ، كما أنها ذات نفوذ سياسى واقتصادى ولغوى ضخم يتجاوز حدودها الى بلاد أخرى كثيرة .

والواقع أن انشاء وكالة أنباء أمر معقد يتصل بالسياسة والنفوذ الدولى والقدرة الاقتصادية والانتشار اللغوى . والدولة التى تستطيع ذلك لا بد وأن يكون لها سوق داخلية هامة ، بالاضافة الى نفوذ سياسى واقتصادى ضخم ، هذا علاوة على وضع حضارى يجعلها تتبوأ مكانة دولية رفيعة . ومثل هذه الدولة - دون غيرها - هى التى تقوى على انشاء وكالة أنباء عالمية مؤثرة .

فليس غريبا - اذن - أن يكون عدد هذه الوكالات فى العالم خمسا : اثنتان منهما أمريكيتان وهما الأسوشيتدبرس واليونايتدبرس أنترناشيونال ، وواحدة بريطانية هى رويترز . ووكالة فرنسية وهى وكالة الأنباء الفرنسية والخامسة سوفييتية وهى وكالة تاس . ومعظم هذه الوكالات تتلقى اعانات من جانب الاتحادات أو الحكومات بصورة أو بأخرى .

وتقوم هذه الوكالات العالمية الخمس باعلام نحو ٩٨٫٧٪ من سكان العالم ، ويتم هذا الاعلام عن طريق الاحتكار ــ وهذا هو الوضع الأغلب ــ أو عن طريق التنافس ، ولكن هــذا الطريق الأخير قد أخذ فى التضاؤل • وهكذا نجد أن لكل وكالة منطقة نفوذ واضحة تسيطر عليها سيطرة تامة • فالوكالتان الأمريكيتان تســيطران على ثلاثة أرباع أمريكا الشــمالية ، ووكالة رويترز تسيطر على دول الكومنولث البريطانى ، ووكالة الأنباء الفرنسية تسيطر على الدول المتحدثة بالفرنسية ومعظم أوروبا وأفريقيا ، أما وكالة تاس فتسيطر على الاتحــاد الســوفييتى ودول الكتلة الشرقية والشيوعية •

وأما بالنسبة لبقية أنحاء العالم فهناك منافسة قوية قائمة بين جميع الوكالات لتغطية الأنباء فى أكبر مساحة ممكنة ، فنجد أن ٧٥٪ من أوروبا الغربية و ٤٠٪ من مسطح الكرة الأرضية يتم امدادها بالأخبــار من وكالة الأنبــاء الفرنسية ووكالة رويترز والوكالتان الأمريكيتان فى نفس الوقت • ومع تقــــدم الصين الشعبية فى مضمار الحضــارة ودخولها الأمم المتحــدة أصبح من المتوقع أن تتبوأ وكالة صينهوا مركزا مرموقا ، وان كان ذلك غير منتظر فى القريب العاجل •

وكالات الأنباء المحلية :

ان الأوضاع التى استقرت بعد تقسيم العالم فى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ثم زيادة عدد الدول المستقلة بعد الحرب العالميــة الثانية قد ساعد على قيام عدد كبير من وكالات الأنباء المحلية التى أصبحت كالعلم والنشيد القومى والتمثيل الخارجى رمزا للهيبة والاحترام • وكانت الموجة الأولى لانشاء أو اعادة تنظيم وكالات

الأنباء قد أتت مع خلق حكومات جديدة فى مختلف بلدان أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية .

فهنــاك حوالى ٢٤ وكالة بدأت عملياتهــا بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٩ . وفى نفس الوقت كان هناك عدد من الوكالات التى افتتحت أعمالها أو اعادت تنظيم نشاطها فى عدد من دول آسيا خلال سنة ١٩٥٠ عندما انشئت وكالات جديدة فى آسيا وشمال وجنوب أمريكا وأوروبا وكذلك فى شمال أفريقيا وفى أفريقيا السوداء ، جنوب الصحراء .

وكانت الموجة الواسعة الثانية لانتشار وكالات الأنباء المحلية فى الستينات ، عندما أنشــئت ٢٣ وكالة فى الدول الأفريقيــة حديثة الاستقلال ، وكذلك فى آسيا وأمريكا الجنوبية . وترتبط الوكالات المحلية ارتباطا وثيقــا بالسلطات العــامة ، وتعمل على تغطية الأنباء المحلية بصفة خاصة فى البلد التى توجد بها الوكالة بصورة شبه كاملة . ولا شك أنها تستطيع أن تفعل ذلك بطريقة أكثر تفصيلا مما تقوم به الوكالات العالمية .

وأما بالنسبة للأنباء الدولية فهى تعمل على نشر واذاعة خدمات وكالة أو أكثر من الوكالات العالمية التى تكون قد عقدت معهــا اتفاقا على ذلك ، بل انها قد تحتكر فى بعض الأحيان مهمة القيام بهذا النوع من الخــدمات على النطاق المحلى . وقد أصبح عقــد الاتفاقيات بين البلاد المتجاورة أو البعيدة أمرا معتادا . وهناك بلاد عديدة تنضم الى هذه الاتفاقيات التى يتزايد حجمها عاما بعد عام ، على الرغم من أن تبادل الأنباء بين البلدان والأقاليم أو بين الأقاليم والأقاليم يبقى محصورا فى أيدى الوكالات العالمية .

وتتجه بعض الوكالات الأوروبية والآسيوية الى توسيع نطاق اتفاقياتها بحيث يكون لها مراســلون فى بلاد عديدة ، وتتعــاون

الوكالات الأوروبية فى ست عشرة دولة من خلال الاتحاد الأوروبى لوكالات الأنباء لتوسيع نطاق الاهتمامات الخاصة بها وزيادة حجم الأخبار المتعلقة بالمنطقة • وكذلك الأمر بالنسبة للوكالات الآسيوية من خلال منظمة وكالات الأنباء الآسيوية ، والخدمات الافريقية من خلال اتحاد وكالات الأنباء الافريقية ، وكذلك الخدمات العربية من خلال اتحاد وكالات الأنباء العربية الذى يرجى أن تدب فيه الحياة •

ان أهتماما كبيرا يوجه الآن من أجل ايجاد وسائل لتقوية العلاقات الاقليمية ـ بالمعنى الدولى للمناطق الكبرى ـ وانتشارها على المستوى العالمى • ولا شك أن الاتفاقيات الخاصة تعتبر كذلك من وسائل دعم الموقف الاقتصادى للوكالات التى لا تستطيع أن تتحمل أعباء المراسلين الخارجيين ونفقاتهم الباهظة •

ومنذ عام ١٩٥٠ مضى التقدم التكنولوجى بقفزات رائعة لنقل الأنباء بسرعة وتوسيع نشاط الوكالات القائمة وخلق وكالات جديدة ، كما شهدت هذه الفترة عمليات منظمة لاحلال التليفون والخدمات التلغرافية الحديثة مثل التلكس وشبكات اللاسلكى بدلا من الخدمات التلغرافية التقليدية ، مما أدى الى نتائج باهرة فى الدول النامية وذلك بالنسبة لطاقاتها على تلقى الأخبار التى تغطى المساحات الشاسعة من العالم بأقل التكاليف ، حيث أن الاتصالات السلكية فى هذه البلاد لم تحرز التقدم المطلوب •

وفى نفس الوقت ، فان التقدم فى استخدام الشبكات الخاصة ذات الترددات العالية فى الارسال والموجات القصيرة تعد ثورة فى عالم الاقتصاديات التلغرافية ، بالنظر للزيادة العظيمة فى عدد خطوط الاتصالات بالنسبة للصحافة وغيرها من وسائل الاعلام •

ان وكالات الأنباء نفسها من خلال سعيها وعملها اليومى قد شاركت مشاركة فعالة فى سنوات ما بعد الحرب لتحقيق التوسع فى أجهزة المبرقات الكاتبة والتصوير وهـذا التقـدم وغيره من المستحدثات قد بلغت ذروتها فى ١٩ يوليو سنة ١٩٦٢ باستخدام خطوط الاتصال الخارجية عبر القارات بواسطة الأقمار الصناعية ٠

وتعمل وكالات الأنباء المحلية على جمع الأخبار وتوزيعها على الوكالات العالمية التى ترتبط بهـا ٠ ولا شك أن هذا الأسـلوب يخفف عن الوكالات العالمية جانبا كبيرا من أعبائها ، ولكنه يحرمها فى مقابل ذلك عددا لا يستهان به من العملاء ٠ ويرتبط عدد كبير من هذه الوكالات المحلية ارتباطا وثيقا بالوكالات العالمية التى تنشر خدماتها ، الا أن بعضها الآخر لا تربطها بها سوى عقود ليست على جانب كبير من الأهمية ، ويمكن الغاؤها أو العدول عنها فى أى وقت ٠

وفى أوروبا تتولى وكالتا رويترز والأنباء الفرنسية امداد الوكالات المحلية بالأنباء والمواد اللازمة لها ٠ وكذلك من الطبيعى أن تقوم الوكالات العالمية بدور الوكالات المحلية فى البلاد التى يوجد بها مقر لها ، سواء بطريقة مباشرة ، أو عن طريق وكالة تابعة لها أو متفرعة عنها كما هو الحال بالنسبة لوكالة برس اسوسيشن فى بريطانيا ٠ ولا شك أن هذا الوضع لا يترك مجالا يذكر لنمو أى وكالة محلية ، حتى ولو كانت هذه الوكالة على جانب من الأهمية ٠

وكالات الأنباء المتخصصة :

وعندما تبلغ الصحافة مسـتوى رفيعا من التقدم والنضج ، تنشـأ وكالات متخصصة فى النصـوص التحريرية والوسـائل الايضاحية كالصور والخرائط والرسوم البيانية وغيرها من الفنون

الصحفية . وتغطى تلك الوكالات المتخصصة قطاعا كبيرا من الأعمال التى يصعب حصرها ، والتى تبـدأ من المواد الاعلاميـة بالمعنى الدقيق من جهة ، كما تشتمل أيضا على مجال آخر من الأعمال مثل الآداب والفنون والقصص ، كما تتضمن أعمال العـلاقات العامة ، وان كان من الصعب ادراك ذلك فى بعض الأحيان ، لأنه يتم بطريقة غاية فى اللباقة ٠

وان هذا التعقد والتشعب فى أهداف ذلك النوع من أنواع الوكالات ومسئولياتها يجعلنا نضيف اليه بعدا هاما لتقدير أهميتها وتحديد مدى نجاحها ٠ فالمعيار الأساسى هو أن يكون لهذه الوكالات طابع تجـارى حتى يمكن أن نسميها وكالات أنبـاء أو وكالات صحفية ، وذلك بالنسبة للعالم الغربى بطبيعة الحال ، اذ أن وكالة نوفوستى السوفييتية تقع فى ميدان الوكالات المتخصصة ، الا أنها تسير على نمط معين يتفق مع النظام الاشتراكى أو الشيوعى ، حيث لا ينظر الى الربح المـادى كهـدف اعلامى ٠ أما بالنسبة للغرب فلا بد أن تكون الوكالة متوازنة أو مستقلة تجـاريا واقتصـاديا وماليا بقدر الامكان ، وان كان ذلك صعب التحقيق ٠

على أنه من الممكن أن تتـوفر فى الوكالات المتخصصة هذه الشروط ، فهى على الأقل لا تصادف أى مشكلة من المشكلات العامة الأخرى التى يمكن أن تواجهها وكالات الأنباء العادية ، غير أن هـذا النوع من الوكالات المتخصصة لا ينجح الا فى الدول ذات النشـاط الصحفى الواسع ، حيث تكون السوق الاعلامية غنيـة ومتعددة المشارب والاتجاهات ٠

الباب الثانى

وكالة الأنباء الفرنسية

رأينا أن وكالات الأنباء باعتبارها مؤسسات متخصصة فى استقاء الأخبار وتوريعها قد سبقت الصحافة المطبوعة ، ولم تكن الصحافة المنسوخة فى أواخر عهدها سوى تطور للتقارير الاخبارية التى كان يعدها كتاب الأخبار الأوائل من أمثال فوجرز وغيرهم ، أولئك الذين نشطوا فى عصر النهضة الأوربية لجمع الأخبار التجارية والمالية وبيعها لرجال الأعمال والتجار ، وكذلك تستقط الأنباء السياسية وعرضها على رجال الحكم والدبلوماسية نظير أسعار مرتفعة • فقد فطن هؤلاء وأولئك الى أن المعرفة الصحيحة والسريعة كفيلة بتفادى الأخطاء ، بل انها الأساس الذى يبنى عليه السياسى والاقتصادى أحكامهما وخططهما • فلم يكن غريبا اذن أن تتعدد مكاتب الأخبار فى جميع أنحاء أوروبا لخدمة رجال السياسة وأقطاب التجارة ثم بعد ذلك للاعلام العام من خلال الصحافة المطبوعة التى أخذت تنتشر منذ القرن السابع عشر . وبلغت ذروتها بظهور الصحافة الشعبية فى العقد الثالث من القرن التاسع عشر •

ولما كانت تلك المكاتب الأخبارية تقدم خدمات سياسية وأخرى تجارية فقد فطن كتاب الأخبار منذ البداية الى أن عملهم متصل بالاعلام السياسى ، وكذلك بالاعلام التجارى فى وقت واحد . ولم يكن أحد النشاطين كافيا وحده لكى يغطى مصروفات المكاتب

الاخبـارية • وقد كانت الطفرة الكبرى فى تطور تلك المـكاتب ونقطة التحول الخطيرة فى تاريخها ، عندما بدأت الصحف تتحول من منابر لابداء الرأى عن طريق المقالات الى أجهزة مستقلة لعرض الوقائع ، وسرد الأخبار ، ونشر الأنبـاء بطريقة موضوعيـة ، مختلفة عن طريقة الصحافة الرسـمية فى العصور الأولى لظهور الصحافة ، ومختلفة أيضا عن أسلوب الحزبية • فمما لا شك فيه أن اسـتقلال الصحافة عن الحـكومات والأحزاب ، وظهور الصـحف الشعبية زهيدة الثمن فى ثلاثينات القرن التاسع عشر ، والاهتمام بالأخبار لذاتها، مع الابتعاد عنمقالات الرأى والكتابات الانفعالية المتحيزة ، قد قارب بين وظيفة المكتب الاخبارى من جهة والصحافة الجديدة الاعلامية المستقلة من جهة أخرى •

لقد كانت دول أوروبا بوجه عام ، وفرنسا بوجه خاص . تعج بمكاتب الأخبار مثلمكتب جارنييه(١) ، ومكتبجوف دىننك(٢) ، ومكتب باريس للمراسـلة والمطابقة(٣) ، ومكتب بورشـتين(٤) وغيرها كثير ، الا أن أشـهرها بلا شك كان مكتب هافاس ، الذى أرسى لأول مرة فى التـاريخ الحـديث أصـول تجربة الوكالات الحديثة •

والحقيقة أن شارل لوى هافاس(٥) ، اليهودى البرتغـالى ، المولود سنة ١٧٨٠ هو أول من ابتدع اسم وكالة الأنباء ، وكذلك كان أول من وضع فكرته موضع التنفيذ بالشكل الذى تصوره • فعندما فطنالى أهمية الأخبار فىميادين السياسة والتجارة والحرب،

---

(١) Correspondance Garnier.

(٢) Correspondance Degouve - Denuneques.

(٣) Correspondance de Paris.

(٤) Bureau Borstein.

(٥) Charles Louis Hawas.

وأحس بحاجة المسئولين الى استقاء المعلومات التى تساعدهم فى أعمالهم ، بطريقة سليمة وصادقة حول مكتبه الخاص الذى افتتحه فى باريس باسم مكتب الاتصالات والمراسلة الى وكالة للأنباء ، وأسماها باسمه الشخصى : وكالة هافاس • وقد أراد بذلك أن يحقق الفكرة التى طالما راودته من قبل وهو خلق سوق للأخبار ، ونشاط للاعلام الذى يقصد لذاته • فالخبر لا يقدم كشائعة أو اتجاه أو تلاعب بالأفكار ، وانما يقدم كتقرير واقعى صحيح وسريع عن حادث معين أو واقعة محددة •

وقد استطاع هافاس بالفعل أن يحقق تصوره لوكالة الأنباء عندما أنشأ وكالته المتطورة عن مكتبه سنة ١٨٣٥ ، كما نجح فى التفوق على سائر منافسيه من أصحاب المكاتب الاخبارية التقليدية • ويرجع ذلك الى أنه قد صمم شبكة محكمة من الاتصالات التى عادت عليه بأعظم النتائج • فمصادره كانت متعددة ، كما أن أعوانه الذين كان يحسن اختيارهم من أمثال ولف ورويترز وغيرهما قد فهموا أغراضه ونجحوا فى تحقيقها • يضاف الى ذلك أن شعاره الذى رفعه : وهو « الاعلام من أجل الاعلام » قد صادف نجاحا لأنه التقى مع غايات الصحافة الحديثة المستقلة عن الأحزاب والحكومات، وكانت بلا شك سوقا هائلة لسلعته الجديدة ، سلعة الأخبار •

بين الصحافة والاقتصاد :

ففى تلك الفترة بالذات ظهرت الصحيفة الفرنسية الشعبية زهيدة الثمن ، وذلك بفضل اميل دى جيراردن(١) الذى أصدر لا بريس(٢) سنة ١٨٣٦ ، فكانت أول صحيفة تحقق توزيعا شعبيا مرتفعا ، وذلك لأنها استطاعت أن تعطى الجمهور القارىء أخبارا

(١) Emile de Gerardin.

(٢) La Presse

متنوعة ، ومعلومات هامة ، وخدمات يشعر بالحاجة اليها ، فضلا عن الاعلانات التى أعطت الصحيفة ايرادات مرتفعة كما قدمت للمعلن خدمات ضرورية ٠

فليس غريبا ، اذن ، أن تنسجم اتجاهات هافاس مع غايات جيراردان ، وقد تأكد هافاس لأول مرة أن الأخبار لا ينبغى أن تقدم للسياسين والاقتصاديين ورجال الأعمال فحسب ، بل يمكن أن تقدم أيضا الى جماهير الشعب من قراء الصحف ، وخاصة اذا تنوعت تلك الأخبار ، وخرجت عن نطاق المعلومات السياسية والاقتصادية الجادة ، الى الميادين الاجتماعية والثقافية الطريفة ، مما يجذب ميول القراء على اختلاف طبقاتهم وثقافاتهم وميولهم واتجاهاتهم(١) ٠

وهكذا عرف هافاس أن دقة الأخبار ووضوحها ، وسرعة نقلها ، واشباعها لاحتياجات القراء ورغباتهم فى المعرفة من أهم الخدمات التى تستطيع وكالات الأنباء أن تقدمها للصحف الجديدة الاخبارية المستقلة ، التى كانت تختلف تمام الاختلاف عن صحف المقال التقليدية، وصحف البحوث الدينية والفلسفية. ومن الغريب أن كثيرا من الصحفيين المعاصرين له لم يفهموا أغراضه ، بل انهم تشككوا فى نواياه ، وأعرضوا عن أخباره ، وشنوا عليه حملة شعواء ، وقالوا انه مجرد رجل فاشل يحاول أن يجرب تجارة جديدة هى تجارة الأنباء ، مع أنها لا تخرج عن المراسلات الخاصة التى عرفتها مئات المكاتب المنتشرة فى أوروبا ٠

ولكن الواقع أن هافاس قد اهتدى الى الطريق الصحيح بثاقب نظره وعظيم عبقريته وتعمقه فى تحليل الظروف السياسية

---

(١) ابراهيم امام - دراسات فى الفن الصحفى (١٩٧٢) ٠

والاقتصادية للمجتمع الذى كان يعيش فيه ، وتقديره السليم لخطورة التلغراف كوسيلة خطيرة من وسائل الاتصال ، فضلا عن احساسه الصادق بدور الصحافة الشعبية فى خدمة الجماهير • والحق أن نجاحه كان ثمرة جهاد طويل وكفاح مرير • لقد اشتغل فى بدء حياته فى عدة بنوك وخاصة فى باريس وروان ، وعمل صحفيا فى جريدة كونستتسيونيل(١) ودرس عن قرب العلاقة الوثيقة بين السياسة والاقتصاد ، وضرورة اعتمادهما على المعلومات الصحيحة فى حينها •

لا شك أن هافاس كان موهوبا ذكيا يتقن عدة لغات أجنبية ، كثير الأسفار ، واسع الثقافة ، عميق المعرفة ، عريض الاطلاع ، عانى الكثير من المتاعب والعقبات ، فكان محبا للأفكار الجديدة ومؤيدا للآراء الحرة • أما مكتبه الذى افتتحه فى باريس سنة ١٨٣٢ وأسماه مكتب الاتصال والمراسلة(٢) فقد اختار له موقعا هاما بالقرب من هيئة البريد والبورصة ومكاتب النقل • ولعل ذلك يبين لنا منذ البداية ــ وقبل تحويل مكتبه الى وكالة ــ أنه كان يدرك العلاقة الوثيقة بين الأخبار والنقل بالبريد وأسعار البورصة وأهميتها للتجار •

فلم يكن غريبا أن يحقق مكتبه المتواضع فى شارع جان جاك روسو رقم ٣ نجاحا باهرا جذب اليه أنظار الساسة والتجار والصحفيين ، فكان يصدر رسائله الخاصة ويبيعها لعملائه من المشتركين بأسعار مجزية ، كانت ارهاصا باشتراكات وكالات الأنباء المرتفعة فيما بعد • وقد ساعدته مواهبه اللغوية وقدرته على تمييز الأخبار الهامة على تحليل الصحف الأجنبية التى كانت ترد اليه ،

(١) Constitutionnel.

(٢) Bureau de Correspondance.

فضلا عن المراسلات الخاصة التى كانت تصل اليه من أعوانه المنبثين في عدة عواصم . وكان يكون منها جميعا تقارير أخبارية ناجحة ، تعد بحق خطوة رائدة فى سبيل الوصول الى نشرات الأخبار التى أخذ يذيعها فيما بعد من وكالته .

بين الاعلام والاعلان :

لقد فطن هافاس الى أن المعلومات والأخبار سلع رئيسية عظيمة الأهمية ، وينبغى أن تكون لها أجهزة متخصصة فى جمعها وتحريرها وتوزيعها وهى وكالات الأنباء ، التى تقدم خدماتها لرجال السياسة والأعمال والتجارة والمال وللصحفيين والمهتمين بكافة المسائل العامة . وقد أدرك أيضا أن المخبر الصحفى الناجح هو وكيل أو نائب عن هؤلاء جميعا فى استقاء الأنباء أو مراجعتها والتأكد من صحتها . فمراسلو الوكالات هم ورثة المخبرين الخاصين الذين كانوا يعملون فى خدمة الملوك والأمراء والتجار منذ العصور الوسطى من أجل تزويدهم بالمعلومات الضرورية لنجاح السياسة ورواج التجارة . ولعله قد أحس أيضا أن تلك الفترة التى عاش فيها وهى أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر كانت مليئة بالمؤامرات والمشاحنات والحروب والمعاهدات ، وهو جو يزدهر فيه الخبر ، كما تروج فيه أعمال وكالات الأنباء .

ويعيب النقاد على هافاس أنه قد خلط بين مهمة وكالة الأنباء ووكالة الاعلان فجمع بينهما فى صعيد واحد . حقيقة أنه فهم دور وكالة الأنباء وأهميتها ومبلغ الحاجة اليها . وكيفية الوصول الى تحقيق أغراضها ، ولكنه ضم اليها فى سنة ١٨٥٧ الشركة العامة للاعلانات التى أنشأها سان سيمونين شارل دفرييه . وجعلها تسير فى ركاب أصحاب الصحف الشعبية الجديدة زهيدة الثمن من أمثال

جيراردان . دعما لاعلانات الصحف. ثم جاء أوجست ـ ابن هافاس ـ فنظر الى الاعلام والاعلان على أنهما عمل واحد ، ولكن ينبغى أن نحكم على هافاس فى اطار عصره ، فما كان يمكن له فى ذلك الوقت أن ينجح اقتصاديا فى انشاء وكالة الأنباء دون سند خارجي من الاعلانات • أليست محنة الوكالات المحلية فى الدول حديثة الاستقلال هى قلة المال ، مما يجعلها تلجأ الى معونة الحكومات أو مساعدة الاعلانات ؟ بل ان كثيرا من الوكالات الكبرى الحديثة فى الدول العظمى تواجه أزمات مالية عصيبة • الحق أن فطنة هافاس هى التى جعلته يستعين بايرادات الاعلان للنهوض بمهمة الاعلام ، ولولاها لما استطاع أن يحقق انتصاره الخالد •

ومن ناحية أخرى ، ينبغى أن نشير الى حقيقة هامة وهى أن كثيرا من الوكالات تقع تحت التأثير الخفى للمعلنين • وتتهافت الشركات الاحتكارية الكبرى على وكالات الأنباء لتلوين أخبارها وفقا لمصالحها . وقد لمس المسئولون عن وكالات الأنباء هذه الحقيقة الصارخة . بل ان كثيرا من الوكالات المحلية التى تقع فى مأزق مالى ـ وهى غالبية الوكالات ـ معرضة للوقوع فى حبائل تلك المغريات • فالفرق بين هافاس وبين غيره هو الفرق بين من يعمل شيئا فى وضح النهار ويعترف به ، ومن يعمل شيئا تحت جنح الظلام ويتستر عنه • ولكن ذلك لا يقلل من فضل الأول ، ولا يغير من الحكم على الآخر •

ثم ان وكالة الأنباء لا تخرج عن كونها مؤسسة صحفية فى جوهرها . بل أنها مؤسسة صحفية متعددة الجوانب ، تحتاج الى كثير من التخصصات فى شتى الاتجاهات فضلا عن أن فن تحرير الخبر فى الوكالات يمتاز بالايجاز والوضوح والدقة ، لأن خدمات الوكالة مستمرة ليلا ونهارا فى نشرة دائمة لا تنقطع ، وبأسلوب تلغرافى

كان له أثره البعيد على فن تحرير الخبر الصحفى نفسه ، بل وعلى عقلية القارىء الحديث • ومما لا شـك فيه أن خدمات الوكالات بتنوعها وتخصصها وعمقها واستمرارها تتطلب جهودا مضنية ، وأموالا كثيرة ، وكفاءات نادرة ، كما أنها تحتاج الى بناء ادارى سليم ، وهذه بدورها تتطلب نفقات باهظة . لا بأس أن تأتى من ايرادات الاعلان، اذا كان متعدد المصادر بحيث لا يؤثر على السياسة الاعلامية ، كما يحدث بالنسبة للصحف الناجحة الحديثة •

الطريق الى الاحتكار :

لقد كانت ايرادات هافاس من الاعلانات هى التى مكنته من تعيين مراسلين مقيمين فى جميع عواصم أوروبا ، وبذلك استطاع أن يقدم لمشتركيه من الصحف والعملاء الآخرين أخبارا سياسية ومالية وتجارية ممتازة • ولم يكن غريبا أن تكون بداية نجـاح الوكالة هى نفس المرحلة التى قرر فيها شارل هافاس أن يشترى أكبر مكتب اعلان فى فرنسا وهو المعروف بمؤسسة بوليه فى باريس ويضمه الى وكالته • وقد ترتب على ذلك اتساع هائل فى رقعـة التعامل ، حتى شملت أكثر من مائتى صحيفة فى شتى أقاليم فرنسا ، وذلك سنة ١٨٦٠ ، عندما تعاقد هافاس معها على تزويدها بأخر الأنباء ، وكذلك امدادها بالاعلانات •

ومن جهة أخرى ، نجح هافاس فى سد احتياجات هذه الصحف الاقليمية من الموضوعات غـير الاخبارية كالمقالات والمسلسـلات القصصية والأدبيـة والفكاهية ، فضلا عن الأخبـار السياسـية والاقتصادية ، فأنشأ بذلك جهازا أشبه ما يكون بالوكالات المتخصصة الحديثة • ولولا قوة اقتصاديات الوكالة ، ورسوخ أقدامها فى ميدان التجارة ، لما أمكنها أن تستكتب عشرات الصحفيين العظام . وتعين

مئات المراسلين فى شتى العواصم . ولقد أصبح هافاس فى نهاية الأمر محتكرا لصناعة الصحافة فى جميع أنحاء فرنسا ، بل ان كافة الصحف الاقليمية كانت تعتمد عليه ، لا فى أخبارها فحسب ، بل وفى قصصها وموادها الترفيهية واعلاناتها .

وهنا تظهر خطورة الوكالات كهيئات احتكارية تسيطر على الرأى العام ، ويذهب النقاد الى أن هذاالاحتكار يفقد الصحافة حريتها وشجاعتها وشخصيتها وقوتها على النقد . بل ان الصحافة تعدو مجرد سوق لتوزيع أخبار الوكالات ، وما أشبه الصحف فى هذه الحالة بالموزع الذى يبيع بالتجزئة سلعا يشتريها من تاجر الجملة . وهل هذا هو واجب الصحافة الحرة المسئولة فى المجتمع ؟

لقد حققت وكالة هافاس بفضل جمعها بين الاعلام والاعلان أرباحا طائلة ، حتى تجاوز رأسمالها خمسمائة مليون فرنك ، وبلغت ذروة نفوذها وسطوتها فى عهد الرئيس بوانكارييه (١٩١٣ ــ ١٩٢٠) ، بل أنها نافست الوكالات العالمية الأخرى وخاصة رويترز البريطانية وولف الألمانية . غير أن تأثيرها الاحتكارى قد أخذ يطغى على سائر الصحف الفرنسية ، سواء فى المدن أو الأقاليم ، وكان خطرها محدقا بها جميعا ، وأخذ قادة الرأى ينادون بضرورة فصل الاعلام عن الاعلان ، وجعل كل منهما فى مؤسسة منفصلة عن الأخرى .

الحكومات ووكالات الأنباء :

وما كاد الانفصال بين الاعلام والاعلان يتحقق ، حتى بدأت المتاعب المالية تتوالى على الوكالة وخاصة فى فترة ما بين الحربين العالميتين . حقيقة أن هذه الفترة قد شهدت الأزمة الاقتصادية العالمية الكبرى ، الا أن تأثير فصل الجانب الاعلانى عن الوكالة قد

أظهر ضعف مركزها الاقتصادى ، خاصة وأنها تعتمد على سوق محلية ضعيفة ، وتحاول أن تقدم خدمات عالمية • وهو وضع يذكرنا بنفس العقبات التى تواجهها وكالات الأنباء المحلية فى الدول حديثة الاستقلال وخاصة فى العالم الثالث •

وخلاصة القول أن الوكالة كانت تعانى من ضائقة مالية شديدة ابتداء من سنة ١٩٣٠ ، حتى بلغ العجز فى الميزانية نحو ٣ مليون فرنك • وقد يقال ان ذلك كان نتيجة للأزمة الاقتصادية العالمية . بدليل أن وكالة أنباء رويترز هى الأخرى ارتفعت خسائرها فى نفس الفترة . غير أن حرمان الوكالة من إيرادات الاعلانات التى كانت تغطى العجز كان سببا فى تدهورها • وفى تلك الفترة كانت وكالات الأنباء قد أصبحت أجهزة لخدمة سياسات الدول الكبرى ، لا تقل عن أجهزة الدبلوماسية والأمن والجيش • وفى ١١ يولية سنة ١٩٣٨ ، تقدم جورج بونيه وزير الخارجية باقتراح يحاول به انقاذ الوكالة من انهيار محقق ، وعقد معها اتفاقا ينص على سد العجز المالى من خزينة الدولة ، وذلك لمدة عشر سنوات ، حتى تنهض الوكالة من عثرتها ، وتعود اليها قوتها •

غير أن الظروف الدولية المعروفة قد عجلت بانهيار كل شىء ، حتى فرنسا نفسها • وجاءت هزيمة سنة ١٩٤٠ الساحقة ضربة قاضية أطاحت بكل شىء • وما لبثت الوكالة أن تقوقعت فى بوردو أمام ضغط الجحافل النازية المتقدمة ، ثم انتقلت بعد ذلك الى كليرمون فران • وفى النهاية سقطت الوكالة فى يد الجيش الألمانى الذى حولها الى جهاز لدعايته . وصارت فرعا من فروع وكالة الأنباء الألمانية التى كانت تدعى المكتب الألمانى للأخبار •

ومرة أخرى ، تأكد فصل الفرع الاعلانى للوكالة عن أقسامها الاعلامية ، ففى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٤٠ صدر المرسوم الذى

يقضى بأن يحتفظ فرع الاعلان باسم هافاس القديم ، فى حين أن فرع الاعلام يطلق عليه اسم جديد هو المكتب الفرنسى للأخبار ، على غرار المكتب الألمانى للأخبار ، وما لبث أن أصبح ، بطبيعة الحال ، بوقا لحكومة فيشى • وكان من جراء ذلك انخفاض رأسمال الوكالة العامل من ١٠٤ مليون فرنك الى ٥ر٥٢ مليون فرنك •

وقد حاولت الحكومة سد العجز عن طريق الاغداق على وكالة هافاس أو بالأحرى فرعها الألمانى بمنحها شتى الاعلانات التى كانت تمنع عن المؤسسات الأخرى المنافسة ، وانتهز الألمان هذه الفرصة وساهموا فى رأسمال الفرع الاعلامى حتى ارتفع الى ١٦٢ مليون فرنك ، لكن ذلك كان حيلة للتدخل والسيطرة ، وخاصة بعد أن أصبح نصيب الجماعة الاقتصادية الألمانية ٤ر٣٢٪ من رأس المال ، بينما احتفظت الدولة الفرنسية بنصيبها الذى هبط الى ٢٠٪ ، كما انخفضت أنصبة المساهمين القدامى الى ٤ر٣٢٪ • وفى نهاية الأمر ، أصبحت سلطة الاحتلال الألمانى هى القوة الحقيقية المهيمنة على الوكالة •

صحافة المقاومة :

وفى تلك الفترة ظهرت صحافة المقاومة ، وكانت فرنسا قد اتخذت من لندن مقرا لحكومتها فى المنفى ، وتحول مكتب هافاس فى انجلترا الى وكالة فرنسية تتحدث باسم المقاومة والتحرير ، وأطلقت على نفسها أسم الوكالة الفرنسية الحرة(١) • وانتهزت وكالة رويترز هذه الفرصة فكانت تنقل عن هذه الوكالة الفرنسية أنباء المقاومة والحرب ، لرفع الروح المعنوية ، وخدمة قضية الحلفاء •

---

(١) A. F. L.

وحذت المكاتب الأخرى حذو مكتب لندن ، وأخذت تتسابق في نشر الأخبار التي تحمل معاني الأمل والحرية ، وأخذ دور الاعلام يتضح في المعركة ، فأنشئت في الجزائر وكالة فرنسا ـ أفريقيا التي تولى ادارتها بول لوي بريت المدير السابق لمكتب هافاس في لندن وذلك سنة ١٩٤٢ . وما كادت تتم عمليات التحرير ، وتنجح المقاومة في تحقيق أهدافها سنة ١٩٤٤ ، حتى انضمت هذه المكاتب المختلفة ـ التي اتخذت اسماء متعددة ـ وأصبح اسمها وكالة الأنباء الفرنسية ، وهي الوكالة التي عملت لصالح الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية في الجزائر ابتداء من شهر مارس سنة ١٩٤٤ ، وكان يديرها ويشرف عليها جيرار جوف(١) .

والواقع أن مجلس المقاومة الوطني كان قد اتخذ له وكالة تنطق باسمه في شمال أفريقيا منذ سنة ١٩٤٣ ، وهي وكالة سرية أطلق عليها اسم وكالة الأنباء والوثائق ، ولا شك أن هذه الوكالة السرية قد لعبت دورا خطيرا في جمع شمل المناضلين ورفع روحهم المعنوية وتنظيم جهودهم . وكان ليون رولان المدير السابق للخدمات الخارجية لوكالة هافاس الأصلية يوجه أعمال هذه الوكالة السرية ، وقد بذل جهودا جبارة لامداد صحف المقاومة بسيل متدفق من المعلومات الصادقة والدقيقة ، وقد ثبت أن هذه المعلومات هي التي جعلت شعلة المقاومة مضيئة دائما . ويبدو أن هذه الوكالة السرية كانت على ثقة كبيرة بالنصر ، لأنها أخذت تدرس أوضاع الصحافة وشئون الاعلام في فترة ما بعد التحرير .

وقد تعقب الألمان ليون رولان(٢) مدير تلك الوكالة السرية للأنباء والوثائق ، وأحكموا خطة البحث عنه حتى ألقوا القبض عليه

---

(١) G. Jouve.

(٢) Leon Rollin.

فى ١٥ يوليو سنة ١٩٤٥ فى أحد المعسكرات وهو يوزع فيهـا النشرات السرية ويبعث بهـا الى دور الصحف عن طريق راكبى الدراجات بينما كان القتال مستمرا . ولم يتوقف عمل الوكالة بعد اعتقال رئيسها ، فقد حل بورجون محل رولان فى قيادة حركة الاعلام السرى عن طريق الوكالة ، ونشطت الصحافة الحرة نشاطا جما ابتداء من ١٩ أغسطس سنة ١٩٤٤ ، ثم التقى المناضلون العائدون من لندن والجزائر وأعادوا انشاء الوكالة الفرنسـية للأنباء ، والتى كانت قد نشـأت فى الجزائر ـ كما سبق القول ـ وصدر بشأنها قرار ينص على أنه عند تحرير العاصمة ، تختص هذه الوكالة وحدها دون غيرها من الوكالات الفرنسية أو الأجنبية بتوزيع البيانات والبلاغات الرسمية والأخبار الداخلية والخارجية سواء فى فرنسا أو الخارج ، وذلك بالنسبة للصحافة والاذاعـة على السواء .

وكالة الأنباء الفرنسية :

وهكذا صدر القرار فى ٣٠ سبتمبر سـنة ١٩٤٤ بانشـاء مؤسسة عامة تحمل اسم وكالة الأنباء الفرنسية (١) ، وهى هيئة لها شخصيتها المعنوية وتتمتع بالاستقلال المالى ، ونص القرار أيضا على أن تكون بداية التطبيق بأثر رجعى حدد له ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٤ . وآلت ملكية مكاتب وكالة هافاس بكل معداتها وأجهزتها وأدواتها المختلفة والتى كانت تابعة لمكتب الأنباء الفرنسى الخاضع للاحتلال النازى الى وكالة الأنباء الفرنسية الجديدة . كما آلت ملكية السـندات والأوراق المالية وغيرها من الوثائق الى الوكالة الجديدة التى وضعت تحت اشراف وزير الاعلام بحيث يديرها مدير

---

(١) Agence France Presse.

مسئول يعين بمرسوم . وبالفعل تولى بورجون(١) — المعروف بنضاله فى قيادة الوكالة السرية سابقة الذكر — الاشراف على الوكالة وكان أول مدير عام لها ثم خلفه فرانسوا كريسى(٢) فى شهر أبريل سنة ١٩٤٥ .

والواقع أن وضع الوكالة الجديدة لم يكن قد تبلور بعد ، وارتفعت الأصوات التى تنادى بضرورة انشاء وكالة أنباء تعاونية بدلا من وكالة الأنباء الفرنسية الرسمية ، وثار الجدل حول علاقة وكالات الأنباء بالحكومات ، وخاصة بالنسبة للمهام الاعلامية . أما بالنسبة للمهام الاعلانية التى كان ينهض بها فرع الاعلان بالوكالة — كما رأينا من قبل — فقد استقر الرأى فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ على ضرورة التنازل عنه للدولة بحيث يتحول الى مؤسسة عامة ذات اقتصاد مختلط . وكان قد صدر قرار مجلس الوزراء فى ٣١ يناير مؤكدا أهمية استمرار الدولة فى مد الوكالة الاعلانية بأفضل الاعلانات .

أما الوكالة الاعلامية أو وكالة الأنباء الفرنسية فقد بقيت فى وضع غير مستقر ، وظلت قوانينها ولوائحها التى تسير عليها فى تغير مستمر . ويتضح لنا كذلك من خلال تعدد الرؤساء واستبدالهم على فترات قصيرة . وقد قلنا أن بورجون كان أول مدير للوكالة سنة ١٩٤٤ ، ثم خلفه فرانسوا كريسى سنة ١٩٤٥ ، ومن بعده جاء موريس نيجر(٣) سنة ١٩٤٦ ، ولكنه أوقف عن العمل وأقصى عن منصبه فى يونيو سنة ١٩٤٧ ليحل محله بول لوى بريت(٤) حتى شهر فبراير سنة ١٩٥٠ ، ثم أعيد نيجر الى

(١) Martial Bourgeon.

(٢) François Crucy.

(٣) Mauriee Nègre.

(٤) Paul Louis Bret.

وظيفته بقرار من مجلس الدولة قضى ببطلان ايقافه عن العمل وضرورة عودته الى منصبه • وفي يناير سنة ١٩٥٢ حل جاك لوسيه محل بيجر ، وعاد هذا الأخير مرة أخرى من جديد الى عمله ابتداء من شهر فبراير سنة ١٩٥٣ واستمر حتى شهر سبتمبر سنة ١٩٥٤ . عندما عين جان ماران بدلا منه •

وقد أراد جان ماران أن يضع حدا لهذه الأوضاع غير المستقرة ، وكان لا بد أن تتضح الرؤية بالنسبة للوكالة وأهدافها وعلاقتها بالدولة • فمن المعروف أن الوكالة كانت تمنى دائما بخسائر كبيرة . كما كان العجز المالي يسدد من خزينة الدولة • وهكذا أصبحت الوكالة أشبه بمصلحة حكومية ، فاهتزت الثقة بها . وصار ينظر اليها على أنها أداة في يد الدولة الفرنسية ، فأعرضت الصحف عنها . ووصمتها بالتبعية ، وتأثرت أيضا بالشك والريبة من جانب الدوائر المالية العالمية التي أخذت تتردد في تقديم القروض أو التسهيلات الائتمانية لها •

ثم برزت عدة مشروعات لعلاج أزمة الوكالة ، كان أهمها الحل التعاوني على غرار الوكالات الأمريكية والاتحادات الصحفية . وطرحت على بساط البحث مختلف الحلول ، وكان الهدف دائما هو المحافظة على استقلال الوكالة دون أن يتعرض توازنها المالي للخطر ، والحقيقة أن هذه المعادلة الصعبة التي تواجهها معظم وكالات الأنباء في العالم ، وان كانت الوكالات المحلية تواجهها بصورة حادة عنيفة ، واجتمعت عدة لجان لبحث كل مشروع على حدة ، وكان من الصعب الوصول الى قرار نظرا لأن كل مشروع من المشروعات كانت له نقاط القوة ونقاط الضعف . فهل تنشأ الوكالة على أسس تعاونية ؟ أو هل تكون هيئة مستقلة تعينها الدولة ؟ وما هو الخطر الذي يتهدد الوكالة نتيجة لتلك الاعانة من ناحية الحياد الاعلامي والموضوعية ؟

ولما وجدت الجمعية الوطنية أن المشروعات كثيرة ومتشعبة دون قرارات حاسمة من اللجان التى درستها ، اعتمد على المشروع الذى كانت قد أعدته لجنـة من تلك اللجـان برئاسة جان ماران سـنة ١٩٥٥ ، وكذلك المشروع الذى أعدته لجنة أخرى برئاسة فريدريك سبرلو ، مستشار الدولة الفخرى ، وأجرت بعض التعديلات عليهما فى شهر يوليو سنة ١٩٥٦ ، وأخيرا صدر القرار النهائى فى ١٠ يناير سنة ١٩٥٧ ونشر بالجريدة الرسمية فى ١١ يناير ، كما صدر المرسوم المنظم للوكالة فى ٩ مارس سنة ١٩٥٧ .

القانون الأساسى للوكالة :

وينص القانون الأساسى للوكالة على أنها مؤسسة عامة ذات شخصية معنوية واستقلال مالى ، ويعين مديرها العام بموجب مرسوم ، كما تحصل الوكالة على اعانة سنوية من ميزانية الدولة . وتؤكد الحكومة الفرنسـية أن هذه المسـاعدة المالية لا تؤثر بحال ما على اسـتقلال الوكالة وحيادها التام ، وانما يقصد منها سـد العجز والموازنة بين الايرادات والمصروفات . ولذلك كان من الضرورى أن ينص القانون على تعيين مراقب مالى يقوم بالاشراف على كافة النواحى المالية مع مراعاة استقلالها وبعدها عن التاثيرات السياسية .

فوكالة الأنباء الفرنسية هى مؤسسة عامة مستقلة تعمل على أسس تجارية ، ويخضع نشاطها لثلاثة التزامات أساسية هى(١) :

(١) Journal officiel de la Republique Francaise Agence France - Presse : Statut.

No. 57 - 32 du Janvier 1957 et textes d'application.

أولا : لا يجوز للوكالة بأى حـال من الأحوال أن تتأثر بأى نوع من النفوذ أو أى شكل من الاعتبارات التى من شأنها أن تعرض صحة الأنباء للخطر أو موضوعيتها للضرر .

ثانيا : يجب على الوكالة أن تزود عملاءها سواء الفرنسـيين منهم أو الأجانب بخدمة منتظمة ومستمرة من المعلومات والأخبار الصحيحة الصادقة والجديرة بالثقة .

ثالثا : تلتـزم الوكالة بأن تكون لها صـفة عالميـة من حيث الانتشـار وقوة المصادر وتعـددها ، كما تؤمن وجود شـبكة من المؤسسات التى تستطيع أن تمنحها تلك الصفة .

ويشرف على وكالة الأنباء الفرنسية مجلسان أحدهما للتخطيط والمتابعـة والمراقبـة ويسـمى بالمجلس الأعـلى ، وآخر للادارة والاشراف والتنفيذ ويدعى مجلس الادارة . ويقوم المجلس الأعلى بالاشراف على الوكالة لضمـان تحقيقهـا لأهدافهـا واحترامهـا لواجباتها والتزاماتها . ومن حق أى عميل من عملاء الوكالة ، أن يتقدم بالشـكوى عند حدوث أى مخالفة لدسـتور الوكالة أو أى هدف من أهدافها المنصوص عليها فيرفع ملاحظاته الى الرئيس أو المدير العام سواء بالنسبة للادارة أو للهيئات الصحفية أو اللجان الماليـة .

ويشكل المجلس الأعلى من ثمانية أعضاء برئاسة مستشـار للدولة تنتخبه الجمعية العمومية لمستشارى مجلس الدولة بأغلبية الأصوات ، وعضوية قاض من محكمة النقض تنتخبه أيضا الجمعية العمومية لتلك المحكمة ، وممثلين لرؤساء مجالس ادارات الصحف اليوميـة تختارهما الهيئات المهنيـة التى يمكن أن تمثل الهيئات الأخرى أو تنوب عنها . وصحفى محترف تختاره كذلك المؤسسات

والهيئات المعنية ، وممثل للاذاعة والتليفزيون الفرنسى وعضوين يتم اختيارهما من بين الأشخاص الذين تولوا مناصب رفيعة فى الخارج أو فيما وراء البحار .

ومدة عضوية المجلس ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

أما العمل التنفيـذى فى الوكالة فيقـع تحت اشراف مجلس ادارة مكون من المدير العام رئيسـا . وينتخبه المجلس من خارج اعضائه لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد وبأغلبية اثنى عشر صوتا على الأقل فى الدورات الثلاث الأولى . كما يتكون المجلس من ثمانية أعضاء يمثلون الصحف اليومية وتنتخبهم مؤسساتهم الصحفية ، ومن خمسة أعضاء يمثلون الاتحاد الوطنى للصحافة الفرنسية ، وثلاثة أعضاء يمثلون الصحافة الاقليمية ، على أن يكون أحد هؤلاء الأعضاء السابق ذكرهم نائبا للرئيس بصفة الزامية ، وعضوين يمثلان الاذاعة والتليفزيون الفرنسى ويعينهما الوزير المسئول عن الاعلام فى الدولة ، وثلاثة أعضاء يمثلون الهيئات الحكومية المشتركة فى نشرة الوكالة . ويتم تعيينهم بمعرفة رئيس الوزراء ووزير المالية ، وعضوين يمثلان العـاملين فى الوكالة بشرط أن يكون أحدهما صحفيا والآخر اداريا .

وهكذا يتضح أن ممثلى الصحافة لهم الأغلبية فى هذا المجلس الذى يتمتع بسلطات واسعة فى ادارة الوكالة والاشراف عليها . غير أن سلطة هذا المجلس من الناحية المالية خاضعة للجنة مكونة من عضوين من ديوان المحاسبة وخبير يعينه وزير المالية ، وذلك للتأكد من صحة الميزانية ومطابقتها للخطة الموضوعـة ، ويعتبر مجلس الادارة مسئولا عن ذلك ، ويمكن تغييره اذا ثبت فشله فى هـذا الصـدد .

والحقيقة أن عمل وكالات الأنباء له من الحساسية والدقة ما يجعل مراقبته ماليا ضرورة حتمية . تتطلبها الطبيعة السياسية والاجتماعية للوظائف الاعلامية . ولا بد أن تتاكد الدولة أن وكالة الأنباء ـ وهى تمثل مصادر المعلومات ومنابع الأخبار ـ سليمة غير منحرفة ، والا كان تأثيرا ضارا على الرأى العام والمجتمع . والمعروف أن وكالة مثل وكالة الأنباء الفرنسية تتكون مواردها من حصيلة مبيعاتها من الخدمات الاعلامية المختلفة . ولما كانت اشتراكات المؤسسات الصحفية لا تكفى لسد احتياجات الوكالة ، فقد أصبح من الضرورى ـ تحقيقا للتوازن المالى ـ أن تشترك مؤسسات الدولة وهيئاتها الحكومية ، وبذلك تسهم فى زيادة ايرادات الوكالة . ويتم تحديد هذه الاشتراكات الحكومية باتفاق بين الدولة والوكالة . وعلى أساس نظام الاشتراكات المعمول به بالنسبة للمؤسسات الصحفية . ولا شك أن هذه الاشتراكات الحكومية تمثل فى حقيقة الأمر معونة مستترة ، كثيرا ما تدفع الوكالة ثمنا لها على حساب المجاملة التى قد تصل الى حد التبعية ، وهذا أشد ما يؤخذ على وكالة الأنباء الفرنسية .

الوكالة والعاملون فيها :

ويبلغ عدد العاملين فى وكالة الأنباء الفرنسية نحو الألفين . ٤٠٪ منهم صحفيون . ٢٠٪ فنيون فى شئون الارسال والاستقبال والهندسة السلكية واللاسلكية . ١٥٪ يعملون فى الشئون الادارية، والباقى وهم ٢٥٪ من العمال والمستخدمين العاديين . ولا شك أن الوكالة تنمو فى مكاتبها وفى عدد العاملين بها ، فلم يكن عددهم قبل الحرب العالمية الثانية أكثر من ١٢٠٠ شخص من كافة المستويات والتخصصات .

ويلاحظ أن نصف العاملين يشتغلون فى المقر الرئيسى الذى يقع فى المبنى التقليدى القديم لوكالة هافاس فى ١٣ ــ ١٥ ميدان البورصة بمدينة باريس ، وقد سبقت الاشارة الى أن هذا المكان الذى يمتاز بتوسطه وقربه من بيوت المال والتجارة والمصارف ودور الصحف يجعله ذا أهمية بالغة · وقد تم تجديد هذا المبنى بأحدث المعدات وأدق الأجهزة الالكترونية ·

ويرجع الفضل فى تجديد الوكالة والعناية بها الى جان ماران الذى تم تعيينه مديرا لها سنة ١٩٥٤ فى فترة الادارة المؤقتة ، وقد كانت مرحلة حرجة فى تاريخ الوكالة ، ولكنه جاهد فى سبيل تحقيق الاستقرار ، ووضع اللوائح النهائية ، فلم يكن غريبا أن ينتخب أكثر من مرة لرئاسة مجلس ادارة الوكالة ·

ويعمل نصف عدد العاملين بالوكالة فى مكاتب منتشرة فى عواصم العالم المختلفة سواء منها دول الرابطة الفرنسية أو فى الخارج كما أن من هؤلاء عدد كبير يعمل فى الأقاليم خارج مدينة باريس · ويتعاون مع العاملين الفرنسيين نحو ٥٠٠ من المراسلين الأجانب ، وتحتفظ وكالة الأنباء الفرنسية بأكثر من ٩٢ مكتبا لها فى الخارج و ٧٩ مراسلا أجنبيا فى مدن أخرى ليست لها مكاتب ولكن يعمل فى كل مدينة مراسل محلى يزود الوكالة بالأنباء · وهناك ٣٩ وكالة أجنبية تحصل وكالاتها على خدمات وكالة الأنباء الفرنسية · هذا فضلا عن مسئولية الوكالة فى توزيع نشراتها على أكثر من ١٤٠ دولة · أما مكاتب الوكالة فى الأقاليم الفرنسية فتبلغ نحو ١٨ مكتبا يعمل بها نحو ٤٠٠ مراسل ·

ولا تعتمد وكالة الأنباء الفرنسية على مكاتبها ومراسيلها فى الداخل والخارج فقط ، وانما تعمل على الاستفادة من جهود الوكالات الأخرى العالمية منها والمحلية ، فهى ترتبط بعقود مع

٣٠ وكالة أنباء فى ٢٧ دولة مختلفة ، منها بطبيعة الحال الوكالات الكبرى مثل رويترز وتاس والوكالات الأمريكية والوكالات المحلية كما تعتمد الوكالة أيضا فى استقاء أخبارها على الاستماع الاذاعى . وللوكالة ثلاثة مراكز للاستماع : مركز منها للاستماع العربى فى بيروت ، والآخر فى هونج كونج تجاه الصين للعناية بالشرق الأقصى ، والثالث فى باريس نفسها .

وحيث أن باريس هى مقر المركز الرئيسى للوكالة . فان جميع الأخبار الواردة من الخارج والداخل لا بد وأن تتجمع فى هذا المركز الرئيسى . وهناك تراجع وتصاغ صياغة صحفية بالنسبة لوكالات الأنباء ، وهى صياغة تمتاز بالدقة والوضوح والايجاز . مع الاهتمام بالجانب الجوهرى من الخبر والابتعاد عن التعميق أو التلوين . وكثيرا ما يشبه الفرنسيون وكالة الأنباء بالمطحن الذى ينتج الدقيق ويوزعه على المخابز لكى تقوم بصنع ما تشاء من خبز أو فطائر أو حلوى . فوكالة الأنباء توزع الأخبار بشكل مادة خام وتتولى الصحف والمجلات والاذاعات وغيرها معالجة تلك الأخبار وفقا لسياساتها ومستوى قرائها واتجاهاتهم المختلفة سياسيا واجتماعيا وثقافيا .

مكاتب الوكالة وأقسامها :

ولكن هذا لا يعنى أن الوكالة تقدم أخبارا سطحية أو معلومات تعوزها الحيوية . فقد أصبح من أهم واجبات الوكالات الحديثة العناية بالجوانب التفسيرية ، حتى أن محفوظات الوكالات غنية بالكتب والقصاصات والمراجع والوثائق التى تساعد المحررين على استكمال الخبر ، وتقديمه بأبعاده المختلفة . فلا يكون مجرد خبر سطحى منعدم المغزى ، وهناك خدمة خاصة تقدمها الوكالة للوثائق

والمستندات والمحفوظات المرتبة ترتيبا علميا دقيقا على أحدث الأساليب • وقد قامت الوكالات الحديثة باستخدام الحاسبات الالكترونية لتخزين المعلومات والاستفادة منها فى صياغة الأخبار بسرعة ودقة متناهية •

ولا تقتصر وكالة الأنباء الفرنسية على تقديم الأخبار السياسية والدبلوماسية التقليدية ، وانما تقوم باعداد خدمات متنوعة الموضوعات ، فهناك خدمة اقتصادية لرجال المال والأعمال والتجار والهيئات المعنية بالاقتصاد ، وهناك خدمة للأخبار الرياضية وسباق الخيل • هذا فضلا عن خدمة خاصة بتقديم التحقيقات الصحفية المصورة وغير المصورة سواء فيما يتصل بالأخبار العامة أو الأخبار التى تهم بلد معين أو هيئة معينة ، ولا شك أنها تتقاضى فى سبيل ذلك أثمانا مرتفعة •

ولا يقوم العمل فى وكالة الأنباء الفرنسية على أساس جلب الأخبار وصياغتها وتوزيعها جميعها دون تمييز كما يحدث فى الوكالات المحلية البسيطة ، وانما يقوم على أساس نوعى ، بمعنى اختيار نوع الخبر الذى يهم المنطقة المرسلة اليها هذا الخبر . فأخبار اسرائيل تهم منطقة الشرق الأوسط والدول العربية بالدرجة الأولى ، فى حين أنها لا تجد نفس الاهتمام فى جنوب شرقى آسيا أو فى أمريكا اللاتينية • فمن الطبيعى أن تختلف خدمات الوكالة باختلاف المناطق التى توجه اليها تلك الخدمات • والحقيقة أن مكاتب الوكالة تقوم بمهمة أساسية وهى تصنيف الأخبار واختيارها وكتابة المقدمات لها ، بحيث تتفق فى نهاية الأمر مع الجماعات الموجهة اليها ، وتقوم أحيانا بترجمتها الى اللغة المحلية ، كما تفعل الوكالة فى مصر ، حيث توزع نشرتها باللغة العربية بعد ترجمتها فى وكالة أنباء الشرق الأوسط • فاذا أدخلنا فى

اعتبارنا ذلك العدد الضخم من المشتركين المنتشرين فى أكثر من ١٤٠ بلدا ، من بينهم ٦٠٠ جريدة وأكثر من ٣٩ وكالة محلية وغير محلية فى ٣٠ دولة مختلفة تقدم خدمات لأكثر من ١٢٫٠٠٠ مؤسسة صحفية ، فضلا عن محطات الاذاعة والتليفزيون لتصورنا ضخامة تلك الخدمات واتساعها ٠

فالأخبار التى ترد الى الوكالة من مصادرها المختلفة لا يعاد توزيعها بحذافيرها ، وانما يجرى تصنيفها وتبويبها وفقا لأهميتها وتبعا للمناطق الجغرافية والسياسية التى تنتظرها وتعنى بها ٠ ولذلك فان مكتب التحرير المركزى فى وكالة الأنبـاء الفرنسية ينقسم الى عدة مكاتب فرعية وفقا للتقسيمات اللغوية والمناطق الجغرافية ، وكذلك وفقا لطبيعة الخدمة ونوعها ٠

أما بالنسبة للتقسـيم اللغوى والجغرافى والسياسى فهنـاك المكتب الفرنسى أو ما يسمى بمكتب فرنسـا الذى يتولى تقـديم الخدمات لمدينة باريس والأقاليم الفرنسية ، وكذلك كافة البلاد الأوروبية المتحدثة بالفرنسية ، كما يقدم بالاضافة الى ذلك خدمة باللغتين الفرنسية والألمانية معا وهى توجه بطبيعة الحال الى المناطق ذات الازدواج اللغوى الفرنسى والألمانى ، مثل مناطق الالزاس واللورين وسويسرا وألمانيا وبعض مناطق شمال أفريقيا ٠ فمن المعروف أن بعض الصحف فى تلك المناطق تصدر باللغتين الألمانية والفرنسية ، بحيث تنقسم الصحيفة الى عمودين لكل لغة عمود خاص بها ، كما كانت تصدر الوقائع المصرية مثلا باللغتين العربية والتركية ، أو أنها قد تتخذ شكل صحيفة نصفها باللغة الفرنسية ونصفها الآخر باللغة الألمانية ٠

أما المكتب الأجنبى فيقدم خدماته لأوروبا وكندا والشرق الأوسط ، والمكتب الاسبانى يوجه نشرته بالاسبانية الى أمريكا

اللاتينية • ويعمل المكتب الانجليزى على اعداد النشرات الموجهة باللغة الانجليزية الى بريطانيا والدول الاسكندنافية والشرق الأقصى ، فضلا عن مكتب ألمانى يرسل نشرات الى ألمانيا الاتحادية • أما الدول الأجنبية المتحدثة باللغة الفرنسية فيما وراء البحار كدول أفريقيا وآسيا المتحدثة بالفرنسية مثل غينيا والكميرون وفولتا العليا ومالى وتشاد وأفريقيا الوسطى ولاوس وفيتنام وكمبوديا ، فتوجه اليها خدمة خاصة باللغة الفرنسية • وهناك خدمة أخرى باللغة الانجليزية توجه الى دول أفريقيا المتحدثة بالانجليزية •

والى جانب هذا التنوع اللغوى يوجد تقسيم آخر للمكاتب على أساس التخصص فى نوعية الأخبار • فهناك مثلا المكتب الاقتصادى الذى يعنى باذاعة أخبار البورصة ، وينشر أسعار الأوراق المالية والسندات والسلع والبضائع ، وقد رأينا أن هافاس منشىء هذه الوكالة كان يهتم اهتماما كبيرا بالأخبار المالية والتجارية ، فلا غرابة أن تصدر الوكالة ست نشرات يومية حول المسائل الاقتصادية ، وهذا فضلا عن الموضوعات الآسيوية والتعليقات والتحقيقات حول الجوانب الاقتصادية للأخبار • ولما كانت الصحافة الحديثة تتوجه الى عامة الشعب بسائر فئاته ومختلف ميوله واتجاهاته ، فقد أنشأت الوكالة مكتبا خاصا بأنباء الرياضة ، وهو يعنى بتغطية الأخبار الرياضية الفرنسية والعالمية ، مدعمة بالصور والأرقام وغيرها من وسائل اجتذاب جماهير القراء .

وسائل الاتصال بالوكالة :

والمعروف أن عمل وكالة الأنباء يتلخص فى استقاء الأخبار وجمعها عن طريق المندوبين والمراسلين ، ثم ارسالها للمكتب

الرئيسى فى مقر الوكالة ، وهنـاك تصنف الأخبـار وتحرر فى الصحيفة ، وذلك توطئة لتوزيعهـا على المشـتركين فى المنـاطق المختلفة • وتتلقى وكالة الأنباء الفرنسية فى مركزها الرئيسى أخبار فرنسا والخارج من المكاتب المركزية والاقليمية ، ومكاتب شمال أفريقيـا ، ومكاتب العواصم الأجنبيـة أما بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر عن طريق الوكالات المحلية فى الخارج التى ترتبط الوكالة الفرنسية معها بعقود •

ولكل مكتب من هذه المكاتب وسيلته الفنية التى يستخدمها لارسال أخباره الى المركز الرئيسى فى باريس • فالمكاتب المركزية تسـتخدم أجهزة التليفون ، وتملك الوكالة جهـازا أوتوماتيكيا ألكترونيا يتكون من ٣٨ خطا وله أكثر من ٣٠٠ اتجاه فى جميع أنحاء العالم • أما مكاتب الأقاليم التى يعمل بها المراسلون المحليون والمبعوثون الخصوصيون فانها توافى الوكالة بالأنباء عن طريق التلغراف • وهناك خطان تلغرافيان خاصان بالوكالة ، فضلا عن مكتب يتولى مهمة جمع أخبار الأقاليم وهو مزود باتصال تليفونى مباشر بسائر المراسلين المحليين فى الأقاليم •

ويتم الاتصال بين المكاتب الخارجية فى شمال أفريقيا ودول الرابطة الفرنسية عن طريق اللاسلكى ذى الاتجاهين ، وهنـاك شبكة تمتد من الجزائر والرباط الى باريس مع ملاحظة أن أنباء تونس ترد الى مدينة الجزائر عن طريق خط تيكرز ، ومنها تنقل أوتوماتيكيا باللاسـلكى الى باريس • وكذلك يرسل المبعـوثون والمراسلون فى دول الرابطة الفرنسية أخبارهم الى باريس عن طريق الاتصال اللاسلكى الذى توفره هيئة التليفون والتلغراف الفرنسية أو عن طريق راديو فرانس •

ويمكن القول بوجه عام أن وكالة الأنباء الفرنسية تتلقى الأخبار اما عن طريق التيكرز أو المبرقات اللاسلكية أو طريقة التلغراف أو بالتليكس أو بالتليفون . ويمتاز التيكرز بأنه مزدوج الاتجاه ، أى أنه يستخدم للارسال والاستقبال ، ويعمل المبرق اللاسلكى فى المناطق التى لا تتوفر فيها الاتصالات السلكية • ويستمان بالاتصال التلغرافى العادى عن طريق شركات التلغراف أو الهيئات الحكومية ، ومعظم الاتصالات بأمريكا اللاتينية تتم عن طريق التلغراف • ويعد التليكس بطبيعة الحال من أهم وسائل الاتصال ، ولكنه غير متوفر الا فى قليل من الدول المزودة بأجهزة مثل فرنسا وبريطانيا وهولندا والنمسا وغيرها •

وتلعب الوكالات المحلية دورا رئيسيا فى مساعدة وكالة الأنباء الفرنسية وتزويدها بالأخبار من شتى المناطق • وتتعاقد هذه الوكالات المحلية على ارسال أخبارها الى الوكالة الفرنسية فى باريس عن طريق تلغراف المورس أو عن طريق أجهزة هل • وفى جميع الظروف تقوم وكالة الأنباء الفرنسية باستقبال الأخبار فى مركز الاستقبال المزود بأحدث الأجهزة ، ويقع هذا المركز فى ضاحية مون فالريان بالقرب من باريس ، ومنه تنتقل الأخبار طول الليل والنهار الى مكاتب المركز الرئيسى لتصنيفها وصياغتها وتحريرها وفقا للمناطق التى ترسل اليها •

توزيع نشرات الوكالة :

أما توزيع النشرات فيتم عن طريقين أحدهما مباشر تقوم به الوكالة نفسها ، والآخر غير مباشر عن طريق الوكالات المحلية • وقد كانت وكالة الأنباء الفرنسية فى مقدمة الوكالات التى عنيت بتوزيع أخبارها عن طريق أجهزة التيكر السلكية واللاسلكية •

وتملك الوكالة ١٢٫٠٠٠ كيلو متر من الكابلات التلغرافية الممتدة على مسافات شاسعة ، كما تمتلك أيضا نحو ٢٥٫٠٠٠ كيلومتر من الأسلاك التليفونية المتصلة بالعواصم المختلفة والمرتبطة أيضا بأجهزة التيكرز فى تلك البلاد • والمعروف أن هذه الوكالة تذيع نشرات متعددة تحتوى على أكثر من نصف مليون كلمة يرسل ثلثها بالتيكرز والثلثين عن طريق اللاسلكى •

وتبعث وكالة الأنباء الفرنسية بنشراتها الى شتى دول العالم عن طريق أجهزة التيكرز السلكية أو عن طريق أجهزة التلغراف اللاسلكية • وتتولى مكاتب الوكالة استقبال هذه النشرات وتقوم باعادة صياغتها اذا تطلب الأمر ذلك ـ ثم اذاعتها عن طريق أجهزة التيكرز الموزعة على المشتركين • وقد كانت أجهزة التيكرز تتصل بالمكاتب سلكيا عن طريق التليفون ، ولكن ابتداء من سنة ١٩٥٠ استخدمت وكالة الأنباء الفرنسية أجهزة الارسال اللاسلكى للاتصال بالمشتركين • ويبدو أن كثيرا من الوكالات الحديثة تفضل هذه الطريقة أيضا ، فقد وجدنا مثلا أن وكالة الأنباء الألمانية فى همبورج تتصل بمشتركيها عن طريق التيكرز اللاسلكى •

وكما تتعاون وكالات الأنباء المحلية مع وكالة الأنباء الفرنسية فى موافاتها بالأخبار فانها تتعاون معها أيضا فى مهمة توزيع الأخبار • ولعل خير مثل على هذا وكالة أنباء الشرق الأوسط التى تتولى مهمة استقبال نشرات الوكالة فى القاهرة وكذلك ترجمتها وصياغتها ثم توزيعها على سائر المشتركين من مؤسسات صحفية واذاعية وغيرها • ويحدث نفس الشىء بالنسبة لدول الرابطة الفرنسية ، ولكن هناك بعض هذه الدول التى تتلقى مؤسساتها الصحفية نشرات وكالة الأنباء الفرنسية مباشرة •

وقد كانت وكالة الأنباء الفرنسية تقوم بارسال نشرتها الى مكتبها فى القاهرة ، ثم يتولى هذا المكتب مهمة التوزيع على الصحف والهيئات المشتركة • ولا شك أن كثيرا من مكاتب هذه الوكالة تقوم بهذه المهمة فى عدة عواصم عالمية • ولكن الوكالة الفرنسية أخذت تفضل الاستعانة بالوكالات المحلية فى بعض المناطق ، لكى تستفيد من قدرتها على التوزيع ، وفهمها للعملاء المحليين ، وذلك لا يكلفها أعباء احضار الأجهزة من فرنسا وصيانتها ، وحتى اذا فعلت ذلك بالنسبة للوكالة المحلية فانها تتقاضى منها مبالغ باهظة ، وكثيرا ما تبيعها أجهزة من طرز قديمة لم تعد تستخدمها فى باريس •

فالتوزيع اذن يتم مباشرة عن طريق مكاتب الوكالة فى الخارج، أى بطريقة غير مباشرة تقوم فيها الوكالات المحلية باستقبال النشرات وربما تترجمها قبل توزيعها على المشتركين • غير أن هناك طريقة ثالثة بالنسبة للبلاد التى لا يوجد فيها مكاتب للوكالة الفرنسية ، ولا يوجد فيها كذلك وكالات محلية • وهنا يقوم المشترك بالتقاط النشرة التى تذيعها الوكالة من الهواء مباشرة •

الباب الثالث

رويترز ـ وكالة الأنباء البريطانية

رأينا فى الباب السابق أن هافاس هو أول من أنشأ وكالة أنباء تلغرافية حديثة فى العالم وذلك سنة ١٨٣٥ ، وقد نجح مشروعه بفضل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية من جهة . ثم بفضل خبرته السابقة فى مجالات التجارة والشئون المالية والمصارف من جهة أخرى . وهكذا تحولت جهوده التى كان يبذلها فى انشاء مكاتب الأخبار الخاصة الى انشاء وكالة أنباء لخدمة الصحافة والاعلام العلنى بدلا من الاقتصار على تزويد الساسة ورجال المال والأعمال بالأخبار المنسوخة على غرار ما يتبع فى أوروبا منذ العصور الوسطى .

وفى سنة ١٨٤٨ بدأت الصحافة الفرنسية تدخل فى مرحلة من الازدهار وارتفاع التوزيع ، مما أثر بدوره على نجاح وكالة هافاس وشجعها على توسيع مجال نشاطها وتحسين مستوى خدماتها. لذلك رحب هافاس باثنين من رجال الاخبار الالمان جاءا الى باريس طلبا للعمل فى وكالته . أما رجل الاخبار الاول فهو برنهارت ولف(١) ، وأما الثانى فهو بول جوليوس رويتر(٢) . وقد يرجع السبب فى ترحيب هافاس بهما الى أنهما كانا يهوديين مثله ، أو لانهما كانا موهوبين فى استقصاء الاخبار ، أو لحاجته اليهما فى

(١) Bernhart Wolff.

(٢) Paul Julius Reuter

تلك الحقبة التى ازدهرت فيها الصحافة الفرنسية ، أو لهذه الاسباب جميعا • والمهم أنه الحقهما للعمل فى وكالته ، وعاونهما على اكتساب الخبرة اللازمة لجلب الاخبار وتصنيفها ومراجعتها واعادة صياغتها.

غير أن هذين الرجلين لم يمكثا طويلا مع هافاس • فسرعان ما عاد ولف الى ألمانيا سنة ١٨٤٩ ليعمل مديرا لصحيفة ألمانية هى ناتسيونال تسيتونج(١) التى كانت تصدر فى برلين ، حيث لمس حاجة الصحف الى الاخبار ، واهتمام القراء بها بعد أن ملوا قراءة المقالات الادبيـــة الطويلة والتعليقات الحزبية والشخصية المملة ، وآثروا الحصول على المعلومات الواقعية الموضوعية • فلم يكن غريبا أن ينشط ولف فى الاتصال بالصحف الهامة واقناعها بانشاء مكتب للأخبار يقدم خدماته لها جميعا على قدم المساواة ، وبذلك تتعاون جميعا فى دفع نفقات الأخبار التى تكلف كثيرا من المال والجهـد والخبرة • واقتنعت الصحف الألمانية بفكرة ولف الرائدة التى كان قد استقاها من أستاذه هافاس فى باريس . واســتقر الرأى على انشاء مكتب ولف للأخبار ، فكان ثانى وكالة أنباء أوروبية تنشأ فى برلين بعد الوكالة الأوروبية الأولى التى أنشأها هافاس فى باريس • ويبدو أن الوكالة الألمانية قد نجحت نجاحا باهرا حتى أنها نافست وكالة الأنباء الفرنسية وتفوقت عليها أحيانا ، وليس هذا غريبا ، فقد يبز الطالب أستاذه •

ولم يكن رويتر أقل طموحا من زميله ولف وخاصة بعد أن عرف أسرار مهنة الأخبار وأتقن فنونها وأدرك قيمة المعلومات فى ميادين السياسة والصحافة والتجارة والمال ، فحاول افتتاح مكتب أنباء له فى باريس ذاتها ولكنه لم يستطع منافسة وكالة هافاس فى

---

(١) National Zeitung.

مقر دارها فرحل الى مدينة اكس لاشابل لعله يصادف فيها حظا أفضل ، ولكن المكان الاستراتيجي لوكالة الأنباء هو دائما العاصمة الكبرى حيث مفترق الطرق ، وملتقى التيارات ، ومقر الحكومة ، وموطن البنوك والصحف الهامة .

وأخيرا ذهب الى لندن سنة ١٨٥١ ، وبدأ الطريق من أوله فافتتح عدة مكاتب للأخبار على غرار المكاتب التقليدية التى شهدها فى القارة الأوروبية ، وعنى بأنباء البورصة وأسعار الأوراق المالية والسندات ، مقتفيا فى ذلك جهود أستاذه هافاس ومترسما خطاه . فها هو يجمع بين الأخبار السياسية العامة والأخبار الاقتصادية والمالية المتخصصة ، وها هو يعمل فى عاصمة دولة كبرى كانت تضارع فرنسا وتتفوق عليها فى القرن التاسع عشر .

غير أن الصحافة الانجليزية لم تدرك أهمية جهود رويتر ، ولم تعره نفس الاهتمام الذى وجده فى الدوائر المالية والاقتصادية الخاصة . بل ان جريدة التيمس نفسها ـ وهى من كبريات الصحف البريطانية ـ نظرت الى رويتر بعين الريبة ، وظنت أنه جاء لينافسها فى جهودها التى كانت تبذلها للاتصال بالقارة الأوروبية. ولا شك أن نفقات الأخبار التلغرافية كانت باهظة رغم سرعتها . وارتابت الصحف الانجليزية فى تعميم الأخبار ونشرها بشكل علنى بين الصحف المتنافسة ، مما يقضى على السرية والكتمان وهما ضروريان للسبق والانفراد الصحفى .

غير أن رويتر لم ييأس ، وأخذ يتابع نشاطه فى اصرار عجيب ، وجازف بتقديم نشرة أنباء مجانية الى أهم الصحف الانجليزية مثل المورننج أدفرتايزر والتيمس وذلك لمدة خمسة عشر يوما . ويبدو أن ثقته بنفسه هى التى جعلته يقدم على هذه

الخطوة ، ولكنه كلل هذه المرة بالنجاح ، فاقتنعت الصحف بفكرته سنة ١٨٥٨ • ويرى بعض البـاحثين أن رويتر كان قد اكتسب الجنسية البريطانية سنة ١٨٥٨ ، وأن ذلك هو السبب الحقيقي في تبديد ارتياب الصحف وشكها فيه • وقد يكون هـذا صحيحا الى حد ما ، الا أن نشرته المجانية كانت معدة اعدادا دقيقا بطريقة جعلت الصحف لا تتردد فى طلبها باستمرار • وهكذا ولدت ثالث وكالة أنباء أوروبية فى مدينة لندن •

جهود رويتر الأولى :

غير أننـا نخطىء اذا قلنـا ان نجاح رويتر كان راجعـا الى عبقريته وحـدها • فالرجل لم يكن يعرف من اللغـة الانجليزية شيئا ، حتى ولا كلمة واحدة ــ على حد قوله • وقد رأينا أنه كان يسعى للنجاح مقلدا هافاس ومن سبقوه من أصحاب مكاتب الأخبار ، بل ان رويتر كان فى وضـع أسـوأ لأنه لم يكن يملك أى مال يستثمره • لقد كان الرجل صـاحب فكرة واضحة تلح عليـه بتنفيذها ، فهو يريد اسـتغلال اختراع التلغراف الذى ابتكره مورس سنة ١٨٣٧ لنقل الأخبار والمعلومات بسرعة مذهلة تتفوق كثيرا على وسائل النقل التقليدية بالحمام الزاجل والخيول والقوارب الصغيرة ، وهى التى كانت تستخدمها مكاتب الأخبار الأوروبية •

وعندما افتتح رويتر مكتبه الصغير فى لندن سنة ١٨٥١ كانت قد مرت ست سنوات على استخدام التلغراف لأول مرة فى بريطانيا وذلك سنة ١٨٤٥ • وفى نفس السنة التى افتتح فيها رويتر مكتبه اتصلت باريس بلندن تلغرافيا ، فكانت الظروف مواتيـة لكى تسـتخدم هذه الخطوط التلغرافيـة لنقل الأخبـار السياسـية والاقتصادية • والواقع أن جهود رويتر الأولى كانت منصبة على

عقد أكبر عدد ممكن من الاتفاقات مع الشركات التلغرافية ، فقد كان مصمما على أن يستخدم شبكة تلغرافية فى العالم لنقل الأخبار والمعلومات • وبالفعل حقق الرجل أمنيته رغم المقاومة التى لقيها من الصحف البريطانية ، كما سجل انتصارات باهرة فى السبق الصحفى مع التمسك بالدقة والأمانة والوضوح والحياد •

ولم ينس رويتر زميله الألمانى ولف الذى أنشــأ وكالته فى برلين ، كما أنه لم ينس أستاذه الفرنسى ذا الأصل البرتغالى هافاس الذى أنشــأ وكالتــه فى باريس ، ولم ينظر اليهما باعتبارهما متنافسين معه ، وانما نظر اليهما على أنهما زميــلان يعملان فى نفس الميدان ، وأن نجاحهما لا بد وأن يؤدى الى رفع مستوى هذه المهنة الجديدة ـ مهنة الاعلام عن طريق وكالات الأنباء ، وهى مهنة تحتــاج الى التأييد من الصحف والمجــلات ، لكى تظفر بالنجاح المنشــود •

والحقيقة أن ظروف تطور الصحافة نفسها كانت مواتية لرواج وكالات الأنباء ، كما أن هذه الوكالات قد أثرت فى خلق الطابع الجــديد للفن الصحفى فى أوروبا وأمريكا ثم فى مصر • فمن المعروف أن الصحافة الاوروبيــة بدأت اخبــارية ، ولم تسمح الحكومات للصحف بالخوض فى المسائل الداخلية أو التعليق عليها • فكان من الطبيعى أن تعتمد الصحف على نشر أنباء الدول الأجنبية ، وذلك عن طريق ترجمة الصحف الواردة من الخارج • ومن الطريف أن الشخص الذى أراد معرفة أخبار بلاده كان يطلع عليهــا فى الصحف الأجنبية • فأخبار انجلترا مثلا كانت تقرأ فى الصحف الهولندية أو الفرنسية ، وأخبار فرنسا كانت تقرأ فى الصحف الانجليزية أو الايطالية مثلا وهكذا •

وكان القدر المسموح به من نشر الأخبار الداخلية محدود بتلك الأخبار البسيطة الساذجة عن خوارق الطبيعة أو عن الجريمة. فقد تنشر أخبار الزلازل أو البراكين بطريقة ساذجة للغاية ، كخبر السماء التى أمطرت قمحا على مسافة بين الستة والسبعة أميال ونشرته صحيفة الأنباء الأسبوعية من ايطاليا وألمانيا والمجر ، مترجمة عن النسخة الهولندية(١) . وهكذا لم تكن تعرف الكتب الاخبارية صفات الموضوعية التى يتطلبها القارىء الحديث حين يطلع على صحيفة أو مجلة . فقد كانت محتويات تلك الكتب خليطا من الحقائق والتخمينات والشائعات والأخبار المثيرة .

وقد بدأت الصحافة الأمريكية نفس البداية الاخبارية الساذجة معتمدة على اخبارالقارة الأوروبية التى كانت ترد اليها مع السفن القادمة عبر الأطلنطى ، وكانت القوارب الصغيرة السريعة تخرج للقائها فى عرض المحيط ، وتلتقط منها اسطوانات تحتوى على بريد الأخبار فتنتشلها من الماء . ولم يكن من المتعذر رؤيتها ليلا لأن هذه الاسطوانات كانت تدهن بمادة الفوسفور المشعة . ومن السهل أن نتصور الطابع التاريخى لتلك الأخبار التى كانت تصل بعد شهور من حدوثها . والواقع أن الصحف كانت تنظر الى الأخبار على أنها وقائع تاريخية تقوم بتسجيلها وفقا لترتيبها الزمنى حتى أن الصحفى كان يرجىء نشر أى خبر جديد حتى ينتهى من نشر الأخبار القديمة فى موعدها !

---

(١) Weekly Newes from Italy, Germane, Hungaria, translated out of the Dutch Copie, published by Nicholas Bourne and Thomas Archer on May 23, 1622.

الصحافة بين الخبر والمقال :

ولم يحتفل رجال السياسة بتلك الصحافة الساذجة ، ولم يهتم رجال الاقتصاد بها أيضا ، وكان هؤلاءوأولئك يعتمدون على مكاتب الأخبار فى تزويدهم بالمعلومات فى تقارير منسوخة · غير أن هذه المكاتب أخذت تتحول الى وكالات للأنبـاء تحتكر تغطية الأخبار وتبيعها للصحف والمجلات ، فكان هـذا تطور جديد قلب أوضاع الصحافة · فمن المعروف أن الصحف قد أخذت تتدخل تدريجيا فى شئون السياسة الداخلية وتعلق عليها ، ورأت الأحزاب السياسية أن هذه الصحف هى خير معين لها على شرح وجهات نظرها والتفاف الجماهير حولها · ولم يجد كبار الشـخصيات بدا من الاستعانة بالصحف بعدما أدركوا أنها وسائل خطيرة يمكن تسخيرها للدفاع عن مذاهبهم ومقارعة منافسيهم ·

وهكذا تحولت صحافة الخبر الساذجة القديمة الى صحافة رأى ، وقد ساعد على ذلك التشريع الضريبى الذى كانت تفرضه الحكومات للحد من نشر الأخبار · والمعروف أن ثمن الصحيفة فى مستهل القرن الثامن عشر كان بنسا واحدا ، ولكن الحكومات أصدرت قانونا فى أغسطس سنة ١٧١٢ يقضى بفرض ضريبة قدرها نصف بنس على كل صحيفة « تصدر فى نصف ورقة أو أقل من ذلك » أى فى صفحتين ، وضريبة قدرها بنس واحد على كل صحيفة تحتوى على ما بين نصف الورقة والورقة الكاملة ، وكان قانون ضريبة الصحافة يحتم على الصحف أن تختم أوراقها وهى بيضاء قبل طبعها ولذلك سميت بضريبة الدمغة ·

وقد نص قانون سـنة ١٧٢٥ على أن الضريبة مفروضة على الصحف الاخبارية · وبهـذا التحديد الضيق أمكن لغـير الصحف

الاخبارية مثل المجلات وصحافة المقالات أن تفلت من نص القانون فلا ينطبق عليها • ولذلك فان هذا القانون قد ساعد على ازدهار صحافة المقالات والمجلات •

ولكن الأمور مالبثت أن تحولت مرة أخرى ، فتحولت الصحافة من الرأى الى الخبر ، ومن الحزبية الى الاستقلال ، ومن التعليق الى النبأ المجرد من الرأى • وهنا تتوافق أهداف الصحافة الحديثة مع أهداف وكالات الأنباء الناشئة • ففى بريطانيا نجد أن جون والتر الثانى صاحب التيمس ومديرها يبتكر فى مطلع القرن التاسع عشر أساليب جديدة للحصول على الأخبار من مصادرها الأولى ، وذلك بتعيين مراسلين فى العواصم والبلاد الهامة ، لكى يطلع القراء على أحدث الأخبار الصحيحة السريعة • فليس غريبا أن ترتاب التيمس فى وكالة رويترز أول الأمر وتعتبرها منافسة لها فى هذا المضمار ، ولكنها مالبثت أن أدركت الدور الحقيقى لوكالة الأنباء كمساعد للصحيفة ومعين لها • فوكالة الأنباء هى تاجر الجملة ، والصحيفة هى الموزع أو تاجر التجزئة ، ولا تناقض بين الوظيفتين ، بل العكس تماما ، فهما متكاملتان ومتعاونتان •

وقد حدث نفس الشىء فى أمريكا عندما بدأ اهتمام الصحف بالأخبار المحلية والخارجية والاجتماعية فاهتم رجال الصحافة من أمثال جيمس جوردون بنيت فى صحيفة نيويورك هيرالد سنة ١٨٣٤ وهوارس جريلى وتشارلس دانا فى نيويورك تربيون سنة ١٨٥٠ بنشر الأخبار الداخلية كالحوادث وأنباء الجريمة وأخبار الرياضة ، فضلا عن الشئون المالية والاقتصادية ، والعناية بالأحاديث وغيرها • فلم يكن غريبا أن تعتمد هذه الصحف على وكالات الأنباء ، بالاضافة الى جهود مندوبيها ومراسليها الخصوصيين •

وهكذا كان ظهور وكالات الأنباء مواكبا لتحول الصحافة من الرأى الى الخبر ، كما كان مواكبا لتطور وسائل الاتصال الحديثة كالتلغراف والتليفون . وكانت هذه الحقبة مليئة بالأحداث الكبرى . ففى أوروبا نشبت الحروب وحدثت المؤمرات والقلاقل ، فانتهز رويتر هذه الظروف لتغطية أخبار الحرب بين فرنسا والنمسا ، فكان أول مراسل يبعث بتلك الأخبار سنة ١٨٥٩ على خطوط التلغراف الحديثة الممتدة عبر القارة الأوروبية ، وهكذا أثبت رويتر خطورة عمل وكالات الأنباء بالدليل العملى المباشر .

وفى تلك الحقبة أيضا نشبت الثورة الأهلية فى أمريكا ، وتنافست وكالات الأنباء الجديدة فى تغطية أخبارها ، وبدأ عامل السرعة يدخل فى عالم الصحافة التى لم تعد مجرد تسجيل للتاريخ ـ على نحو ما كان ينظر اليها من قبل ـ وانما أصبحت وسيلة لنقل الأحداث الى القراء بسرعة ودقة . وقد كان من اليسير على الصحافة الأمريكية أن تغطى أخبار الحرب الأهلية ساعة حدوثها مثل استسلام الجنرال لى قائد القوات الجنوبية واغتيال الرئيس الأمريكى أبراهام لنكولن وغيرها .

غير أن خط الأسلاك البحرية الذى كان قد امتد عبر الاطلنطى سنة ١٨٥٨ بفضل سايبروس فيلد لم يلبث أن انقطع بعد البرقية رقم ٢٦٩ ، ولم يعد الى العمل مرة أخرى الا فى ٢٨ يولية سنة ١٨٦٦ ، وهكذا شاء سوء الطالع أن تحرم وكالة رويترز من الحصول على أخبار الحرب الأهلية الأمريكية عن طريق التلغراف . فلم يقف رويتر مكتوف اليدين ، بل قام باستخدام القوارب السريعة التى كانت تخرج الى عرض البحر لتسلم أسطوانات الأخبار ـ كما سبق القول ـ والعودة بها سريعا الى مقر الوكالة . ولم يقنع رويتر بخروج هذه القوارب لاستقبال السفن فى بحر المانش ، وانما طلب

منها أن تخرج الى أبعد من ذلك لكى تلتقى بالسفن على بعد يزيد على المائة كيلومتر عند الطرف الجنوبى الغربى لجزيرة ايرلندا • وبهذه الطريقة كانت وكالة رويترز تحصل على المعلومات بطريقة أسرع مما كانت تحصل بها الحكومة البريطانية نفسها على تلك المعلومات •

وباصرار وثقة ، مضى رويتر يحقق انتصاراته الصحفية فى أوروبا فكانت وكالته أول من أذاع نبأ هزيمة نابليون الثالث واستسلامه ، وحصل مراسل الوكالة على هذا النبأ من مصدر هام هو بسمارك نفسه ، وبلغ نجاح تلك الوكالة ذروته عندما وفقت فى الحصول على نبأ توقيع معاهدة سان ستيفانو التى أبرمت بين روسيا وتركيا قبل التوقيع عليها •

وقد كانت المنافسة بين رويترز والوكالات الأخرى شديدة ومريرة ، كما كانت نفقات تغطية الأخبار باهظة للغاية ، ومع ذلك بذلت الوكالات بسخاء ، حتى أنه حين بدأت الحرب البروسية النمساوية سنة ١٨٦٦ بعث كثير من الصحف الأمريكية بمندوبين لموافاة صحفهم بأخبارها ، غير أن الأجل القصير الذى استغرقته تلك الحرب لم يمكن المراسلين من أداء واجبهم وانتهت الحرب قبل وصولهم الى أوروبا ، ولكن مراسل صحيفة نيويورك هيرالد واصل رحلته باصرار وعناد ، وما كاد يصل الى أوروبا حتى ظفر بخبر هام وهو خطاب ملك بروسيا الذى أعلن فيه نهاية الحرب • ولكن كم تكلفت الصحيفة للحصول على هذه البرقية الاخبارية ؟ ٦٥٠٠ دولار • وهو مبلغ ضخم اذا أدخلنا فى اعتبارنا الفرق بين قيمة العملة الآن وقيمتها فى ذلك الزمان •

الاعلام الحديث ووكالات الأنباء :

وهكذا نرى أن التطورات العلمية والتكنولوجية فى مجال الاتصالات السلكية ثم اللاسلكية قد أحدثت ثورة فى عالم الصحافة ، أكبر من الثورة التى أحدثتها المطبعة ذاتها وما يتصل بها من جمع آلى ، وتصوير ميكانيكى ، وطبع سريع • فقد رأت الصحافة أن وسائل العمل التقليدية ، والنظرة الى الصحف على أنها سجل للتاريخ ، لا يمكن أن تتواءم مع الظروف الجديدة • كما أن المقالات الطويلة والرسائل الفلسفية والدينية ، والكتابات الأدبية والشخصية ، لم تعد تنتمى الى صحافة العصر •

وكان لظهور الصحافة الشعبية زهيدة الثمن أبلغ الأثر فى حدة المنافسة بين الصحف على اكتساب رضى القراء واجتذابهم اليها بمئات الآلاف • فلم يكد هارمزورث(١) ـ لورد نورثكليف(٢) فيما بعد ـ يتولى عرش الصحافة سنة ١٨٨٨ حتى لقب بنابليون الصحافة لموهبته الخارقة التى تجلت فى انشاء صحيفة الديلى ميل بالاشتراك مع كيندى جونز ، وفيها برزت أهمية الأخبار واحتلت مكان الصدارة فى الصحيفة ، سواء الأخبار الداخلية أو الخارجية ، ونجحت التجربة نجاحا منقطع النظير حتى أن الصحيفة كانت تطبع فى البداية ٣٩٥٠٠٠ نسخة يوميا ، ثم تطورت حتى أصبح ما تطبعه بعد خمس سنوات فقط من انشائها أكثر من مليون نسخة •

ومن هنا وجدنا الصحف تتسابق الى تقوية أقسام الأخبار بها وتوظف بها حشدا هائلا من الموظفين والمخبرين والمراسلين والاداريين ذوى المرتبات العالية والمؤهلات الممتازة والخبرات الطويلة والآفاق

---

(١) Alfred Harmsworth.

(٢) Lord Northcliffe.

الواسعة ، ويعمل هؤلاء جميعا على المستوى العالمى ، ويستفيدون من الاشتراك فى وكالات الأنباء المختلفة ، ويقومون بالاتصالات العديدة ، ويعرضون أنفسهم للمخاطر فى بعض الأحيان وذلك من أجل أداء واجباتهم وتحقيق قيام الصحافة على أسس اخبارية جديدة .

فالصحيفة الاخبارية هى صحيفة العصر الحديث ، لأن القراء أصبحوا لا يطيقون تلك الموضوعات القديمة المطولة ، كما أنهم لا يحفلون كثيرا بالآراء الشخصية التى لا تعتمد على الموضوعية مهما كان الكاتب أديبا ، ومهما كان أسلوبه منمقا بديعا . ان صحافة العصر هى صحافة المعلومات الصحيحة السريعة ، وقارىء اليوم يطالب بها ويصر عليها ، وقد رأينا ذلك جليا فى مصر منذ الحرب العالمية الثانية عندما تحولت الصحافة القديمة التقليدية من المقال الى الخبر ، ومن الرأى الى التحليل ، ومن الذاتية الى الموضوعية وهو نفس التطور الذى حدث للصحافة الأوروبية والأمريكية .

غير أن التحول ليس مجرد تغير سطحى ، بل انه فى نظرنا ثورة عارمة خلقت شخصية جديدة لانسان هذا العصر . ونحن لا نبالغ كثيرا اذا قلنا أن وسائل الاتصال الحديثة ووكالات الأنباء الجديدة قد غيرت تفكير البشر تغييرا جذريا ، وأصبح الانسان يترقب الأحداث العالمية السريعة فى لهفة شديدة . ان انسان العصور الماضية ، انسان عصر البريد البطىء الذى ينقل بالدواب والحمام الزاجل والخيول ، أو حتى بالقطارات والسفن قد انقضى زمانه وولت أيامه ، وحل محله انسان جديد هو انسان الاتصالات السريعة المؤهلة بالتلغراف والتليفون والراديو . ولم تعد الرزانة والبطء والتمهل والصبر من صفات الانسان الجديد المتلهف لمعرفة كل شىء

فى حينه بل وفى لحظة حدوثه • ولم يعد انسان العصر محليا ولا اقليميا ، بل أصبح عالميا يهتم بما يحدث فى كل مكان فوق الأرض ، وذلك بفضل تقدم فنون الاتصال وخدمات وكالات الأنباء •

غير أن هذا الاعلام الحديث يحتاج الى مصروفات كثيرة ونفقات باهظة ، ترتفع أرقامها كلما زادت الحوادث وكثرت الأخبار وتعددت أماكنها وبعدت مسارحها ، مما يتطلب الانتقال من مكان الى آخر بأسرع ما يمكن لابلاغ الوكالات والصحف بآخر تطوراتها ، وبيان مغزاها • والمعروف أن المراسلين لا يستطيعون تقديم الفواتير اللازمة لبيان مصروفاتهم، وتصرح لهم الصحف والوكالات بعمل أى شىء ممكن فى سبيل الحصول على الأخبار • فقد يستأجر المراسل طائرة خاصة يركبها بمفرده ، أو حتى باخرة اذا تطلب الأمر ذلك • فليس غريبا أن يصبح الخبر أغلى سلعة فى السوق ، وفى نفس الوقت أسرعها عطبا ، فليس أقدم من صحيفة الأمس •

فاذا أضفنا الى ذلك عامل المنافسة الشديدة بين الصحف ، واصرارها على الاحتفاظ بقصب السبق ، لأدركنا لماذا كان قيام وكالات الأنباء هو الحل المنطقى لهذه المشكلات جميعا • فعندما وجدت الصحف أنها تواجه متاعب جمة من الناحية المالية ، كما وجدت نفسها تسير فى طريق طويل بالغ الصعوبة ، لا يمكن أن تستمر فيه الى مداه ، فقد أصبح من الضرورى أن تنشأ هيئات متخصصة تحمل على عاتقها مهمة امداد الصحف بما يلزمها من أخبار وصور ، تلبية لحاجة القراء الجدد ، الذين يطالبون بصحافة جديدة قائمة على الأخبار والمعلومات والصور، لا الآراء والأفكار الشخصية. وهكذا استطاعت وكالات الأنباء أن تقوم بهذا العبء نيابة عن الصحف ، فهى وكيلة عنها فى تغطية الأخبار المحلية والأجنبية •

الأخبار الموضوعية وسياسة الدولة :

وهكذا أصبح لوكالات الأنباء وظائف محددة تختلف عن المهام التى تسعى الصحف للقيام بها • وقد أوضح رئيس تحرير وكالة رويترز ذلك بقوله : « ان قيمة الأخبـار عندنا لا تتحـدد بنوع الصحيفة الموجهة اليها سـواء كانت هذه الصحيفة شـعبية أو غير شعبية ، وذلك لأننا غير مقيدين بأى نوع من أنواع الصحف • فما نحن الا تجار حقائق ، وبائعى معلومات ، نسجل الخطب وأقوال الزعماء ونعمل فى خدمة كل مشترك دون تمييز بين المشتركين من داخل البلاد أو خارجها » •

ويبين رئيس التحرير رأيه من خلال خبرته واتصالاته بالصحف وتحليله لما ينشر فيها نقلا عن الوكالة بقوله : « ويتحدد شـكل خدماتنا لأننا نضع نصب أعيننا صحفا مثل التيمس والمانشستر جارديان وجلاسجو هيرالد • أما الجرائد الشعبية مثل ديلى ميل وديلى اكسبريس ، فبالرغم من اعتمادها على خدماتنا الى حد كبير ــ ونحن على كل حال نبذل أقصى الجهد فى خدمتها ــ فهى تستخدم الأنباء التى تصل اليها بنفس الطريقة ، ولا تعتمد علينـا كمـا تعتمد علينا كبرى صحف الأقاليم » •

والحقيقة أن الصحف الرفيعة الجادة تهتم بوكالات الأنباء ، كما تهتم بها صحف الأقاليم اعتمادا كبيرا لنشر الأخبار العالمية ، والموضوعات التى توافيها بها وكالات الأنباء المتخصصة ، ولكن الصحف الشعبية والصحف المثيرة تفضل الأخبار التى تتفق مع سياستها • فالوظيفة الأولى لوكالات الأنباء هى امداد الصحف بالأخبـار الهامة والحقائق الموضوعية والمعلومات المجردة • ولما كانت الوكالات تتعامل مع الصحف والهيئات ولا تتعامل مع القراء

كافراد ، فانها تهتم بتسقط الأخبار الصحيحة الدقيقة واذاعتها بأمانة وسرعة ، دون ما حاجة الى الاثارة التى تلجأ اليها بعض الصحف لترويج توزيعها •

غير أننى لا أذهب بحال من الأحوال الى أن وكالات الأنباء تفعل ذلك ، أو أنها تحقق هذا المثل الأعلى • فالوكالات أجنحة للدول . وهى مرتبطة بسياستها ، كما أنها مرتبطة بمبادئها • والأمثلة على ذلك كثيرة • فوكالة رويترز ـ التى استطاعت أن تشتهر بالموضوعية ـ لا تتورع عن تلوين الأخبار وحتى تزييفها لخدمة المصالح البريطانية • فعندما ثارت أزمة الحدود بين مصر والسودان ، تعمدت وكالة رويترز أن تذيع فى آخر الليل نبأ غريبا وهو أن القوات المصرية قد قامت بغزو السودان • ومن الواضح أن الوكالة قد تعمدت اختيار هذا التوقيت فى نهاية الليل حتى لا تتاح الفرصة لتكذيب الخبر أو تصحيحه فيظهر أثره فى الصحف الصباحية وكأنه حقيقة مجردة صارخة • وهذا مثل يبين لنا أن وكالة أنباء رويترز تصع نفسها فى خدمة السياسة البريطانية ، ولا يهمها أن تخلط بين وظيفتها الأساسية فى جمع الأخبار الصادقة الموضوعية ، ووظيفتها الأخرى التى لا تقل أهمية وهى تحقيق أهداف الدولة التى تعمل فى ظلها ، حتى ولو جنحت عن الصدق والأمانة •

وكالة رويترز فى مصر :

والحقيقة أن لوكالة رويترز قصة طويلة مع مصر والسودان وغيرهما من البلاد التى وقعت تحت سيطرة الحكم البريطانى • ويلاحظ أن وكالات الأنباء بوجه عام تعمل لخدمة الدول الكبرى وتسعى لتحقيق أهدافها، فليس غريبا أن تقوم وكالة أنباء رويترز

بمساعدة بريطانيا على نشب أظافرها فى المستعمرات ، وتبرير ذلك بشتى المبررات والذرائع عن طريق الصحافة والأخبار • وعندما كانت مصر نهبا للصراع بين فرنسا وبريطانيا ، انعكس ذلك أيضا على تسابق وكالتى تاس ورويترز لاحتكار اذاعة الأخبار فى البلاد • وكذلك كان للاتفاق الودى بين فرنسا وبريطانيا انعكاسه على الاتفاق الذى تم بين الوكالات الأوروبية الثلاث ـ تاس ورويترز وولف ـ وأصبحت مصر من نصيب وكالتى تاس ورويترز معا •

غير أن السياسة البريطانية كانت تسعى دائما لمنح وكالتها كل الامتيازات التى تجعلها متفوقة على هافاس فى المنطقة ، وكانت هذه خطتها منذ بدء اهتمامها بمصر • وقد كان الخديو اسماعيل هو أول مشترك فى نشرات رويترز ، وذلك نظير ألف جنيه كان يمنحها سنويا للشركة • ويبدو أن اسماعيل قد أوعز الى الصحف المصرية بالاشتراك فى وكالة رويترز أيضا ، بالاضافة الى اشتراكه الشخصى سابق الذكر • ولم يكد يتم الاحتلال البريطانى ، حتى كانت صحيفة الاجبشين جازيت التى تصدر بالانجليزية مشتركة هى الأخرى فى نشرات الوكالة البريطانية ، وهكذا أصبحت الدولة المحتلة تقدم معونة سخية لدولة الاحتلال ، وهى صورة من صور الظلم البغيض ، حين تضطر الفريسة الى مكافأة الصائد !

ومع ذلك فقد كانت رويترز هى صاحبة السبق الصحفى الأول فى وصف احتلال مصر وضرب مدينة الاسكندرية ، وكان شنتزلر مراسل الوكالة يبعث ببرقياته الى لندن يصف كيف تقوم بريطانيا العظمى بحماية عرش الخديو العظيم ، وكيف أنها تخمد الثورة العرابية بالحديد والنار لمصلحة توفيق • وبهذه الروح الزائفة كان شنتزلر يصف المعارك التى دارت فى كفر الدوار والتل

الـكبير بين المصريين الوطنيين وبين قوات الاحتلال البريطانية ، وكان يساعده أيضا مراسل آخر للوكالة اسـمه بيجوت وهو من أنشط مراسلى رويترز ، حتى أنه كان يوافى مقر الوكالة الرئيسى فى لندن بأنباء القتال ساعة فساعة •

ولم ينسى بيجوت أن يجامل الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا التى كانت شديدة القلق على سلامة ابنهـا دوق كونوت الذى جاء مع الحملة البريطانيـة على مصر قائدا لاحدى كتائب الحرس ، وقـد تسلمت الملكة ثلاث برقيات يوم معركة التل الكبير فى الثالث عشر من سبتمبر لتطمئن على صحة ابنها الدوق الذى نجا من الحرب ولم يمسسه سوء •

وما كاد لواء النصر يعقـد لبريطانيا فى مصر ، حتى أصبح هذا النصر نفسه حليفا لوكالة رويترز ضد وكالة تاس ، ورسخت أقدام الوكالة البريطانيـة فى مصر كامتداد للسلطة السـياسية والعسكرية لبريطانيا نفسـها • وعندما امتد نفوذ الانجليز الى السـودان ، امتـد كذلك نفوذ رويترز الى القطر الشـقيق • وقـد قامت رويترز بمصاحبـة القوات المصرية الانجليزية التى خرجت فى سنة ١٨٩٦ لاستعادة السودان من ثورة المهدى التى كانت قد نشبت سنة ١٨٨٤ . كما كان أحد مراسلى رويترز ضابطا من ضباط الحملة برتبة رائد وهو ريجنالد وينجت الذى أنعم عليه بلقب سير وأصبح حاكما عاما للسودان فيما بعد • وهذا رمز حى للتعاون الوثيق بين السياسة والاعلام بل والحرب أيضا •

ولا يفوتنا أن نذكر ما قامت به السلطة البريطانية من تسهيل اذاعة أخبار وكالة رويترز فى السودان • فقد كانت نشرة الوكالة تذاع على الجنود البريطـانيين المقيمين فى السـودان ، كما كانت

تتلقاها الهيئات الصحفية وغير الصحفية • والعجيب أنها كانت توزع مجانا على اعتبار أنها خدمة للجيش البريطانى ، فى حين أن الوكالة كانت تتقاضى اشتراكات باهظة فى مصر • ولعل السبب واضح وهو أن الصحافة السودانية لم تكن قد نشأت بعد ، كما أن السياسة البريطانية كانت تسعى منذ البداية لفصل السودان عن مصر ، والاستئثار بالسلطة هناك ، وليس أمضى من الاعلام سلاحا لتثبيت أقدام الدبلوماسيين والمحاربين على السواء •

رويتر والتلغراف والحمام الزاجل :

ويرجع الفضل فى هذا الانتصار الاعلامى للوكالة فى مصر الى هربرت رويتر الذى تولى ادارة الوكالة سنة ١٨٧٨ بينما والده بول جوليوس رويتر منشىء الوكالة على قيد الحياة ، وبدأ عمله كمدير عام للوكالة بروح جديدة فعين عددا من المراسلين البريطانيين فى أنحاء العالم ، على غير ما اتبعه والده من اختيار المراسلين من بين مواطنى البلاد التى يمثلون رويترز فيها •

ولا زالت هذه القضية تثير الجدل حتى الآن • فهل من الأفضل أن يكون مراسل الوكالة من جنسية الوكالة نفسها أو هل يكون من أهل البلد التى يقوم بتغطيتها ؟ لا شك أن المراسل الذى يختار من بين الصحفيين المحليين يستطيع أن يعرف تفاصيل السياسة ، كما أن لغته تساعده على التغطية السريعة . فضلا عن أنه لا يكلف الوكالة نفقات كثيرة لأنه مقيم فى بلده الأصلى . وهو يكون عادة صحفيا محترفا ويتولى مراسلة الوكالة بالاضافة الى عمله • غير أن هذا المراسل المحلى كثيرا ما تغيب عنه وجهة نظر الوكالة واهتمام الصحف بالقضايا السياسية والاقتصادية التى تريد أن تحصل على المعلومات بشأنها • وهنا يتفوق المراسل الأجنبى — وهو

من جنسية الوكالة ـ لأنه يستطيع أن يستقصى الأخبار من وجهة نظر شاملة غير مقيدة بالتفاصيل التى قد ينزلق اليها المراسل المحلى •

وانني أذكر في هذا الصدد أن مراسلا محليا لوكالة أنباء الشرق الأوسط في نيجيريا ـ وهو نيجيرى بطبيعة الحال ـ كان يقوم بتغطية خبر وفاة وزير الدفاع ، ولم يلبث أن انزلق في وصف تفاصيل الجنازة وما حدث فيها من مراسم وحزن الناس وغير ذلك من التفاصيل التى تكلف الكثير من النفقات حين ترسل بالبرق ، وهى قد تكون تفاصيل هامة بالنسبة للمراسل المحلى ابن البلاد ، ولكنها لا تكون كذلك من وجهة نظر الوكالة صاحبة الشأن ، فهذه التفاصيل ربما تهم القارىء الأفريقى فى نيجيريا ولكنها لا تظفر باهتمام القارىء العادى فى العالم العربى أوفى غيره من المناطق الأخرى •

على أننا نلاحظ أن هربرت رويتر قد أخذ ينحو بالوكالة منحى وطنيا لخدمة مصالح بريطانيا ، ولعله قد اختار المراسلين البريطانيين ـ على عكس سياسة والده ـ لتحقيق هذا الغرض • وقد كان من الطبيعى أن تنمو وكالة رويترز ويتسع نشاطها فيشمل الامبراطورية البريطانية ، وعلى العموم ، كانت وكالة رويترز فى بداية القرن العشرين انعكاسا لحالة الامبراطورية البريطانية فى نهاية عصر الملكة فيكتوريا ، تمرح فى رخاء ، وتعكس نجاحها فى الحروب التى خاضتها بريطانيا والازدهار الذى أصاب أقتصادها وتجارتها ، والتقدم العلمى والتكنولوجى فى المواصلات ووسائل نقل الاخبار •

والواقع أن هربرت كان يجنى ثمار الجهود التى بذلها والده منذ أن كان يقطن فى غرفته المتواضعة على سطح أحد منازل باريس الى أن أنعمت عليه الامبراطورية البريطانية بلقب بارون سنة ١٨٧٨ بعد أن ظفر باعجاب كافة الحكومات البريطانية وثقة الأسرة المالكة أيضا .

واسم رويتر الحقيقى : اسرائيل بير ، وهو ينحدر من أسرة يهودية فقيرة متواضعة يدعى عميدها صمويل ليفى جوزيفات وكان قد انتقل من مدينة فنزهاوزن الى مدينة كاسل سنة ١٨١٤ ، وهناك عمل راعيا لمعبد يهودى الى أن قضى نحبه فى سنة ١٨٢٩ تاركا ابنه اسرائيل فى الثالثة عشرة من عمره . ولم يكن غريبا أن يختار الأب لابنه عملا فى ميدان التجارة والمال ، فهذا هو شأن اليهود الذين استوطنوا مختلف بلاد العالم ، وانحصر نشاطهم فى التجارة والشئون المالية والمهن الحرة وغيرها .

وفى سنة ١٨٤٤ تحول اسرائيل من الدين اليهودى الى الدين المسيحى واختار لنفسه اسما جديدا ــ على نحو ما يفعل اليهود دائما حين يعتنقون الأديان الأخرى ــ فأصبح يدعى بول جوليوس رويتر ، وتزوج ابنة احد رجال المال فى برلين ، ومن مال حميه أنشأ مكتبا لبيع الكتب فى برلين ، وهكذا كان زواجه سبيلا لشق الطريق فى بداية حياته .

وفى سنة ١٨٤٨ ، كانت أوروبا تعج بالاضطرابات ، كما فشلت الثورة الألمانية ، ولهذا وجد رويتر أن حياته فى برلين لم تعد تلائمه فنزح منها مهاجرا الى باريس حيث التقى بهافاس وعمل مترجما فى مكتبه ، ثم اخذ يتطلع الى مهنة الأخبار ، وأنشأ لنفسه مكتبا مستقلا فى باريس سنة ١٨٤٩ ، كان يعمل فيه محررا وطابعا

ومحاسبا ومديرا فى وقت واحد ، وكانت زوجته تساعده فى أعمال الترجمة والتحرير ، وما لبثا أن أفلسا ولكن خسارتهما لم تكن كبيرة لأن المكتب كان يشغل غرفة الاستقبال فى المنزل الذى كانا يعيشان فيه ٠

وقد فطن رويتر منذ البداية بثاقب نظره وعمق خبرته فى ميدان المال والاقتصاد الى العلاقة الوثيقة بين الأحوال الاقتصادية والاضطرابات والقلاقل السياسية ، وأن الأخبار العامة تعكس اصداءها على الأخبار الاقتصادية ٠ وسوف نرى فيما بعد أن وكالة أنباء رويترز قد خصصت مكتبا خاصا للشئون الاقتصادية والمالية اسمه مكتب الكومتيل(١) ٠

وسنحت الفرصة لرويتر حين افتتحت الحكومة البروسية خطها التلغرافى بين مدينتى برلين وآخن فى أكتوبر سنة ١٨٤٩ ، وحينئذ افتتح رويتر فى آخن مكتبا ليوافى عملاءه المحنيين من رجال المال والأعمال بآخر الأنباء عن الأسعار التجارية . وعندما افتتحت الحكومة الفرنسية خطها التلغرافى بين باريس وبروكسل سنة ١٨٥٠ ، لم يعد هناك ما يحول دون الاتصال التلغرافى المباشر بين باريس وبرلين سوى مسافة صغيرة يبلغ طولها نحو مائة ميل بين آخن وبروكسل يقطعها قطار الاكسبريس فى ذلك الزمان فى تسع ساعات ولكن الحمام الزاجل يقطعها فى ساعتين فقط ٠

وهنا خطرت لرويتر فكرة استخدام الحمام الزاجل لسد الثغرة بين أكبر مراكز أوروبا التجارية ، فاتفق مع أحد هواة تربية الحمام الزاجل على أن يزوده بعشرين زوجا من الحمام تصلح

---

(١) Harold, The March of Journalism (1952) p. 331.

للطيران بين آخن وبروكسل ٠ ولضمان وصول الرسائل ، كانت تطلق ثلاث حمامات تحمل نفس الرسالة فتصل الى آخن ، حيث تتسلمها زوجته وتسجلها وتترجمها ، ثم يقوم مكتب التلغراف بنقلها الى برلين ٠

غير أن هذا التوفيق لم يستمر طويلا ، لأن الخطين التلغرافيين أخذا يقتربان من بعضهما ، وضاقت الثغرة بينهما الى أن بلغت خمسة أميال فقط ٠ وهنا استبدل رويتر بالحمام الزاجل الفرسان والخيل ، ولم يكد عيد الميلاد ينقضي سنة ١٨٥٠ حتى سدت الثغرة الأخيرة ، ولم تعد هناك حاجة للوساطة في الاتصال بين برلين وباريس ، ولم يجد رويتر بدا من الرحيل الى مكان آخر ، فذهب الى لندن حيث بدأ مغامرة جديدة ٠

النشرات المجانية وتكوين الشركة :

كان طبيعيا أن يتجه رويتر الى حي المال في لندن ، واستأجر غرفتين بمبنى البورصة الملكية وكان تاريخ العقد ١٤ أكتوبر سنة ١٨٥١ ، وبدأ نشاطه الذى زاوله بنجاح في ألمانيا وفرنسا من قبل ، وكانت تجربته في آخن خير معين له على بدء مغامرته الجديدة ، كما أن شهرته وحسن سمعته بين رجال المال والأعمال قد هيأت له فرص النجاح ٠

ولما كانت سياسة رويتر وخطته هي استغلال خطوط التلغراف الجديدة لنقل الأخبار ، فما كاد يفتتح الخط التلغرافي بين دوفر الانجليزية وكاليه الفرنسية حتى أصبح اتصال رويتر المباشر بعواصم أوروبا الرئيسية : أمستردام وبرلين وباريس وفيينا وأثينا حقيقة واقعة ٠ وهنا دبت الغيرة في قلب رجال التيمس

الذين كان لهم مراسلوهم الخصوصيون فى تلك المراكز الهامة ، ووجد هؤلاء الرجال أن رويتر قد جاء لمنافستهم ·

وعبثا حاول رويتر أن يقنع جريدة التيمس بأنه لا تعارض بين نشاط الوكالة ونشاط الصحيفة ، وأنه من الممكن الانتفاع بالخدمتين معا ، ولكن الجريدة ناصبت الوكالة العداء ، فلم يجد رويتر بدا من اقناع الصحف الأخرى بوجهة نظره · ولكن كيف يفعل ذلك؟ لجأ رويتر الى طريقة يتبعها التجار عند بدء العمل ، وهى حيلة الاعلان عن طريق العينات · وبالفعل اتصل بجريدة المورننج ادفرتايزر وكانت من أوسع الصحف انتشارا ، وعرض عليها نشرته الاخبارية كخدمة مجانية لمدة خمسة عشر يوما ، على أساس أن التجربة هى اختبار للخدمة الاخبارية التى يقدمها ، فاذا حازت القبول ، فان الصحيفة تتعاقد معه على الاشتراك فى نشرته نظير ثلاثين جنيها فى الشهر ·

وقد كان هذا العقد نقطة تحول هامة فى تاريخ رويترز ، فمجرد أن علمت الصحف الاخرى به ، سارعت الى الاشتراك فى النشرة ، وتهافتت صحف التلغراف والديلى نيوز والمورننج ستار والايفننج ستار وغيرها على تلقى برقيات الوكالة الجديدة · وأخيرا خافت التيمس أن تكون هى الوحيدة فى سوق الصحافة التى لا تنتفع ببرقيات الوكالة ، فرضخت للأمر الواقع ، وطلبت من رويترز أن توافيها بنشراتها ، وكان ذلك فى سنة ١٨٥٩ ·

وعندما تلبدت سـماء أوروبا بغيوم الحرب ، وبدأت حركة الوحدة الايطالية تحت قيادة الزعيم كافور ، دخلت وكالة رويترز اختبارا جديدا شاقا ، فكان عليها أن تغطى تلك الاحداث ، وتتابع أخبارها ، وقد فعلت ذلك فى نزاهة وموضوعية وحياد، مما استرعى

نظر الصحف الاقليمية التى آخذت تتهافت هى الاخرى على الاشتراك فى نشرة الوكالة ، نظرا لافتقار هذه الصحف بطبيعتها الى المراسلين الخصوصيين ، مع أن قراءها متعطشــون الى معرفة ما يجرى فى أوروبا من أحداث • فخرجت رويترز من هــذا الاختبار مكللة بالنجــاح ، وربحت عشرات الاشــتراكات من الصحف الاقليمية ، فكان ذلك فوزا عظيما •

وكان مبدأ المساواة بين الصحف صغيرها وكبيرها ومعاملتها معاملة واحدة ، هو الذى حبب الوكالة الى قلوب أصحاب الصحف الصغيرة ، ولم يكن يميز قط فى نشرته وبرقيــاته بين الصحف الكبرى والصحف الصغرى • وهكذا أصبحت وكالة رويترز ذات سمعة رفيعة ، وتبوأت مركزا عاليا بين جميع المؤسسات الصحفية ، وانتقل الكفاح الى جبهة أخرى(١) •

أما هذه الجبهة فهى ـ بطبيعة الحال ـ تلك الوكالات المنافسة وعلى رأسها وكالة هافاس الفرنسية ووكالة ولف الألمانية • وقد دخل عامل السرعة فى الحصول على الاخبار واذاعتها كمعيار للنجاح والتفوق • وقد رأينا كيف جاهد رويتر من أجل الحصول على أخبار الحرب الاهلية فى أمريكا والتى نشبت سنة ١٨٦١ ، وخاصة بعد توقف خط الأســلاك البحرية الممتــدة عبر المحيط الأطلسى عن العمل •

وبالرغم من أن كافة السفن كانت تقطع المسافة من أمريكا الى أوروبا فى أحد عشر أو اثنى عشر يوما ، فقد تركزت المنافسة بين الوكالات الأوروبية فى سرعة الوصول الى السفن الكبيرة التى

---

(١) Storey, Graham, Reuter's Century, Max Parrish.

تحمل الأخبار وهى فى عرض المحيط . كما رأينا كيف خصص رويتر زوارق سريعة لاستقبال السفن على بعد مائة كيلو متر عند الطرف الجنوبى الغربى من ايرلندا . وبهذه الطريقة استطاعت الوكالة أن تنافس غيرها من الوكالات ، بل انها تفوقت على الحكومة البريطانية نفسها ، اذ كانت تحصل على الأخبار قبلها بثمان ساعات على الأقل .

وما وافت سـنة ١٨٦٥ حتى أصبحت وكالة رويترز شركة برأسمال اسمى قدره ٢٥٠٫٠٠٠ جنيه استرلينى مقسمة على عشرة آلاف سهم ، ثمن السهم الواحد منها خمسة وعشرون جنيها . وفى نفس تلك السنة استطاعت شركة رويترز الجديدة أن تحصل من ملك هانوفر على امتيـاز مد خط يصـل بين انجلترا وهانوفر ، مما جعل الارتبـاط بينها وبين هامبورج وبرلين وكاسل حقيقة واقعة . ولكن هذه الاتفاقية كانت بداية المتاعب التى أخذت تتوالى على رويترز من منافسيها وخاصة الألمان .

من المنافسة الى الاحتكار :

وسرعان ما تحولت المنافسة الى احتكار ، ووجدت الوكالات أنه من الخير لها جميعا تقسيم العالم الى مناطق نفوذ ، كما يفعل رجال السياسة الامبرياليون . وبالفعل تم الاتفاق فى سنة ١٨٧٠ بين الوكالات الأوروبية الثلاث وهى تمثل القوى الكبرى فى ذلك الوقت ، على تقسيم العالم الى ثلاث مناطق ، تصول فى كل منطقة منها احدى الوكالات وتجول .

وبمقتضى هذا الاتفاق أصبح لوكالة ولف الألمانية الحق فى ممارسة نشاطها فى بروسيا والنمسا ، وأن تمارس رويترز أعمالها

فى الامبراطورية البريطانية والشرق الأقصى أما الوكالة الفرنسية فكان نصيبها الامبراطورية الفرنسية وأمريكا اللاتينية وحوض البحر المتوسط ٠

ويبدو أن هذا الاتفاق قد أرضى كل الأطراف المتنازعة لأنه جدد سنة ١٨٧٢ ، واتسعت رقعته لكى يضم وكالة الاسوشيتدبرس الأمريكية فى نيويورك ٠ وكانت هذه الاتفاقات نعمة على الوكالة البريطانية لأنهـا تمكنت من تغطية الحرب السبعينية بين فرنسا وبروسيا ، وبفضل هذا الاتفـاق كانت رويترز تصل الى معرفة الأخبار من كلا الفريقين المتحاربين ، وتنقل الأخبار فى حياد تام ٠ وقد رأينا كيف سجلت رويترز انتصاراتها فى اذاعة خبر استسلام نابليون الثالث بعد أن حصلت عليه من المستشار الألمانى بسمارك نفسه ، كما حصلت على سر المعاهدة التى أبرمت بين روسيا وتركيا فى سان ستيفانو قبل توقيعها ٠

وعندما تسلم هربرت رويتر مهمة ادارة الوكالة سنة ١٨٧٨ ، اتبع سياسة جديدة تختلف تماما عن سياسة والده ، فقد عين رئيس تحرير للوكالة ومنحه السلطة النهائية فى الشئون الصحفية ، بمعنى أنه يقوم بالحكم على صلاحية الخبر للنشر ، ويطبق مبادىء الفن الصحفى وأصوله سواء فى اختيار الأخبار أو صياغتها أو التعليق عليها ٠ فأصبحت الأخبار التى تذيعها الوكالة جاهزة للنشر ، اذ تتوفر فيها جميع عناصر الفن الصحفى وشروطه ٠

والواقع أن الوكالة قد ازدادت ازدهارا فى عهد هربرت ، وتوفرت لها عوامل النجاح بفضل سيادة مبدأ حرية رأس المـال والاستقلال ، ولكنهـا احتفظت بالمبـادىء التى أرساها منشؤها بول جوليوس رويتر وأهمهـا نشر الأنبـاء بأسرع الوسائل مع

الالتزام بالصدق فى روايتها ، وبذلك ارتفع ايراد الوكالة فى عام ١٩١٠ حتى وصل الى ٢٠٠٫٠٠٠ جنيه ٠

غير أن رويتر الأب كان يعتبر الوكالة عملا اقتصاديا ، فى حين أن هربرت رويتر الابن اتجه اتجاها وطنيا لخدمة الامبراطورية البريطانية ، وقد رأينا أنه عين جميع المراسلين من البريطانيين ، كما أنه كان يهتم برعاية مصالح الامبراطورية وتغطية أخبار انتصاراتها ، كما حدث فى مصر والسودان وجنوب أفريقيا وغيرها ٠

والحقيقة أن هربرت كان شخصية عاطفية بعكس والده العصامى ٠ وربما نلمح هذه الصفات حتى فى طريقة وفاة كل منهما ٠ فقد توفى الأب سنة ١٨٩٩ فى مدينة نيس حيث كان يخلد الى الراحة والاستجمام ، أما الابن هربرت فقد مات منتحرا برصاص مسدسه تاركا رسالة موجهة الى روح زوجته التى كانت قد توفيت قبله بثلاثة أيام يقول فيها أنه آثر اللحاق بها سريعا ، وكان عمره عندئذ ثلاثة وستين عاما ، قضى منها أربعين عاما فى خدمة الوكالة التى أنشأها والده ٠

رويترز وكالة الامبراطورية :

مرت وكالة رويترز ، اذن ، فى حقبتين ، الحقبة الأولى منذ نشأتها سنة ١٨٥١ حتى سنة ١٨٧٨ ، وهى مرحلة التكوين التى أشرف عليها بول جوليوس رويتر الأب وتمتاز بالتؤدة والتروى ومحاولة الحياد بقدر الامكان ، ثم تأتى الحقبة الثانية وهى التى تولى فيها هربرت رويتر ادارتها والاشراف على سياستها ، تاركا التنفيذ لرئيس التحرير الصحفى ، ولكنه ارتبط ارتباطا واضحا

بالسياسة البريطانية ، وأسهم اسهاما وفيرا فى خدمة الامبراطورية، ولعلنا نلحظ هنا بوضوح ذلك الدور الأساسى الذى يلعبه الاعلام بالتعاون مع كل من الدبلوماسية والأعمال العسكرية لتحقيق استراتيجية الدولة وأهدافها .

وبعد وفاة هربرت رويتر تبدأ المرحلة الثالثة من مراحل تطور الوكالة سنة ١٩١٦ ، عندما تتحول من الملكية الفردية لتصبح شركة تضامن تحت اسم «رويترز ليمتد» وقد لعب اليونيون بنك فى اسكتلندا دورا فى المساندة المالية للشركة الجديدة التى أعيد تنظيمها ، ونسقت ادارتها ، وأصبح رودريك جونس مدبر أمورها ومخطط سياستها الجديدة ، وخاصة عندما عين عضوا منتدبا لمجلس ادارتها .

ويبدو أن رودريك جونس كان متشبعا بالفكرة الأمريكية التى تعتبر وكالة الأنباء هيئة تعاونية أو اتحاد تشترك الصحف فى عضويته ، فنجده يطلب من وكالة البرس اسوسيشن — وهى وكالة بريطانيا المحلية التى تغطى الأخبار الداخلية — وكذلك من الصحف اللندنية والاقليمية أن تتضافر لشراء أسهم الشركة الجديدة ، وتصبح مالكة حقيقية لها . ولما كانت برس اسوسيشن التى تمثل صحافة الأقاليم قد قبلت شراء معظم الأسهم ، بينما رفض أصحاب الصحف اللندنية الذين يمثلون اتحاد ملاك الصحف تلك الصفقة ، فقد أصبحت وكالة رويترز فى يد البرس اسوسيشن سنة ١٩٣٠ وامتلكت جميع أسهمها . غير أن اتحاد ملاك الصحف ما لبث أن قام بشراء نصف الأسهم ، ولذلك أصبحت الوكالة بمثابة اتحاد تشترك فيه الوكالة المحلية والصحف الاقليمية التابعة لها ، وكذلك الصحف اللندنية ، وهذا هو ما أراده رودريك جونس .

ولما كانت وكالة رويترز تمثل الامبراطورية البريطانية اعلاميا ، كما أن تمثيلها قد اتسع بعد ذلك ليشمل دول الكومنولث، فلم يكن غريبا أن يشترك فى ملكية الوكالة الى جانب اتحاد ملاك الصحف والبرس اسوسيشن وكالات الأنباء التى تمثل استراليا ونيوزيلندا والهند وذلك ابتداء من سنة ١٩٤١ ، عندما كانت الحرب العالمية الثانية فى أخطر مراحلها .

محنة الحرب العالمية الثانية :

والواقع أن الحرب العالمية الثانية قد كانت محكا لوكالة رويترز من ناحيتين : أما الناحية الأولى فهى دورها كهيئة اعلامية فى النواحى السياسية والعسكرية ، وأما الناحية الثانية فهى علاقة الوكالة بالحكومة البريطانية .

فعندما ألقت ألمانيا النازية بكل ثقلها فى الحرب ضد بريطانيا، وشنت عليها الغارات العنيفة المكثفة ، لم تفقد رويترز الأمل ، وسارعت باتخاذ مقر لها ، بالاضافة الى مقرها المعروف فى شارع الصحافة « فليت ستريت » وكان مقرها الذى اتخذته بصفة سرية فى بارنيت ، بحيث يمكن استخدامه عند ضرب المقر العلنى فى فليت ستريت .

وحتى أولئك المراسلون والفنيون الذين كانوا يعملون بمكاتب الوكالة فى البلاد التى سقطت فى أيدى الألمان ضربوا مثلا رائعا فى البطولة والاخلاص والمثابرة . فقد ظلوا يراسلون الوكالة ويصفون غزو الألمان لتلك البلاد حتى آخر لحظة ، ثم تمكنوا من الفرار بعد ذلك ليقوموا بخدمة بلادهم فى مواقع جديدة .

وقد رأينا فى الباب السابق أن وكالة هافاس قد سقطت فى يد الألمان عند احتلالها لباريس ، ورأينـا أيضا أن الاحرار من الصحفيين كونوا وكالتين تمثلان حركة التحـرير والمقـاومة • أما الأولى فكانت فى شمال أفريقيا وأما الثانية فكانت فى لندن نفسها • وقد استطاع الحلفاء أن ينسقوا أعلامهم تنسيقا رائعا لا يقل عن التنسيق العسكرى ، وقامت رويترز بنصيب كبير فى التعاون مع وكالتى فرنسا ، وكذلك مع وكالات الانباء الامريكية • ومن الطريف أن وكالة أنبـاء رويترز قد اضطرت تحت ضغط الغارات الجوية العنيفة وظروف الحرب القاسية الى استخدام الحمام الزاجل فى نقل الرسائل ، وهى نفس الطريقة البسيطة التى كانت تستخدمهـا هذه الوكالة وغيرها عند ظهورها فى منتصف القرن التاسع عشر •

وبفضل دقة تنظيم هذه الوكالة لم يشعر المشتركون فيها بأى تقصير أو اهمال فى أعمالها المتصلة ليل نهار حتى فى أشد الاوقات دقة ، وفى أحلك الايام حين كانت قنابل الالمان تتساقط على لندن دون حساب والحرائق تندلع فيها دون توقف • وبالرغم من ضرب الخطوط التليفونية، لم ييأس الصحفيون والفنيون رغم اضطرارهم الى اللوذ بمقر الوكالة الاحتيـاطى فى بارنيت • وهنـاك عاش العـاملون فى الوكالة من المسئولين عن أخبار ما وراء البحـار لا يغادرون مكانهم أبدا ، فكان طبيعيا أن تكلل جهودهم بالنجاح والنصر ، حتى أن الحكومة البريطانية ذاتها أصبحت تعتمـد فى تسقط أخبارها الصحيحة عن سير الحرب على الوكالة ، كما اعتمدت عليها أيضا فى الحرب العالمية الأولى •

أما عن علاقة الوكالة بالحـكومة البريطانية فيرجع الى بداية الثلاثينات من هذا القرن عندما ظهرت فى العالم قوى الفاشية

والنازية ، وتطورت دعايتها الى حد يهدد حرية الاعلام تهديدا خطيرا . وأصبحت العـداوة بين الدول الديمقراطيـة والدول الدكتاتورية عداوة صريحة فى الميادين السياسية والاقتصـادية والعسكرية والاعلامية على السواء . ثم تطورت الى الاعلام فأصبح دعاية جماهيرية شاملة سواء بالنسبة للداخل أو الخارج ، وبدأت حرب الاذاعات وحرب الأفلام ، ودخلت وكالات الأنبـاء فى تلك المعمعة .

وذهب فريق من الانجليز الى أنه ينبغى مواجهة الشر بالشر والعدوان بالعدوان وأنه يجب على الاعلام البريطانى أن يقتفى أثر الاعلام الايطالى والألمانى ويكيل لهما الصاع صاعين مستخدما نفس الأسلوب فى المبالغة والتهويل حينا وعرض أنصاف الحقائق حينا آخر . ورأت السلطات الانجليزية أن ظروف الحرب القاسية تقتضى ألا يقال الحق ، أو على الأقل لا يقال كل الحق ، وأنه لا بأس من المبالغة أحيانا أو التهوين من الحدث أحيانا أخرى .

ولكن سرعان ما تغيرت وجهـات النظر واختط الاعـلام الانجليزى لنفسه خطة جديدة لا يزال يعرف بها حتى الآن ، ولعلها السبب فى شعبية الاذاعة البريطانية ، واشتهارها بالصدق ، وكذلك شهرة وكالة رويترز على أنها من أكثر الوكالات تمسكا بالحقائق . والواقع أن الاعلام الانجليزى ليس اعلاما صـادقا بقدر ما هو اعلام واقعى عملى يتحرى الدقة فى تجنب كل ما يمكن أن يكتشف كذبه . فلا مانع لدى الداعية الانجليزى من الكذب . ولكن بشرط ألا توجد الوسائل لدى الجماهير لاكتشاف ذلك الكذب .

وهكذا نجد أن وكالة أنباء رويترز قد التزمت جانب الصدق وحسن العرض وحرية العمل ، ولم تكن تذيع الأخبار التى ترضى

السلطات البريطانية فقط ، كما فعلت الوكالات فى الدول الدكتاتورية ، ولكنها كانت تنظر الى الموقف نظرة واقعية موضوعية وترفض أن تكون مجرد بوق للحكومة أو وسيلة رخيصة للدعاية • وليس معنى ذلك أنها لم تقدم خدمات جليلة للحكومة البريطانية وقضية الحلفاء ، بل على العكس من ذلك نجد أن هذا الموقف الشبيه بالحياد كان أعظم خدمة أدتها الوكالة لبريطانيا وللغرب بوجه عام •

ولذلك بقيت رويترز فى المكان الأول بين وكالات الأنباء العالمية فى تلك الفترة الحرجة المليئة بالأحداث ولقيت ترحيبا ظاهرا فى جميع صحف العالم ، وتفوقت على الوكالات الأمريكية ذاتها ، لأنها استطاعت المحافظة على استقلالها عن الحكومة البريطانية فى كثير من المواقف والظروف التى تعرضت لها •

وقد حاولت الحكومة البريطانية أن توجه وكالة رويترز توجيها خاصا فى بدء الحرب العالمية الثانية ، وسنحت لها الفرصة عندما تدهور الموقف المالى للشركة ، وسارعت وزارة الاستعلامات لتقديم الخدمات الى الوكالة ، ومنحتها تسهيلات مكنتها من توسيع شبكة اتصالاتها الى كثير من البلاد « دون زيادة فى التكاليف » ـ وهى عبارة توضح طبيعة تلك الرشوة المقنعة • وجاء تبرير ذلك العمل بأنه وسيلة لجعل الوكالة البريطانية فى موقف قوى لمواجهة الوكالات التى تعيش على معونة الاعلانات ، أو على المساعدات المقدمة من الحكومات الأخرى •

وكالة رويترز والكومنولث :

غير أن وكالة أنباء رويترز لم تقبل الاستمرار فى تلقى الاعانة الحكومية ، وانتهزت فرصة اعادة تنظيمها سنة ١٩٤١ • فألغت

الاتفاق بينها وبين الحكومة ، ولجأت الى وسيلة أخرى تستطيع بها أن تدعم خدماتها دون الالتجاء الى المعونة الحكومية ، وهى وسيلة التعاقد مع الوكالات الأخرى ، فتعاونت معها كثير من وكالات الأنباء العالمية والمحلية . ولم تكتف الوكالة بمجرد التعاقد لتبادل الأنباء ، بل انها سعت لامتلاكها وجعلها شريكة لها ، وهذا نوع من الاحتكار الذى يتجلى فى وكالات الأنباء العالمية ، وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

والحقيقة أن أسلوب الامتلاك والاحتكار قد اتبعته رويترز منذ أوائل القرن العشرين . فقد قامت رويترز بشراء وكالة الأنباء الهندية سنة ١٩٠٥ ، وأصبحت تعمل كفرع من فروعها . وان كانت معظم وظائفها ظلت فى أيد هندية ، وأطلق عليها اسم « اسوشيتد برس أوف انديا(١) » .

وفى سنة ١٩٤٨ قررت الصحف الهندية انشاء جمعية تعاونية باسم « بريس تراست أوف انديا(٢) » واتفقت مع رويترز على شراء الاسوشيتدبرس أوف انديا على أن تكون الشركة الجديدة شريكة فى رويترز وعضوا فى اتحادها .

ومن المعروف أن هذه الجمعية الهندية تضم ملاك الصحف اليومية والأسبوعية ويبلغ عددها نحو ٢٥٠ صحيفة ويمتد نفوذها الى سيلان وبورما ، ولها هيئة مستقلة تمثلها فى لندن وتتبادل الأخبار بينها وبين سيلان وبورما والملايو وبلاد الشرق الأقصى ، كما تقدم خدمات تجارية ومالية .

---

(١) A. P. I.

(٢) P. T. I.

وامتد نفوذ رويترز الى جنوب أفريقيا أيضا ، عندما تألفت شركة باسم رويترز وعاشت من سنة ١٩١٠ حتى سنة ١٩٣٨ ، حين أنشئت وكالة سوث أفريكان بريس اسوسيشان وتعاونت كذلك مع لندن تعاونا وثيقا ، وحدث نفس الشيء بالنسبة للوكالة الاسترالية سنة ١٩٤٦ ، ثم بالنسبة لينوزيلندا بعد ذلك ، وكانا يمثلان فى مجلس ادارة رويترز بعضوين ٠

وكذلك تعاونت وكالة كنديان برس مع رويترز ابتداء من سنة ١٩١١ ، وأخذت الوكالات المحلية الاخرى فى أنحاء العالم تحذو حذوها مثل وكالة انتارا الاندونيسية المؤسسة سنة ١٩٣٧ فى جاكارتا وتعاقدت مع رويترز سنة ١٩٥١ ، ووكالة بارس الايرانية ، وكيودو اليابانية والاسوشيتدبرس الباكستانية وبلجا البلجيكية وغيرها ٠

وبعد الحرب العالمية الثانية حاولت رويترز استعادة مجدها فى أوروبا وأمريكا والشرق ولكنها اصطدمت بمنافسة الوكالات الاخرى وخاصة الوكالة الفرنسية والوكالات الامريكية ٠ وحتى ألمانيا لم تستطع رويترز أن تتجاوز بتأثيرها منطقة نفوذها فى هامبورج ، وفشلت بطبيعة الحال فى اختراق الستار الحديدى رغم محاولاتها المضنية ٠

وفى نهاية الأمر نظمت شركة رويترز نفسها بطريقة تجعلها بمنأى عن كل اشراف حكومى ولتضمن الحياد والموضوعية فى أخبارها ٠ فشركة رويترز هى بمثابة اتحاد يمثل صحافة العاصمة وصحافة الاقاليم بالاضافة الى عناصر من الكومنولث لتمثيل استراليا ونيوزيلندا والهند . ويشكل مجلس ادارة رويترز بطريقة تجعل تمثيل هؤلاء الشركاء متوفرا ، فصحافة لندن

يمثلها أربعة أعضاء ، وصحافة الأقاليم يمثلها أربعة أعضاء أيضا ، أما صحافة الكومنولث فيمثلها ثلاثة أعضاء ، وبذلك يكون مجلس رويترز مكونا من أحد عشر عضوا ٠

ويراعى المجلس ضرورة استقلال الوكالة وبعدها عن التأثر بالعوامل الخارجية والضغوط الأجنبية ، والمفروض أن رويترز لا تهدف لأغراض مادية وان كانت تدار على أسس تجارية ٠ ولكن مما لا شك فيه أن هذه الوكالة تعمل لخدمة السياسة البريطانية ، ويتضح ذلك جليا من تحليل نشراتها الاخبارية ٠ ويتكون دخل رويترز من اشتراكات الصحف ووكالات الأنباء ومحطات الاذاعات وغيرها من المؤسسات والمنظمات ٠

ويتضح لنا مما سبق أن وكالة أنباء رويترز لم تقبل الاعانة الحكومية الصريحة كما فعلت وكالة الأنباء الفرنسية ، ولكنها فضلت أن تكون اتحادا تمثل فيه الصحف والوكالات ، وقد أعلنت رويترز فى التقرير الذى رفعته سنة ١٩٤٨ الى اللجنة البريطانية الملكية الخاصة بالصحافة أنها تعارض مبدأ قيام الوكالة على أساس المعونات الحكومية ، لأن ذلك يخلق بالضرورة نوعا من التحيز والتبعية ، بل انها ذهبت الى حد رفض أى حقوق تميزها عن غيرها من الصحف ، لأنها وجدت فى ذلك نوعا من الرشوة المقنعة ٠

ويشرف على ادارة رويترز مجلس ادارة مكون من أحد عشر عضوا ، ولكن ليس للمجلس رئيس ثابت وانما تكون الرئاسة بصفة دورية بين سائر الأعضاء ٠ وللوكالة مدير عام يتولى الاشراف على الأعمال الصحفية والفنية ويجتمع بأعضاء مجلس الادارة الذى يمثل وكالة الأنباء الانجليزية المحلية واتحاد ملاك الصحف وممثلى وكالات الكومنولث مرة كل شهر ٠

مكاتب رويترز والعاملون بها :

والعمل الرئيسى لوكالة أنباء رويترز هو استقاء الأخبار وتصنيفها وصياغتها وتوزيعها على المشتركين سواء الأعضاء فى ملكيتها أو غير الأعضاء فى تلك الملكية دون تحيز لأى من الفريقين • ومصادر الأنباء بالنسبة لوكالة رويترز متعددة • فتصلها الأخبار من الوكالات المشتركة فى ملكيتها وأهمها وكالات نيوزيلندا واستراليا والهند والمملكة المتحدة وايرلندا • وتردها كذلك الأخبار من الوكالات المتعاقدة معها على أساس التبادل مثل وكالة الأنباء الفرنسية والأسوشيتد برس الأمريكية والكنديان بريس فى كندا والسوث أفريكان بريس اسوسيشان(١) فى جنوب أفريقيا ، فضلا عن وكالة تاس السوفييتية •

وللوكالة مكاتبها ومراسلوها فى الخارج • فهناك مكاتب كبيرة فى العواصم والمدن الهامة مثل نيويورك وباريس وروما وفرانكفورت والقاهرة وبيونس أيرس • وتعمل هذه المكاتب ليل نهار وبها عدد كبير من الصحفيين والفنيين الذين يقومون بارسال الأخبار الى المركز الرئيسى فى لندن واستقباله فيها ، فهى مكاتب مجهزة فنيا ، ويعمل فيها عدد من المراسلين المحليين تحت اشراف مدير المكتب الانجليزى وبعض مساعديه من الانجليز أيضا ، ولكن لا شك أن المراسلين المحليين يستطيعون أداء خدمات لا غنى عنها ، وخاصة بالنسبة لمعرفتهم البلاد والمامهم بسياستها واتصالهم بكبار شخصياتها •

وهناك مكاتب تأتى فى مرتبة تالية للمكاتب الكبرى كمكاتب جنيف وستوكهلم ولا يعمل فيها عدد كبير من الموظفين انما يكتفى

---

(١) S. A. P. A.

باثنين أو ثلاثة يعاونهما اثنان أو ثلاثة من المراسلين المحليين ، ولا يصل العدد الى عشرة أفراد أو خمسة عشر فردا كما هو الحال فى المكاتب الكبرى • كما أن بعض البلاد يوجد بها مراسل واحد ليس له مكتب أو أجهزة ، وانما يرسل أخباره من خلال وسائل الاتصال العامة كهيئات التلغراف أو هيئات التليفونات التى تملكها الحكومات أو الشركات •

ويربو عـدد المشـتغلين بوكالة رويترز على الألفين ، يعمل أكثر من نصفهم فى خارج البلاد بالمكاتب الكبرى أو المتوسطة ، أو يعملون مراسلين فى بعض المدن ذات الأهمية الخاصة • وتستعين وكالة رويترز ببعض المراسلين المنتسبين من أهالى البلاد ، وهم عادة صحفيون محليون يقومون بتزويد الوكالة ببعض الأخبار • وتصر رويترز فى كثير من الأحوال على أن يكون المراسل ملما بلغة البلد التى يعمل فيها •

وبعد أن تتلقى الوكالة أخبارها من الوكالات المحلية والعالمية ومن مكاتبها ومراسـليها فى الخارج ، يقوم المحررون والمراجعون بتصنيف الأخبار وصياغتها واعدادها للتوزيع على المشتركين • ولا شك أن الأخبار تتعرض لدراسة عميقة رغم سرعتها ، حتى يتأكد الرؤساء أنها صحيحة وتتمشى مع اتجاهات الوكالة ودستورها.

أما بالنسبة لتوزيع أخبـار الوكالة فمن الطبيعى أن تتنوع النشرات بتنوع المنـاطق الجغرافية وبالتـالى تنوع اهتماماتهـا السياسية والاقتصادية • وتختلف أساليب التوزيع باختلاف الجهات المشتركة • فالصحف اللندنية مثلا تتلقى نشرة رويترز مباشرة ، أما الصحف الاقليميـة فهى تتلقـاها عن طريق وكـالة البرس اسوسيشن التى تمد وكالة رويترز بأخبار بريطانيا الداخلية وتقوم

بتوزيعها فى الخارج ، وذلك بواسطة التيكرز أو بأجهزة هل اللاسلكية ٠

ولرويترز مكتب هام فى نيويورك يقوم بتلقى الأخبار من لندن وتوزيعها على شتى الصحف الأمريكية ، وبنفس الطريقة يتلقى مكتب تورينو التابع لوكالة أسوشيتد برس الأخبار فى كندا ٠ وترسل الوكالة نشراتها الى وكالات الأنباء فى الكومنولث وخاصة استراليا ونيوزيلندا والهند ، فضلا عن الدول الأفريقية التى كانت عضوا فى الكومنولث مثل روديسيا وجنوب أفريقيا وغيرها ٠

ولا تقتصر خدمات الوكالة على الأخبار العامة فقط ، اذ أنها تقدم خدمة هامة للغاية فى الميدان الاقتصادى والتجارى عن طريق هيئة معاونة لها صفة الشركة الفرعية تسمى مكتب الكومتيل ، كما تقدم خدمات أخرى مصورة ، فضلا عن قسم التحقيقات الصحفية ٠ ولا يقتصر الأمر على مجرد نشر الأخبار ، بل أن هناك تعليقات يكتبها كبار المحررين والاقتصاديين ، وهم فئة ممتازة تقدم نشرات اقتصادية ذات وزن كبير فى دوائر المال والأعمال ٠

ورغم أنه من الصعب معرفة رأسمال وكالات الأنباء ، لأن ذلك يحاط عادة بالسرية والكتمان ، فانه يقال أن رأسمال الشركة قد بلغ أكثر من ٤ مليون جنيه استرلينى بعد أن دخلت الصحف الاسترالية والنيوزلندية والهندية شريكة فى الاتحاد ٠ وينظر الى وكالة أنباء رويترز على أنها مؤسسة عامة تهم الدولة ، ولا يمكن تداول أسهمها الا بمعرفة وموافقة وزير العدل البريطانى ٠

ومرة أخرى نلاحظ أن وكالة أنباء رويترز ـ شأنها شأن وكالة الأنباء الفرنسية ـ تحاول أن تستغل الوكالات المحلية فى تغطية

الأخبار ، وكذلك فى توزيع النشرة ، وهكذا تتحول هذه الوكالات المحلية الناشئة الى مجرد مكاتب توزيع للوكالات الكبرى ، وهذا يخفف من العبء الادارى والاقتصادى على الوكالات العالمية ، فى حين أنه يقلل من الجهد الابتكارى الذى من المفروض أن تبذله الوكالاتالوطنية الناشئة. ومن ثم، نرى أن سياسة الوكالاتالكبرى هى احتواء الوكالات المحلية الوطنية الصغيرة وجعلها تسير فى فلكها وتردد أخبارها ، وكأنها تعمل لحسـابها ، مع أن الحكمة من وجود هذه الوكالات المحلية هو عكس ذلك تماما ، فهى قد أنشئت أساسا لاسماع صوت خفيض لا يجد وسيلة لنقله الى الرأى العام ، وليس لاذاعة صوت ضخم يعرفه الناس فى كل مكان . ويسيطر سيطرة احتكارية على جميع أنحاء العالم .

الباب الرابع

الدور السياسى والاقتصادى لوكالات الأنباء

تتعامل وكالات الأنباء مع الصحف والاذاعات والهيئات فى تجارة المعلومات وهى تجارة لها خصائصها المختلفة تماما عن التجارة العادية للسلع والمنتجات • فبينما يكون التعامل بالنسبة للسلع المادية ملموسا ، يمكن قياسه وتقدير نتائجه على أسس احصائية سليمة ، مبنية على دراسة السوق ، فاننا نجد أن للأخبار ـ سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ـ سوقا فريدة تؤثر على عقول الناس ونفوسهم • ومن هنا ، تتصل عملية الاعلام بالتغيير الذى قد يصل الى حد الثورة فلا غرابة أن تهتم الحكومات ـ على اختلاف نظمها ـ اهتماما كبيرا بالأخبار وأجهزتها ، وأهمها وكالات الأنباء •

وقد رأينا أن وكالات الأنباء تمثل تجارة الجملة فى سوق المعلومات ، ولكن الأخبار من السلع القابلة للغش كأى سلعة أخرى، بل لعلها أكثر قابلية للغش ، اذ يمكن عرضها بكثير من التلوين والتمويه واساءة القصد والمبالغة بالحذف أو الاضافة ، ولذلك كانت أهم معايير العمل الصحفى الناجح فى سوق الأخبار هى الدقة والموضوعية والحياد ، ما استطاعت الوكالات الى ذلك سبيلا . وان كنا سنرى أن هذا السبيل جد عسير ، نظرا لتداخل عمل الوكالات مع شتى الميادين السياسية والاقتصادية •

وفى عالم اليوم الذى تتصارع فيه الدول سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، وتتعقد فيه أساليب الدعاية وفنونها ، وخاصة فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة ، تلعب وكالات الأنباء دورا وثيق الصلة باستراتيجية الدولة بصفة عامة ، كما يرتبط نشاطها اليومى بتكتيكاتها ومناوراتها ودعاياتها . لقد لعبت رويترز مثلا دورا صريحا فى خدمة الدعاية البريطانية فى الحرب العالمية الأولى ، حتى أن السير رودريك جونس مدير الوكالة كان يعمل فى نفس الوقت ، مديرا للدعاية بوزارة الاعلام البريطانية ، ولا يمكن الزعم بأن حياد الوكالة يتفق مع ادارة الدعاية .

ويذهب جمهرة علماء الصحافة(١) الى أن ملكية الصحف للوكالات هى السبيل الوحيد لانقاذها من الوقوع فى شرك الدعاية السياسية أو التبعية للاحتكارات الاقتصادية ، ولعل ذلك هو الطريق الذى سلكته الوكالات الأمريكية ، والذى سلكته أيضا وكالة رويترز سنة ١٩٤١ عندما تقرر أن تكون ملكيتها عامة بين الصحف اللندنية والصحف الاقليمية وصحف استراليا ونيوزلندا والهند بحيث يشترك ممثلو الصحف فى مجلس الادارة كملاك ، كما يمثل الأعضاء المشتركون أيضا فى ذلك المجلس . وهكذا يتحقق نوع من الاشراف الدولى ، بحيث تكف الحكومات عن اعانة الوكالات ، فقد ثبت أن من يدفع للموسيقى أجره يحق له أن يطلب منه عزف اللحن الذى يريده ، كما يقول الانجليز فى مثلهم الشعبى السائر .

---

(١) Lord Layton, Foreward to G. Storey's Reuter's Century (1951) London.

ولكن هل يمكن للوكالات أن تعمل بمنأى عن القوى السياسية والاقتصادية ؟ وهل يكفي مجرد ترديد العبارات المثالية ومواثيق الشرف الوطنية والدولية ؟ ان الدراسة العلمية تحتم علينا أن نحلل عمل الوكالات عن كثب ، وأن نرقب تطورها من خلال الأحداث ، وخاصة فى وقت الأزمات • ولا يعنى ذلك أن نرفض أخلاقيات العمل الصحفى ، ولكننا لا يمكن أن نقدر هذه الأخلاقيات حق قدرها الا بالتعمق فى طبيعة هذا العمل ، ومعرفة أبعاده وتياراته السياسية والاقتصادية جميعا •

معاهد الأخبار وتجارة الأسعار :

ان الحركة التى بدأها موسى مندلسون(١) فى نهاية القرن الثامن عشر ، والتى طالب فيها باندماج اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، كانت بداية لحركة انتشار يهودى فى جميع أنحاء أوروبا • وكان من نتائجها أيضا تغلغل اليهود فى الأنشطة الاقتصادية والسياسية والاعلامية تغلغلا عميقا • وقد رأينا أن اسرائيل بير(٢) المولود فى كاسل عاصمة مقاطعة هيس الألمانية فى ٢١ يوليو سنة ١٨١٦ قد أصبح مسيحيا سنة ١٨٤٤ يحمل اسما جديدا هو بول جوليوس رويتر • وكذلك فعل شارل هافاس اليهودى البرتغالى عندما ذهب الى فرنسا ، كما كان الطبيب اليهودى برنهارت ولف هو مؤسس الوكالة الألمانية •

ولم تكن مهنة تجارة الأخبار والمعلومات جديدة على اليهود ، فمنذ العصور الوسطى وهم ضالعون فى تجارة الأخبار عن طريق مكاتب المعلومات السياسية والاقتصادية ، وقد نبغ منهم كثيرون من

(١) Moses Mendelssohn.

(٢) Israel Beer.

أمثــال اخوان فوجرز ، ومديتشى وثيرن وتاكسيز(٣) · بل ان هذه الأسرة الأخيرة قد تخصصت فى أعمال البريد وتجارة المعلومات فى وقت واحد ، وكان أفرادها يفتحون الخطابات ليعرفوا ما بها قبل توزيعها ، وبذلك تداخلت أعمال البريد مع أعمال الصحافة والأخبار منذ زمن طويل ، وهو تقليد رأيناه راسخا فى مستهل نشأة الصحافة الأوروبية والأمريكية ·

ان بيت روتشلد مثلا ــ وهو من أشهر بيوت المال اليهودية فى العالم ــ كان يعيش على أخبار الأسعار وتقلباتهــا ، وجاءت مكاتب المعلومات ثم وكالات الأنباء كقوى مساعدة للعمل التجارى والمالى ثم للعمل السياسى فيما بعد ، وخاصة بعد الحرب النابليونية عندما ازدادت حدة تقلبات الأسعار ، وأصبحت المعلومات السياسية والاقتصــادية لا غنى عنهــا لكل حكومة من الحــكومة الأوروبية الجديدة · وهكــذا انتهى التطور الحضــارى الى أن أهم واجبات الصحافة هى الحصول على الأخبار والمعلومات الدقيقة بسرعة فائقة ونشرها على الجميع بدون تفرقة ·

ويبدو أن فن الحصــول على الأخبــار والمعلومات واعدادها وتوزيعها كان يعتبر بمثابة علم من العلوم ، حتى أن رويتر كان يسمى مكتبه الذى افتتحه فى نهاية الخط التلغرافى الذى يبدأ من برلين وينتهى عند آخن « معهدا » · وقد دأب رويتر على حبس عملائه فى « معهده » هذا لكى يحصلوا على الأخبار الاقتصادية فى وقت واحد ، فلا يتفوق عميل على الآخر · ولم ينتظر تجار الأخبار تطور وسائل الاتصــال التلغرافية ، فكانوا يستخدمون الحمــام الزاجل ، كما فعل رويتر فى المسافة بين آخن وبروكسل وطولها

---

(١) Fuggers, the Medici, House of Thurn, Taxis.

١٠٠ ميل كان يقطعها الحمام الزاجل فى ساعتين ، فى حين كان يقطعها القطار فى تسع ساعات · ولا شك أن تجارة الحمام الزاجل نفسها كانت رائجة للغاية ، فقد كان عدد الحمام فى مدينة أنتورب وحدها سنة ١٨٤٦ أكثر من ٢٥٫٠٠٠ حمامة ·

وقد ساعد على رواج تجارة الأخبار أيضا الغاء قوانين الضرائب التى كانت تكبل الصحافة وتقيدها · وما كادت هذه القوانين تلغى فى ٣٠ يونية سنة ١٨٥٥ ، حتى أخذت الصحف زهيدة الثمن فى الصدور ، وكان منها مانشستر جارديان وليفربول بوست وسكوتسمان(١) وهى صحف اقليمية ، كما صدرت فى لندن صحيفة ديلى تلجراف التى كانت تباع ببنسين ثم خفض سعرها الى بنس واحد فى سبتمبر سنة ١٨٥٥ · وأخذ دعاة الحرية والاصلاح من أمثال برايت وكوبدن(٢) فى اصدار صحف شعبية متعددة مثل مورننج ستار وايفننج ستار(٣) · واذا كان مجموع توزيع الصحف الانجليزية قد بلغ ١٠٠٫٠٠٠ صحيفة سنة ١٨٥٤ ــ منها ٥١٫٠٠٠ نسخة كانت تبيعها التيمس وحدها ــ فان هذا التوزيع قد ارتفع كثيرا سنة ١٨٧٠ ، وخاصة أثناء الحرب الفرنسية البروسية ، حتى أننا نجد صحيفة ديلى نيوز تبيع وحدها أكثر من ١٥٠٫٠٠٠ نسخة ·

ولا شك أن ارتفاع توزيع الصحف وازدهارها ورواجها قد خلق سوقا عظيمة لتجارة الأخبار ، فكان من الطبيعى أن تنتعش وكالات الأنباء · ومن ناحية أخرى كان لظهور الصحافة الشعبية أثر كبير على نوعية الأخبار وفنون تحريرها ، فلم تعد المقالات

---

(١) Manchester Guardian, Liverpool Post, Scotsman.

(٢) Bright & Cobden (٣) Morning Star & Evening Star.

الطويلة التى اشتهرت بها الصحف المحافظة مثل التيمس والمورننج بوست هى السلعة المفضلة ، وانما ظهرت الأخبار العاجلة والتقارير السياسية القصيرة . ولعلنا نجد ذلك واضحا فى تغطية أخبار معركة سلفرينو التى امتازت بالدقة والسرعة والاقتضاب . وهى صفات أثارت سخرية المحافظين من أمثال موبرى موريس(١) محرر التيمس التقليدية .

وكان أشد ما يثير المحافظين ويغضبهم اصرار الوكالات على نشر اسمها كمصدر للخبر ، غير أن المجددين سرعان ما تقبلوا ذلك عن طيب خاطر ، لأنه يحدد مسئولية مضمون الخبر على أقل تقدير. ولم تستمر سخرية المحافظين طويلا ، فاذا كان اشتراك الصحيفة فى وكالة مثل رويترز سنة ١٨٥٨ لا يزيد عن ثلاثين جنيهـا شهريا ، فانه قد بلغ بعد عشر سنوات أكثر من ألف جنيه سنويا ، وهو دليل ناصع على اعتراف الصحافة بأهمية الوكالات كمصدر حيوى للأخبار منذ أمد بعيد .

خطوط الاعلام والسياسة والاقتصاد :

ولكن ما هـو موقف هذه الوكالات الناشـئة من الحـكومات والاحتكارات ؟ لقد أرسلت وكالة رويترز مثلا مراسلا لها يغطى أخبار الحرب الأهلية الأمريكية سنة ١٨٦٠ ، وكان هذا المراسل ـ واسمه ماكلين(٢) ـ يرسل أخباره بالبواخر عابرة المحيط ، بأن يضعها فى علب مدهونة بالفسفور لتلتقطها القوارب البخارية السريعة لدى وصولها الى ميناء كورك فى ايرلندا ، ومنها ترسل بالتلغراف الى لندن واسكتلندا .

---

(١) Morris Mowbray.

(٢) McLean.

والمهم أن المصالح الاقتصادية لبريطانيا كانت مع الجنوب المنتج للقطن ، وهو السلعة الرئيسية لتسيير مصانع النسيج الانجليزية • كما كانت الطبقة العليا فى بريطانيا تخشى تلك الاتجاهات الديمقراطية التى يمثلها لنكولن ، ولذلك امتازت أخبار رويترز وتقاريرها بطابع التأييد لأهل الجنوب ، فى حين أن السياسة الألمانية التى كانت تخشى عوامل التفرقة ، وتؤكد على ضرورة الوحدة حفاظا على كيانها، قد أيدت لنكولن تأييدا صريحا، فذهبت وكالة أنباء ولف الألمانية نفس الاتجاه فى أخبارها وتقاريرها •

وقد حذرت الوكالة الفرنسية والوكالة الألمانية عملاءهما من تحيز الوكالة البريطانية فى تغطيتها لأخبار الحرب الأهلية الأمريكية ، وذهب البعض الى حد اتهام رويترز بالرشوة ، وهى تهمة وجهها بنجامين موران(١) السفير الأمريكى فى لندن ضد الوكالة ، غير أن هذه التهمة لم تثبت ثبوتا قاطعا • ولكن المهم أن سياسة الوكالة كانت تعكس سياسة الدولة أو تخدم مصالحها • وسرعان ما اضطرت سنة ١٨٦٣ الى رواية أنباء انتصارات الشماليين فى جيتسبرج وهجوم جيش جرانت الكاسح واستسلام الجنرال لى(٢) فى ٩ أبريل سنة ١٨٦٥ •

وتباهت رويترز بأنها تنشر أخبار الجانبين بحياد . ولكن نشرها لخبر اغتيال الرئيس لنكولن الذى أطلق عليه جون ولكيز بوث(٣) الرصاص فى مسرح فورد يوم ١٤ ابريل سنة ١٨٦٥ ــ وان كان قد حقق سبقا صحفيا هائلا ــ لم ينتزع من القراء

---

(١) Benjamin Moran.

(٢) General Lee.

(٣) John Wilke- Booth.

الانجـليز ذلك الاعجـاب الذى أرادته رويترز ، لأنه أثار فى نفوسهم شعورا بالعطف والأسى ٠

ولا يسـتطيع مؤرخ الصحافة المنصف أن ينظر الى اهتمـام بريطانيا باعادة الخط البحرى تحت مياه المحيط واصلاحه ، ونجاح المحاولة الخامسة فى تحقيق ذلك يوم ٣٠ يونية سنة ١٨٦٦ الا على أنها أقوى دليل على اهتمام بريطانيا بالعالم الجديد ٠ وسوف نرى فيما بعد أن امتداد الخطوط التلغرافية فى بلد من البلاد واتجاهها نحو الشرق أو الغرب كان يحمل فى طياته معانى سياسية واقتصادية واضحة ٠

فعنـدما أدرك رويتر أن مركز الثقل الاعـلامى اقتصـاديا وسياسيا قد أخذ ينتقل الى الشرق ، سعى لانشاء مكاتب رئيسية لوكالاته فى ألمانيا والنمسا ٠ غير أن آماله كانت أعرض من ذلك بكثير . لأنه كان يفكر فى انشاء خط تلغرافى برى الى الهند عن طريق روسيا والقسطنطينية والخليج العربى . ولما كان هذا الخط قد تم انشاؤه فعلا فى أواخر الحرب الأهلية الأمريكية ، فقد تحقق حلمه ، ورأى بثاقب نظره أن يمد خطا تلغرافيا خاصا به عن طريق شمال ألمانيا . وكان لا بد له أن يدخل فى مفاوضات مع ملك هانوفر لتحقيق غرضه ٠

وبالفعل وافق الملك فى بداية سنة ١٨٦٥ على منح رويتر امتياز مد الخط التلغرافى الى جزيرة نوردرنى(١) على السـاحل الشمالى لألمانيا ، على أن يتصل بالخطوط البرية الممتدة الى هانوفر وهامبورج وبريمين وكاسل ٠ وهكذا أنشأ رويتر شركة خاصة

---

(١) Norderney

لهذا المشروع أسماها شركة رويترز التلغرافية ، وكان رأسمالها الاسمى ٢٥٠٫٠٠٠ جنيه موزعة على عشرة آلاف سهم ، بسعر السهم الواحد خمسة وعشرون جنيها . ولما كان الامتياز يخول لرويتر حق انشاء مكتب فى هانوفر ، فقد علق ملك بروسيا على ذلك فيما بعد بقوله ـ فى خطاب رسمى موجه الى مجلس الوزراء ـ انها اعتداءات انجليزية .

وقد كان لا بد لملك بروسيا الذى أدرك منذ البداية خطورة هذا الخط الاعلامى وعلاقته بالنشاط السياسى والاقتصادى أن يعدل شروط الامتياز ، وحق الحكومة البروسية فى استخدام هذا الخط ، الذى كان يدر على رويتر نحو ٢٠٠٠ جنيه شهريا . وبالفعل تم تعديل الشروط ولم يستطع رويتر أن يفرض النفوذ البريطانى عن طريق خطه التلغرافى .

ولكنه لم ييأس ، وأخذ يواصل نشاطه فى كل مكان وشعاره : التجارة ثم الصحافة ثم السياسة ورفع العلم . وبهذا الشعار بعث رويتر أعوانه الى الشرق الأوسط ثم الهند . وقد اختار لمصر صحفيا متمرسا اسمه فيرناند(١) ، استطاع أن ينشىء مكاتب للوكالة فى القاهرة والاسكندرية والسويس التى كانت فى نهاية خط التلغراف البحرى الأوروبى ، كما كانت نقطة تجمع الأخبار الاقتصادية الواردة من الشرق .

تأميم الخطوط التلغرافية :

كما أرسل هنرى كولنز(٢) الى بومباى وكلفه بانشاء مكاتب فى الهند وسيلان ، لاستخدام الخط التلغرافى البرى الذى كان

---

(١) Virnand.

(٢) Henry Collins.

يربط أوروبا بالهند ، وهو خط يمر بمنـاطق شاسعة تتعرض للثلوج فى جبال القوقاز ، ولهجمات القبائل الايرانية التى كانت تستولى على الأسلاك • وقد روى كولنز قصة طريفة عن حوت كبير التفت أسلاك التلغراف حول جسمه فى مياه الخليج العربى •

والواقع أن وكالة الأنباء كانت تعكس التوسع الامبراطورى اقتصاديا وسياسيا • فقد وجد كولنز أنه من الضرورى مد نشاط الوكالة الى يوكوهاما فى اليابان ، كما أنشـأ خطا تلغرافيا تحت مياه المحيط الهندى يصل المسافة بين بومباى وعدن وهى تبلغ ١٨٠٠ ميل • ولم يكد يتم هذا الخط ، ويؤمن الاتصال التلغرافى بين أوروبا والهند وايران والشرق الأوسط ، حتى بدأت الخطة التالية وهى تأميم الخط التلغرافى الذى كان يمتلكه رويتر وشركته ، وهو الموصل الى جزيرة نوردرنى •

وهى قصـة امبريالية تستحق الذكر لأنهـا توضح العلاقة الوثيقة بين السياسة والصحافة والاقتصاد • وقد عرفنا أن بداية استخدام التلغراف فى بريطانيا كانت سنة ١٨٤٥ ، ومن بعدها نشأت عدة شركات تلغرافية لخدمة الصحافة الاقليمية مثل صحيفة جلاسـجو هيرالد ومانشستر جارديان وبلفـاست نيوزلتر(١) ، وكانت الصحيفة الواحدة تدفع نحو ٢٠٠ جنيه سنويا للحصول على خدمة صحفية تبلغ ٤٠٠٠ كلمة يوميا ، فى شكل نشرة اخبارية تحتوى على أخبار البرلمان وسباق الخيل وأسعار البورصة وغيرها ، وذلك بالاضافة الى تلغرافات رويترز الواردة من الخارج •

---

(١) Glasgow Herald, Manchester Guardian, Belfast News-Letter.

غير أن خـدمات هذه الشركات التلغرافية الأهليـة لم تكن مرضية للصحف ، ولذلك نشـأت وكالة الأنبـاء المحلية برس أسوسيشن(١) فى مدينة مانشستر سـنة ١٨٦٥ ، وكان منشؤها جون ادوارد تيلور(٢) ـ ابن مؤسس صحيفة مانشستر جارديان ، وكان الغرض من انشائهـا خـدمة الصحافة الاقليمية . غير أن الحكومة البريطانية برئاسة بالمرستون سرعان ما تدخلت وأصدرت قوانين التلغراف الكهربائى سنة ١٨٦٨ وسنة ١٨٦٩ وبموجبها تم تأميم جميع الخطوط التلغرافية الداخليـة ودفعت تعويضـا مقـداره ثمانية ملايين جنيـه الى الشركات . وقد حصلت شركة رويترز على ٧٢٦٫٠٠٠ جنيه تعويضا لها عن خط نوردرنى الذى اسـتولت عليه الحـكومية البريطانيـة مع أنه لم يتكلف سـوى ١٥٣٫٠٠٠ جنيه ، والسر فى ذلك بطبيعة الحال هو قيمته الدولية سياسيا واقتصاديا .

فعندما أصبح مركز رويترز ضعيفا فى القارة الأوروبية لأن حكومة بروسيا كانت تدرك تماما قيمة هذه الخطوط الاعلامية ، وخاصة حكومة بسمارك التى أخذت تعضد وكالة ولف ، سارعت الحكومة البريطانية الى تأميم التلغرافات انقاذا للموقف . وقد قالها القيصر وليم صراحة ان تقوية الوكالة الألمانية أمر ضرورى وحيوى لمجابهة النفوذ البريطانى .

الامبراطوريات الاعلامية الثلاث :

والواقع أن وكالات الأنباء تعكس بالضرورة القوى السياسية والاقتصادية فى البلاد التى تمثلها ، كما أنها تعمق من هذه القوى

(١) Press Association.

(٢) John Edward Taylor.

عن طريق التفاعل النشط معها تأثيرا وتأثرا • ولقد رأينا أن وكالة هافاس كانت تعيش على دخلها من الاعلانات ، كما أنها كانت تحتكر الأخبار فى أوروبا بالاشتراك مع وكالة ولف الألمانية التى سيطرت على وسط القارة •

وقد كان مكتب رويترز فى لندن أضعف من وكالتى هافاس وولف . ومن ثم كان يعتمد عليهما حتى سنة ١٨٥٦ للحصول على أسعار السوق والبورصة ، ولكن بعد مرور سنتين قويت الوكالة البريطانية واستطاعت فى سنة ١٨٥٨ أن تعقد اتفاقية تبادل مع الوكالتين الفرنسية والألمانية . وكان لا بد من عقد هذه الاتفاقية بعد أن ساندت الحكومة الألمانية الجديدة برئاسة بسمارك وكالة ولف الألمانية فى برلين وأيدتها سياسيا واقتصاديا • وقد كانت الحكومة النمساوية تحمى وكالتها فى فيينا وهى المسماة بمكتب المراسلات(١) وتعطى لها الأفضلية فى الحصول على الأنباء الرسمية ونشرها ، بنفس الطريقة الألمانية التى اتبعها بسمارك مع وكالته •

وقد كان لا بد من عقد اتفاقية تحدد مناطق نفوذ كل وكالة على اعتبار أن الأخبار الاقتصادية والسياسية هى سلع اعلامية • وينبغى أن يطبق المبدأ الاقتصادى للحرية المرسلة عليها • وهكذا انقسم العالم فيما بين الوكالات الثلاث الى ثلاث امبراطوريات شاسعة • فاختصت وكالة ولف بألمانيا والنمسا والدول الاسكندنافية وروسيا ، ونظير ذلك كان لا بد من دفع مبلغ من المال لكل من وكالتى هافاس و رويترز • وقد وافقت الوكالة الأخيرة على

(١) Korrespondenz-Bureau.

اغلاق جميع مكاتبها فى ألمانيا والنمسا ، فيما عدا هامبورج ، حيث بقى المكتب لخدمة البورصة حتى سنة ١٩٠٠ .

واختصت وكالة رويترز بالامبراطورية البريطانية والشرق الأقصى ، فى حين كان نفوذ هافاس يشمل الامبراطورية الفرنسية ودول أمريكا اللاتينية والبحر المتوسط وخاصة ايطاليا واسبانيا والبرتغال . والواقع أن رويترز قد استفادت من هذه الاتفاقية أثناء الحرب الألمانية الفرنسية ، وخاصة عندما أخذت تتلقى أنباء باريس عن طريق البالونات التى كانت تطلقها وكالة هافاس فوق المدينة القلقة المحاصرة .

وهكذا نجد أن القوى الاعلامية الممثلة فى الوكالات كانت تعكس صورة القوى السياسية الممثلة فى الدول الكبرى آنذاك ، حتى أنه عندما بدأ الوفاق السياسى بين انجلترا وفرنسا نجد وفاقا مماثلا بين رويترز وهافاس الى حد اتفاقهما على انشاء صندوق مشترك للصرف على المشروعات التى كان منها انشاء خط تلغرافى من أوروبا الى البرازيل سنة ١٨٧٤ . وقد نجحت رويترز فى المساهمة بخدمة تجارية فى ريودى جانيرو مع ربطها بلندن ولفربول وأنتورب وهامبورج وجنوا ، أما هافاس فقد اهتمت بالتغطية السياسية للأخبار .

غير أننا لا ننسى أن الأحياء اليهودية كانت مقارا لهذه الوكالات ، بل ان وكالة رويترز كانت تقع فى المكان الذى استدعى اليه الملك وليم الفاتح التجار اليهود من مدينة روان . وفى نفس هذا المكان تلقى جوليوس رويتر لقب البارون من الأمير ايرنست الثانى دوق ساكس كوبورج جوتا(١) ، كما نال نفس الرتبة من

---

(١) Saxe-Coburg-Gotha.

الملكة فيكتوريا التى طالما عنفت وزيرها اليهودى دزرائيلى سنة ١٨٧٨ وعيرته بأن رويتر كان أكثر منـه علمـا بخطط الروس ونواياهم تجاه القسطينطينية .

وفى يونية سنة ١٨٩١ يقول المركيز سولزبرى(١) رئيس وزراء بريطانيا : ان رويتر كان يعمل لعدة سنين مع الحكومة ، كما أنه كان يمد صاحبة الجلالة الملكة شخصيا بالمعلومات . وقد كتب رويتر على وشاح البارونية عبـارة ذات أهمية بالغة : فى البر والبحر(٢) ، وهو شعار يحمل طموح رويتر ، ويعكس اتجاهات الامبراطورية البريطانية ، التى كانت لا تغيب عنها الشمس .

امبراطورية رويترز فى الشرق الأقصى :

والحقيقة أن رويتر كان امبراطوريا أكثر من الامبراطورية نفسها . وكان بارعا فى الأسـلوب الاسـتعمارى الذى أتقنته بريطانيا ابتداء من القرن السابع عشر ، وهو أسلوب التوريط السياسى والاقتصادى عن طريق البدء بالتجارة أو تصدير رأس المال الذى يؤدى الى التدخل والاستعمار ، ولعله الأسلوب الذى نجح تماما فى الهند ومصر وغيرهما .

فقد أرسل رويتر الى الهند هنرى كولنز الذى أخـذ يتصل بالجاليات البريطانية فيها من تجار وضباط وموظفين ونجح فى ربطهم بالوطن الأم ـ بريطانيا ـ عن طريق برقيات رويترز التى قدمت خدمات جليلة عن أسعار البورصة للتجار الذين انتشروا فى الشرق ، كما أذاعت الأخبـار السياسية والاجتماعية على أفراد الجالية البريطانية .

---

(١) Marquis of Salisbury.

(٢) Mare et Terram.

وفي مارس سنة ١٨٦٦ ، أنشأ كولنز أول مكتب اخباري في بومباي • ومع أنه لم يكن هناك خط تلغرافي منتظم مع بريطانيا، فان جهود فرديناند ديلسبس في مصر لحفر قناة السويس كانت تحمل آمالا عريضة عبر خط بحري من الاسكندرية الى الهند • والى أن يتحقق هذا الأمل كان على كولنز أن يدفع جنيهين على الأقل لارسال كل كلمة الى بريطانيا ، وبشرط ألا يقل سعر التلغراف الواحد ـ مهما كانت عدد كلماته ـ عن عشرين جنيها • وقد كانت النشرة التي يزيد عدد كلماتها عن السبعين تمثل عبئا ضخما على الميزانية ، فاذا قارنا ذلك بنشرة رويترز خلال الحرب العالمية الأولى والتي كانت لا تقل في المتوسط عن ٤٠٠٠ كلمة يوميا ، لأدركنا الى أي حد انخفضت أسعار التلغرافات الصحفية • غير أن كبار التجار كانوا يعارضون معارضة شديدة في نشر الأخبار على الجميع دون تفرقة ، كما اتحدت الصحف الرئيسية في شكل تجمعات لجلب الأخبار من بريطانيا مباشرة حتى تتفوق على الصحف الصغيرة التي كانت تتعامل مع رويترز •

ولسوء حظ كولنز أن تصادف قدومه الى الهند ، مع انخفاض سعر القطن ، بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية • وقد حاول كثير من التجار اختلاس أخبار أسعار القطن للمضاربة في سوقها ولكن جهودهم لم تفلح • وحتى محاولة الموظف البرتغالي الذي كان يبصق من خارج النافذة ناحية اليمين دلالة على ارتفاع الأسعار أو ناحية اليسار للدلالة على انخفاضها قد باءت بالفشل ، وسرعان ما اكتشفت •

وأخذ كولنز يوسع نشاط عمله الى سيلان حيث اشتركت صحيفة سيلان أوبزرفر في نشرة رويترز ثم الى كلكتا ومدراس ورانجون وكراتشي • ويلاحظ أن مكتب رويترز في كراتشي كان

يعمل بمثابة وكالة أنباء محلية لخدمة هذه المناطق كلها • وذهب كولنز الى أبعد من ذلك عندما وثق علاقاته باللورد لورنس الحاكم العام للهند ، فكان يحصل منه على الأخبار الرسمية ، كما كانت حكومة الهند تؤدى لمكتب الوكالة مصاريف ارسال البرقيات التى تنقل خطب الحاكم العام الى بريطانيا • وهكذا يبدو لنا مبلغ التعاون الوثيق بين الحكومة والوكالة البريطانية •

وقد استطاع كولنز أن يستخدم الخط التلغرافى الموصل بين فاو على الخليج العربى والقسطنطينية والاسكندرية فى حالة توقف الخط الآخر • وعندما خرجت الحملة العسكرية البريطانية من بومباى لانقاذ المبعوثين البريطانيين الذين سجنهم الملك تيودور ملك الحبشة فى مجدالا ، خرج مراسلو رويترز لمصاحبة أفراد الحملة بقيادة السير روبرت نابيير واستطاعوا نقل أنباء انتحار الملك واطلاق سراح الأسرى •

وفى سنة ١٨٦٩ تم مد الخط التلغرافى تحت مياه المحيط الهندى بين بومباى وعدن على طول ١٨٠٠ ميل ، وعن طريق هذا الخط توثقت الصلات بين أجزاء الامبراطورية البريطانية ، كما امتدت اتصالات رويترز حتى بلغت أندونيسيا واستراليا واليابان • واذا كان الكومودور الأمريكى « بيرى » قد وصل الى خليج طوكيو فى ٨ يولية سنة ١٨٥٣ ليفتح الطريق التجارى الى اليابان ، فان جهود كولنز قد جعلت الطريق أمام بريطانيا مفتوحا الى يوكوهاما ونجازاكى •

وما وافت سنة ١٨٧٤ الا وكان الخط التلغرافى الى استراليا قد اكتمل مارا بأندونيسيا ، وهكذا أثبتت وكالة رويترز أنها كانت تمهد الطريق للتجارة ثم للامبراطورية كى ترسخ أقدامها فى الشرقين الأوسط والأقصى •

أغرب اتفاقية فى التاريخ :

ثم جاءت ذروة نشاط جوليوس رويتر فى ٢٥ يولية سنة ١٨٧٢ ، عندما استطاع هذا اليهودى الانجليزى البارع أن يوقع مع الملك نصر الدين شاه ملك ايران أغرب اتفاقية فى التاريخ . ولنقرأ نص التعليق الذى كتبه اللورد كيرزون فى كتابه فارس والمسألة الفارسية(١) اذ يقول : « لم يحدث فى التاريخ مثل هذا التنازل الكامل والعجيب عن مصادر الثروة الصناعية الى أيد أجنبية بطريقة لا يحلم بها أحد » فقد منحت هذه الاتفاقية رويتر الحق فى السيطرة على اقتصاد ايران كلها والتحكم فى الكثير من رعاياها ، كما أنها كانت تهدف الى فتح هذه البلاد فتحا تاما أمام الغرب .

وقصة رويتر فى ايران تدل على مدى أهمية المعلومات والاتصالات فى فتح الطريق أمام النفوذ الاقتصادى والسياسى . وطالما حاول كثير من المغامرين الغربيين ، من أمثال الدكتور شترونسبيرج النمساوى وغيره الحصول على اتفاقيات فى ايران ولكنها كانت تبوء بالفشل وتؤدى الى الخسارة المادية الباهظة . غير أن رويتر بسعة حيلته ودهائه واتصالاته المريبة بالوزراء ، استطاع فى نهاية الأمر أن يحصل على ما لم يستطع غيره الحصول عليه .

وقد عرف رويتر كيف يكسب الجنرال محسن خان سفير ايران فى لندن الى صفه ، وكان رويتر يريد فتح باب التجارة على مصراعيه أمام بريطانيا ، كما أنه كان يدرك الأهمية القصوى

---

(١) Lord Curzon. Persia and the Persian Question.

للموقع الاستراتيجى لايران على الطريق الموصل الى الهند • وفى ربيع سنة ١٨٧٢ ، وصل مبعوث رويتر الى بلاط الشاه لمحاولة الحصول على حق الامتياز الذى وعد به الجنرال خان • وبالرغم من معارضة أئمة الشيعة الذين كانوا ينظرون الى التعامل مع الكفار على أنه عمل من أعمال الشيطان ، فقد استطاع رويتر أن يستميل اليه رئيس الوزراء والوزراء ، ونجح فى الحصول على حق الامتياز لاستغلال الاقتصاد الايرانى كله فى ٢٥ يولية سنة ١٨٧٢ .

لقد سقطت ايران فى يد رويتر وأصبح من حقه أن يمد خطا للسكك الحديدية من بحر قزوين الى الخليج العربى ، مع انشاء أى فروع لهذا الخط وفقا لرغبته ، وأن يستخدم هذه الخطوط لصالحه مدة سبعين عاما • كما كان من حقه انشاء مشروعات الرى والسيطرة على الغابات والثروة المعدنية فى البلاد ، بالاضافة الى حقه فى انشاء ما يراه لازما من طرق أو مرافق عامة ، فضلا عن سيطرته على الجمارك لمدة عشرين عاما • ويقول لورد كيرزون فى كتابه سابق الذكر أن أوروبا قد ذعرت عند سماع هذا النبأ وتوقفت أنفاسها • وقد أعطى الامتياز الايرانى الحق لرويتر فى الحصول على قرض من لندن قيمته ٦ مليون جنيه بفائدة ٥٪ تضمنها الحكومة الايرانية •

غير أن خطورة هذه الاتفاقية استراتيجيا واقتصاديا لم تغب عن روسيا التى كانت تسعى دائما للضغط على الحكومة الايرانية ، فى الوقت الذى كانت فيه الحكومة البريطانية مترددة فى تأييد رويتر كل التأييد . وانتهت الضغوط الروسية بطرد رئيس الوزراء الذى أوصى بعقد الاتفاقية مع رويتر • وقد صرح الأمير جورتشاكوف الروسى بأن القيصر غير راض عن الاتفاقية المعقودة

مع رويتر ، والتى تمنح بريطانيا نفوذا فى بحر قزوين ، ولم يكن أحد ليصدق أن نفوذ بريطانيا غير مرتبط بنشاط رويتر .

وعندما أسفرت الانتخابات العامة فى بريطانيا فى فبراير سنة ١٨٧٤ عن نجاح اليهودى دزرائيلى فى الوصول الى الحكم ، تجدد الاهتمام بالامتياز الايرانى ، وازداد الأمر تعقيدا عندما أصرت الحكومة البريطانية على حماية حق رويتر الذى سعى لتدويل المشكلة بعد عدة مقابلات أجراها مع بسمارك ووزير خارجية النمسا والأمير جورتشاكوف الروسى من أجل مد خط سكك حديدية عبر تركيا الى ايران . وفى نفس الوقت كانت مشكلة قناة السويس على أشدها ، ورأت الحكومة البريطانية أن تتريث فى الأمر .

وعندما أعلنت الصحف فى أغسطس سنة ١٨٧٤ نبأ توقيع اتفاقية بين روسيا وايران لمد خط سكك حديدية ، ثارت ثائرة الانجليز وفزعوا من فكرة تبعية ايران للحكم الروسى ، وأصرت الحكومة البريطانية من جديد على تأييد حق الامتياز الذى منح لرويتر الذى طالما حذر الحكومة البريطانية من نوايا روسيا تجاه ايران . وقد أسفرت الضغوط البريطانية عن حل وسط هو اعلان روسيا التخلى عن مشروع مد خطوط السكك الحديدية فى ايران .

واذا كان مشروع السكك الحديدية قد فشل ، فقد نجح رويتر فى عقد اتفاقية أخرى سنة ١٨٨٨ تم بموجبها انشاء البنك الامبراطورى فى ايران على أن يكون له فرعان أحدهما فى لندن والآخر فى طهران . وقد لعب هذا البنك دورا خطيرا فى سيطرة بريطانيا على الاقتصاد الايرانى بفضل جهود جوليوس رويتر .

والواقع أن شهرة وكالة أنبـاء رويترز كانت تعتمـد على الأخبار الاقتصـادية ، وعلاقاتهـا بالتجار ، وتقاريرها الماليـة الدقيقة ، فضلا عن المعلومات التى كانت تحصل عليها عن التجارة الخارجية فى الشرق والغرب على السواء • ولكن سرعان ما تطور اهتمام الوكالة الى الأنباء السياسية •

الوكالات بين الاعلانات والاعانات :

ولم تستطع وكالة رويترز أن تسـتمر فى سياستها الضيقة القائمة على اعطاء الحقائق الموضوعية الصماء ، لأن الاتجـاهات الصحفية الحديثة كانت تتطلب كتابة الانطباعات • ويرجع الفضل الى هربرت رويتر فى انجاز هذا التغيير الجديد فى سياسة الوكالة وطابعها وأسلوبها • فاذا كان رويتر الأب قد أتقن فنون المـال ودهاء الاتصال بكبار التجار والساسة ، فان رويتر الابن قد اتجه اتجاها صحفيا بفضـل تعليمه الذى تلقاه فى اكسفورد وثقافته الموسيقية التى اكتسبها فى باريس •

ومنذ أن تولى هربرت ادارة رويترز فى مايو سنة ١٨٧٨ ، أخذ يعمل على اجراء تغييرات جوهرية فى الوكالة للخروج بها من الأزمات المالية التى كانت تواجهها • وقد كان أمام هربرت نموذجان أساسيان للنهوض بالعمل فى وكالات الأنباء • أما النموذج الأول فقد وجده فى وكالة ولف الألمانية التى اعتمدت على معونة الحكومة البروسية ابتداء من سنة ١٨٦٠ عندما واجهتها منافسة رويترز ، وقد نجحت الوكالة فى تقوية مركزها داخل الحـدود البروسـية ولكنها لم تظفر بالسمعة الطيبة خارج تلك الحدود • أما النموذج الآخر فهو وكالة هافاس الفرنسية التى اعتمـدت على الاعلانات كمورد لها يغطى مصاريفها • وقد حاولت رويترز مرتين تحت

اشراف هربرت أن تعمل فى ميدان الاعلان ، ولكن جهودها باءت بالفشل ، لمعارضة الصحافة البريطانية التى لم تكن قد تعودت على ما تعودته الصحافة الفرنسية من تعامل الوكالات فى الاعلانات ٠

وقد اتجه بعد ذلك الى تجربة سياسة الاعانات ، وكانت الحكومة المصرية تحت حكم الخديوى تمنح كلا من وكالة رويترز ووكالة هافاس اعانة مالية قدرها ألف جنيه نظير خدمات الوكالة ومصاريف البرقيات الصادرة من مصر والواردة اليها ٠ وقد ذكرنا من قبل أن الحاكم العام الهندى كان يعطى لرويترز اعانة مالية على نفس الأساس ٠ هذا فضلا عن اشتراكات التجار ، والايرادات المالية من البرقيات الخاصة على خطوط الوكالة التلغرافية ، غير أن هذه الايرادات الأخيرة سرعان ما توقفت بعد تأميم الخطوط التلغرافية ٠

وقد رأى هربرت أن يجرى تغييرا آخر فى نظام المراسلين، فعين صحفيين انجليز بدلا من الصحفيين الأجانب الذين كان يستعين بهم والده من قبل ٠ وقد نبغ من هؤلاء المراسلين الانجليز عدد كبير نذكر منهم على سبيل المثال ورنديل الذى تفوق فى البلقان تفوقا عظيما ، وفرجوسون الذى اشتهر كمراسل حربى شهرة مدوية ، ودافيد ريز الذى كان له صلات وثيقة بكتشنر وكرومر وزعماء الأحزاب المصرية ، على اختلاف مشاربهم ٠

وقد أكد هربرت على ضرورة تفوق العنصر الصحفى فى الوكالة ، فأنشأ منصب رئيس التحرير سنة ١٨٨٠ ، وأعطى لمن يتولى هذا المنصب سلطات صحفية واسعة ٠ وهكذا تطور عمل الوكالة الى أن أصبحت ــ على حد قول سيمون ــ صحيفة تصدر كل بضع دقائق ٠

وعندما أصبح وليمز أول رئيس تحرير لوكالة رويترز أخذ يعنى بالأخبار الدولية على أساس خبرته الطويلة فى تغطية أنباء الحرب الفرنسية البروسية وغيرها ، فعين عدة مراسلين فى أفغانستان والهند وجنوب أفريقيا ، وأمكنه تغطية أخبار الحملة البريطانية على أفغانستان وكذلك حرب البوير ٠

وفى هذه الفترة سادت اتفاقية سنة ١٨٧١ التى قسمت العالم الى مناطق نفوذ ثلاث تحت سيطرة هافاس وولف ورويترز ، ولم يكن من حق أى وكالة أن تبعث بأنبائها مباشرة الى منطقة نفوذ الوكالة الأخرى ٠ وفى حين أن تركيا كانت تقع تحت نفوذ الوكالة الفرنسية ، نجد أن مصر كانت تتنازعها الوكالتان الانجليزية والفرنسية ، ولعله انعكاس طبيعى للموقف السياسى والاقتصادى .

وعندما عاد اليهودى دزرائيلى الى السلطة سنة ١٨٧٤ ، أخذ ينهج سياسة نشطة فى الشرق الأدنى ، فاشترى أسهم الخديو فى قناة السويس ، مما جعل العلاقات البريطانية المصرية وثيقة حتما. ومرة أخرى نجد أن الصراع السياسى والاقتصادى بين انجلترا وفرنسا على النفوذ فى مصر قد انعكس على نشاط الوكالتين رويترز وهافاس ٠

وقد رأينا أن رويترز كانت تهتم بأخبار مصر منذ انشاء مكتبها فى الاسكندرية سنة ١٨٦٦ ، كما أن الخديوى المصرى كان أول من اشترك فى الوكالتين الانجليزية والفرنسية ٠ والغريب أن الوكالة الانجليزية كانت تحصل من جريدة الاجبشين جازيت على ٢٥٪ من ثمن توزيعها ٠

وعندما أخفقت الثورة العرابية ، واحتلت القوات البريطانية مصر ، تحرك جوزيف سنتزلر مراسل رويترز مع القوات الغازية ،

ونقل مكتبه من الاسكندرية الى القاهرة • وعندما كانت قوات الأسطول البريطانى تضرب مدينة الاسكندرية وتصب الذعر فى قلوب المصريين العزل من السلاح ، كانت رويترز تنقل أنباء الغارات الوحشية عن طريق سفينة حربية تقف بالقرب من الشاطئ ، وكانت وكالة البرس أسوسيشن البريطانية المحلية تتلقى هذه الأخبار من رويترر فى لندن بالتليفون لتذيعها على الصحف المحلية •

رويترز والسياسة البريطانية فى مصر والسودان :

وعندما استتب حكم الانجليز فى مصر بعد هزيمة العرابيين على يد اللورد ولزلى فى معركة التل الكبير ، أخذت رويترز تنظم خدماتها وتدعو للاحتلال فى نشراتها ، وقام بيجوت(١) بتغطية هذه الأخبار ومرافقة حملة السودان التى ينقل أنباءها الى لندن ساعة بساعة ، لأن ابن الملكة فكتوريا ، الدوق كونوت ، كان يقود احدى الكتائب ، فكان لا بد للوكالة أن تطمئن حضرة صاحبة الجلالة البريطانية على سلامة نجلها ! وكانت الملكة تنسخ برقيات الوكالة وتدونها فى مذكراتها الخاصة ، وعندما تأكدت الملكة من سلامة نجلها نقلت الخبر الى الدوقة زوجته •

وهكذا تلعب الوكالات دورا رئيسيا فى السياسة والاقتصاد والحرب • وكان من الطبيعى أن يزول نفوذ الوكالة الفرنسية ليحل محله نفوذ الوكالة البريطانية دون منافس • وأصبحت رويترز وكالة الأنباء الوحيدة التى يعتمد عليها المصريون فى الأخبار الداخلية والخارجية على السواء . وقد قامت وكالة رويترز ، طوال

---

(١) J. Piggott.

ستة عشر عاما ، بتغطية أخبار الثورة المهدية فى السودان ، ونقل أخبارها الى القاهرة ، ومنها الى لندن والعالم الخارجى ٠

وقد استخدمت وكالة رويترز الجمال والهجانة لنقل الأخبار عندما استولى أتباع المهدى على الخرطوم فى مايو سنة ١٨٨٤ ، وقاموا بعزل اللورد جوردون فيها ٠ وكانت أخبار الحملة التى أرسلت لانقاذ جوردون ترسل عن طريق مراسلين يركبون الخيول حتى قال بيجوت ـ مراسل رويترز العسكرى آنذاك ـ ان عمل الصحفى قد أصبح وثيق الصلة بالفروسية ٠

وعندما تولى اللورد كتشنر قيادة الحملة البريطانية المتجهة فى محاذاة النيل الى الجنوب ، كان لا بد أن يعنى بالروح المعنوية لجنوده عناية فائقة ٠ وقد رأى أن تقوم وكالة رويترز بنقل أخبار الحملة وتوزيع أوامره على الجنود الانجليز ٠ وقد اعترف اللورد كتشنر أن برقيات رويترز كان لها فضل عظيم فى رفع الروح المعنوية بين الجنود الذين كانوا يحاربون فى ظروف عسكرية ومناخية صعبة للغاية ٠

وعندما أنشىء خط السكك الحديدية المتجه عبر الصحراء الى بربر فى نهاية سنة ١٨٩٧ ، رفض كتشنر أن يصاحبه مراسلون صحفيون ، واكتفى بمراسل وكالة رويترز ٠ وقد اختير جوين(١) لهذه المهمة لأنه صحب كتشنر من قبل فى حملته على دنقلة سنة ١٨٩٥ ٠ وقد أعجب القائد الانجليزى بهذا المراسل العسكرى اعجابا شديدا حتى أنه أوصى الجنرال روبرتس بأن يسند اليه مهمة تغطية أخبار حرب البوير ٠ والحقيقة أن جوين كان صحفيا

(١) H. A. Gwynne.

عظيما ، قوى البنية ، رائع الأسلوب ، فلم يكن غريبا أن نجده متفوقا بعد ذلك كمحرر لصحيفتى ستاندارد ومورننج بوست(١) .

وينبغى أن نشير الى تقليد اتبعته رويترز فى عدة مناسبات وهو استخدام الضباط لتغطية الأخبار العسكرية . ومن هؤلاء الميجور ونجت الذى أصبح السير ريجنالد ونجت(٢) فيما بعد ، وعين حاكما عاما للسودان . ويرجع الفضل فى تغطية أخبار معارك عطبرة وأم درمان الى هذا الضابط الذى كان يعمل مديرا للمخابرات ورقيبا على الصحف. ويروى لنا الصحفى ليونيل جيمس أنه كان يعمل مراسلا حربيا لوكالة رويترز فى السودان ، وأنه كان يأمر جنود المراسلة بحمل بعض المراسلات الى القاهرة . وبذلك كانت الوكالة والجيش والحكومة تتعاون لخدمة السياسة العليا للدولة .

وهكذا وجدت وكالة هافاس أن سوقها فى مصر قد انتهت وأغلقت أمامها ، فتركتها لرويترز تمرح فيها بين القاهرة والاسكندرية ، ولكن برقياتها كانت تحمل فى بداية الأمر عبارة تقليدية هى : هافاس ـ رويترز . وفى هذه الفترة ، أخذت الوكالة البريطانية تنقل أخبارا تعبر عن القسوة والفظاظة التركية بطريقة مبالغة ، فروت كيف قام الأتراك بذبح ١٢٫٠٠٠ مسيحى فى بلغاريا . ويبدو أن السلطة البريطانية قد بدأت سياستها فى التفرقة بين المسلمين والمسيحيين فى المنطقة على أساس شعارها المشهور : فرق تسد .

---

(١) Standard & Morning Post.

(٢) Sir Reginald Wingate.

ومضت الوكالة البريطانية تنقل أخبار الحرب الروسية التركية ابتداء من أبريل سنة ١٨٧٧ . وكان لها وقع كبير على الصحافة المصرية التى انقسمت أحزابا وشيعا على النحو الذى أراده المستعمر · وانتهت الحرب بمعاهدة السلام والشرف - على حد قول دزرائيلى - التى تنازل الباب العالى بموجبها عن قبرص لبريطانيا · ولا بد أن نذكر فى هذا الصدد عمل مراسلى وكالة رويترز كضباط للمخابرات فى منطقة الشرق الأوسط · مثال ذلك الصحفى هنرى كولنز الذى استطاع أن يحصل من قائد البوليس الروسى فى منطقة بحر قزوين على معلومات تفيد أن الروس يخططون للاستيلاء على التركستان وأواسط آسيا ، ومعنى ذلك أنهم يواصلون سعيهم فى مواجهة الانجليز بمنطقة أفغانستان والهند . وقد تحققت السلطات البريطانية من معلومات هذا الصحفى . عندما اكتشفت تحركات القوات الروسية على طول الفولجا ·

رويترز والامبراطورية البريطانية :

وهكذا كانت وكالة هافاس لسان حال الامبراطورية الفرنسية ، كما كانت رويترز لسان حال الامبراطورية البريطانية ، وتحققت الشعارات القائلة بأن الراية تأتى بعد التجارة وهذه تأتى بعد المعلومات أو الأنباء التى تتيحها الوكالات . وقد رأينا كيف قامت وكالة رويترز بخدمة المصالح البريطانية فى الهند ومصر وايران وغيرها . وكانت عامل حشد وجمع لسائر القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية ·

وكذلك كان الحال فى استراليا ونيوزيلندا . فبعد أن نجح هنرى كولنز فى الهند والشرق الأقصى . تقرر نقله الى استراليا

سنة ١٨٧٨ ، حيث ازدهرت الصحافة فى المدن الكبرى ، وسعت بعد الصحف لأن تنشىء مكاتب خاصة لها فى لنـــدن · ولم تنجح استراليا فى انشاء وكالة أنباء خاصة بها فى بداية الأمر نظرا لقلة عدد الصحف ، وانعدامها فى الأقاليم · ولذلك رأت الصحف أن تبعث بممثلين لها فى لندن يوافونها بآخر أنباء ، ولذلك حرمت وكالة أنباء رويترز من عقد صلات مباشرة وثيقة بالصحف ·

أما الصحف النيوزلندية ـ وهى صحف صغيرة وضعيفة ماليا ـ فكانت تتلقى أنباءها من الصحف الاسترالية · غير أن هذه الظروف الصعبة سرعان ما تغيرت فيما بعد وأصبحت وكالة رويترز تقـــدم خدمات جليلة لاســـتراليا ونيوزلنـــدا اللذين أصبحا ممثلين فى مجلس الادارة ·

ومن الطريف أن هربرت رويتر قد استحدث فكرة تحـــويل الأموال عن طريق البرقيات ، وقد أسعد هذا الاجراء عامة العملاء بقدر ما أغضب البنوك · وفى أبريل سنة ١٨٩٣ بلغت الأموال المحولة الى لندن عن طريق رويترز مليون ونصف مليون جنيه · كما أنشأ هربرت خدمة تلغرافية خاصـــة وفرعا للاعلانات فى مدينة سدنى · وقد ساعدت هذه المشروعات الوكالة على النهوض بأعبائها ·

وفى كندا ، أمكن قيام الصحف بتغطية الأخبار ونشرها فى الداخل والخارج بعد انشاء خط السكك الحديدية الباسفيكى الذى كان يعبر المناطق الشاسعة بين الشرق والغرب · كما أن انشاء خطوط الاتصال التلغرافية وانتشارها فى جهات عديدة قد سهل الاتصال بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية · وهنا نجد أن

الظروف الجغرافية كانت أقوى من الظروف السياسية ، حتى أن علاقة الصحافة الكندية المباشرة بالصحافة الأمريكية أصبحت ضرورة حتمية ، اعترفت بها الوكالات الأوروبية سنة ١٨٩٣ . وابتداء من سنة ١٨٩٤ بدأت وكالة الاسوشيتدبرس الأمريكية نشاطها في مد الصحافة الكندية بالأخبار ، ولكن رويترز لم تقف مكتوفة الأيدى وسرعان ما بذلت كل جهودها لكى تظهر فى الصورة مصدرا رئيسيا للأخبار فى الصحف الكندية .

وقد كان مراسل وكالة رويترز فى الهند مثلا يعامل معاملة السادة من الحكام . فاذا اطلعنا على كتاب ادوارد بك بعنوان « أيام فى سملا(١) » لرأينا كيف كان يدعى الى رحلات الصيد ، وحفلات الحاكم العام ، ويوثق علاقاته الشخصية باللوردات من أمثال كيرزون وكتشنر وقادة الجيش . ومع ذلك ، فقد كان بك يجد الوقت لتغطية أخبار حرب الحدود فى الشمال الغربى ، واجتماعات المجلس التشريعى ، وزيارات ملوك أوروبا للهند ، والبعثات التى كانت تقوم باكتشاف الهملايا والتبت ، مثل بعثة سفن هيدين السويدى .

وفى سنة ١٩١٠ ، أنشئت وكالة تسمى بالاسوشيتدبرس أوف انديا بمدينة مدراس ، وكانت وكالة محلية تنقل الأخبار الهندية الداخلية . وقد شجع بك على قيامها وكان الصحفى الهندى روى صاحب الفضل فى تطويرها . ولكن رويترز ما لبثت أن امتلكت هذه الوكالة الهندية سنة ١٩٣١ . وبامتلاك رويترز لهذه الوكالة الهندية الناجحة ، أصبحت تهيمن على الصحافة الهندية سواء فى اعلامها الداخلى أو الخارجى على السواء .

---

(١) Edward Buck, Simla Days.

وقد شهدت جنوب أفريقيا صراعا مريرا اشتركت فيه وكالة رويترز مشاركة ايجابية ، لنقل أخبار المواجهة بين سيسيل رودس مؤسس جنوب أفريقيا البريطانية وشركتها الاقتصادية فى كيب تاون من ناحيــة وبول كروجر رئيس جمهـورية البـوير فى الترنسـفال من جهــة أخرى • وقد أسهمت رويترز فى تلقين الصحافة الانجليزية درسا كانت لا تعرفه ، وهو أن جنوب أفريقيا يسكنه شعبان : أحدهما انجليزى والآخر هولندى •

وقد نقلت رويترز أخبــــار اكتشــاف الذهب الذى حــول جوهانســبرج الى مدينــة كبرى ، وكان لا بد للوكالة أن تنشىء مكتبا فيها • وقد لعب بادن باول(١) ـ مؤسس حركة الكشافة ، وضابط المخابرات البريطانى ـ دورا رئيسيا فى خدمة رويترز يذكرنا بالدور الذى لعبه ونجت فى السودان ، وخاصة لتغطية أخبار الهجمات البريطانية على روديسيا •

ومن الطريف أن الصحفى الانجليزى الشاب ، ابن الثمانية عشر ربيعا ، والذى سمح له بول كروجر بمشاهدة جيمسون فى هزيمته بمدينــة بريتوريا عاصمة الترنسفال ، لم يكن ســوى رودريك جونس الذى قدر له فيما بعد أن يكون رئيســا لمجلس ادارة رويترز ، ومديرا للدعاية بوزارة الاستعلامات البريطانية . ومن الطريف أيضا أن احدى الفتيات ـ واسمها مس ماجوير ـ قد عملت مراسلة لوكالة رويترز فى جنوب أفريقيا •

ولما كانت اتفاقية الاحتكارات الاعلامية بين الوكالات الثلاث تجعل وكالة ولف الألمانيــة تنقل أخبــارها عن وكالة رويترز

(١) Baden Powell.

البريطانية ، فقد وجدت الوكالة الألمانية نفسها موضع احتجاج الصحف الألمانية نفسها . كما كان البريطانيون يكرهون القيصر وبرقيته المشهورة الى كروجر التى أعلن فيها تعاطفه معه . ولذلك كان لا بد للألمان أن ينشئوا وكالات محلية فى جنوب أفريقيا لتغطية أخبار البوير وانتصاراتهم . وهكذا كان لا بد من وجود وكالة لخدمة سياسة الدولة واتجاهاتها ، مهما كان الثمن . والحقيقة أن عملاء الوكالات ومستهلكى أخبارها لا يمكن التغاضى عنهم بحال من الأحوال ، مهما كانت الأنباء موضوعية ومتجردة .

العلاقات بين الوكالات والحكومات :

يقول أورون جيمس هيل فى كتابه الذى عنوانه « ألمانيا والثورة الدبلوماسية(١) » : « ان العلاقات البريطانية الألمانية كانت عبارة عن سلسلة من سوء التفاهم والبيانات الكاذبة والافتراءات الخبيثة والشكوك المريبة والشتائم المقذعة . وفى الوقت الذى كانت فيه العلاقات الرسمية سليمة ، ان لم تكن ودية، كانت الصحيفة تقوم بخلق جو من الشك والعدوان فى الرأى العام بحيث أن حادثة واحدة كان يمكن أن تؤدى الى حرب مسلحة » .

ومهما قيل عن وكالة رويترز ، وعن حرصها على الموضوعية والدقة واستكمال الخبر ، فقد رأينا أنها كانت ضالعة فى خدمة السياسة البريطانية . وفى ألمانيا ، بذل أوتو هامان(٢) — مدير ادارة الصحافة بوزارة الخارجية الألمانية — جهودا مستمرة للسيطرة

---

(١) Oron James Hale, Germany and the Diplomatic Revolution (1931) Philadelphia.

(٢) Otto Hammann.

على الوكالة الألمانية • وقد تعرضت وكالة ولف لنقد شديد من الألمان لاعتمادها على وكالتى هافاس ورويترز ، وكان من الضرورى تعيين مراسل خاص للوكالة الألمانية فى لندن •

وقد كان قيصر ألمانيا المحب للشهرة والدعاية مشكلة كبرى للصحافة الألمانية فى حين أنه كان مصدر بهجة للمراسل الأجنبى • كان لا بد للوكالة المحلية أن تعيد تحرير بيانات القيصر الالمانى بالتخفيف من حدة وقعها على الرأى العام • مثال ذلك ما قاله القيصر فى خطابه الذى ألقاه على القوات البحرية قبل رحيلها الى الصين انتقاما لقتل بارون فون كتلر والذى جاء فيه : اسلكوا مسلك قبائل الهون الذين عرفوا منذ ألف سنة تحت قيادة الملك أتيلا بشهرة لا يزال رنين ارهابها يدوى فى كل أسطورة وخرافة • لا تتركوا مكانا ولا تأخذوا أسيرا ، بل اقتلوا كل من يقع بين أيديكم » •

ويتبين لنا عمق التأثير السياسى على الوكالات من التقرير الأبيض الذى رفعه سير ادوارد جوشين سفير بريطانيا فى برلين فى سبتمبر سنة ١٩١٤ عن خطط ألمانيا لانشاء شركة سرية شبه رسمية لنشر الأخبار عن ألمانيا فى الخارج • وقد جاء فى التقرير أن هذه الشركة تتلقى تمويلها من المصروفات السرية بوزارة الخارجية الألمانية ، كما جاء فيه أيضا أن اتفاقا قد تم مع وكالة هافاس يقضى بألا تقوم هذه الوكالة الأخيرة بنشر أى أخبار عن ألمانيا الا اذا كانت عن طريق مكتب ولف التلغرافى الذى سوف يتلقى أخباره من هذه الشركة الجديدة •

ويمضى التقرير قائلا أن ترتيبات مماثلة سوف تتخذ لكى تقوم رويترز بنشر الأخبار فى المناطق التى تذيع فيها نشراتها •

وقد أثار هذا التقرير ضجة فى عالم وكالات الأنباء • والحقيقة أن خطــة هامان كانت ضربة معــلم أراد بها أن ينشر الدعاية الألمانية ، وأن يحرج الوكالات الأخرى •

وقد ثبت فيما بعد أن هذه الخطة قد تمت بناء على اتفاق سرى بين وزارة الخارجيــة وطائفة من رجال الصناعة الالمانيــة ، على رأســهم كروب ، وكان الغرض منهــا رشــوة الصحافة الأجنبية بالاعلانات ، بشرط أن تلتزم الصحف بنشر الأخبار التى تذيعها الشركة الالمانية الجديدة • وكان المفروض أن تقوم ولف بدور الوسيط ، كما كان من المفروض أن توزع نشرات الأخبار مجانا أو نظير سعر اسمى •

وبدأت الشركة الألمانية بحركة بارعة زعمت فيها أنه قد تم الاتفاق فعلا مع وكالة هافاس ، وأن اتفاقا آخر مع وكالة رويترز فى طريقه الى الاعتماد • وفى الحال أصبحت الوكالتان الانجليزية والفرنسية موضع شك من الجميع • وقد أرسل ايلى ميركاديه ، مراسل هافاس فى لندن ، خطابا الى التيمس ينفى فيه أخبار عقد أى اتفاق مع هافاس ، كما أعلنت رويترز نفيها لاية مزاعم من هذا القبيل • وبقيت المشكلة قائمة وهى حقيقة الصلات التى تربط الوكالات بالحكومات •خدمة للسياسة والاقتصاد على السواء •

أقوى من الجيش والأسطول :

واذا كان معدن الرجال يعرف فى المحن ، فان حقيقة الوكالات تعرف فى وقت الأزمات • وكانت الحرب العالمية الأولى أزمة دولية كشفت النقاب عن أعمال وكالات الأنبــاء وسياساتها واتجاهاتها ومواقفها . فبعد سنة واحدة من نشوب الحرب ، اتضح أن الوكالات تعمل صراحة لخدمة المصالح القومية •

وعندما استقر الرأى فى بريطانيا على ضرورة قيام وكالة رويترز بدور وطنى صريح الى جانب قضية الحلفاء ، عهد الى رودريك جونس تنفيذ هذه السياسة ابتداء من سنة ١٩١٥ . ولم يكن الأمر خفيا على أحد ، وخاصة بعد أن عين رودريك جونس نفسه مديرا للدعاية فى وزارة الاستعلامات البريطانية . وأصبح دور الوكالة هو توثيق الصلات بين أجزاء الامبراطورية البريطانية ، ورفع الروح المعنوية بين جنودها وجنود الحلفاء ، وقامت الحكومة بتمويل مشروع الوكالة علنا واعانتها بمبلغ ١٢٠ر٠٠٠ جنيه سنويا .

وعبثا حاولت رويترز اقناع العالم بأنها وكالة محايدة ، ولا علاقة لها بالحكومة ، ولكن تحليل البرقيات كان ينطق بخلاف ذلك تماما ، وأصدرت ألمانيا نشرة سنة ١٩١٥ بعنوان : « الفناء لوكالتى رويترز وهافاس(١) » . كما صورت صحيفة كلادرداش الألمانية وكالة أنباء رويترز فى عدد خاص صدر فى مارس سنة ١٩١٧ وأسمته « أكاذيب رويترز » وفيه تظهر الوكالة بشكل انسان عجيب يسير على أسلاك تلغرافية، لسانه مشقوق ، تخرج منه نباتات وتماسيح وكائنات غريبة . وتحت الصورة عبارة تقول : « ان الكذب هو قانون العالم ــ هكذا تعلمنا شبكة رويترز الاخبارية(٢) » .

وعندما قاربت الحرب من نهايتها فى أواخر الخريف ، نشرت صحيفة برلينر تاجيبلات(٣) صيحة مريرة تقول : أقوى من الأسطول والجيش وأخطر تلك الوكالة ــ وكالة رويترز .

---

(١) Los von Reuter und Havas!.

(٢) Die Lüge ist der Welt Gesetz-dies lehrt das Reuter-Kabelnetz.

(٣) Berliner Tageblatt.

والحقيقة أن الرقابة كانت تعمل فى كل مكان . فقد رفضت السلطات البريطانية اذاعة النبأ الذى أعلنته الوكالة الروسية عن تحطيم الجيش الروسى فى تاننبرج على يد هندنبرج ، كما حذف خبر سقوط مدينة موبوج الفرنسية على الحدود البلجيكية .

وفى مصر كان يعمل المراسل فرجوس فرجسون(١) سنة ١٩١٦ مع جيش الجنرال اللنبى الزاحف على القدس ودمشق ، ولم يسمح بنشر شىء عن هذا الزحف ، الا بعد وصول اللنبى الى القدس والاستيلاء عليها .

وقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية هى ميدان الصراع الحقيقى بين وكالات الأنباء الأوروبية . كما استطاع المراسل الانجليزى ادوين ملتون هود(٢) أن يظفر بتأييد الرئيس الامريكى تيودور روزفلت ووزارة الخارجية حتى قال عنه المستشار الألمانى بتمان هولفج فى خطاب ألقاه بالبرلمان الألمانى ، ان مراسل رويترز يملك مفتاحا ذهبيا لباب البيت الأبيض . وظل الوضع قائما على هذا النحو الى أن أعلنت الحكومة الألمانية فى مذكرتها بتاريخ ٣١ يناير سنة ١٩١٧ أنها تعتزم شن حرب الغواصات دون قيود ، وفى ٣ فبراير اذاعت رويترز نبأ قطع العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا .

الوكالات والحرب النفسية :

وقد عهدت بريطانيا بشئون الحرب النفسية ، منذ بداية الحرب العالمية الأولى ، الى السير جلبرت باركر الذى كان يقوم بارسال

---

(١) Fergus Fergnson.

(٢) Edwin Milton Hood.

الأخبار والمعلومات الى ٣٦٠ صحيفة أمريكية ثم جاء من بعده سير وليام وايزمان وجفرى باتلر الذى كان يعمل رئيسا لمكتب الاستعلامات البريطانى • غير أن اللورد نورثكليف صاحب جريدة الديلى ميل وغيرها من الصحف الشهيرة الكبرى ، ومعه رودريك جونس رئيس مجلس ادارة وكالة رويترز ومدير الدعاية بوزارة الاستعلامات ، قد أحدثا ثورة فى الحرب النفسية البريطانية ، أدت الى تحطيم جبهة العدو الألمانى وكسب ود أمريكا •

ومن مقر الدعاية والحرب النفسية التى اشتركت فيها وكالات الأنباء ، واتخذت لها خططا مدروسة ، كانت الحملات الاعلامية والملصقات والخطب والأفلام والنشرات المطبوعة التى تحملها البالونات وقنابل الطائرات تتساقط فى كل مكان • كما كانت لجان الاعلام التى تضم عمالقة الأدب والفكر من أمثال ويلز وكبلنج وبوتشان وبنيت هى المسئولة عن الكتب والنشرات والأخبار التى ترد من الوكالات وتلقى بالصواريخ والطائرات والبالونات والمدافع من عيار ٦ بوصة على خطوط الألمان ووراءها.

ولم يكن غريبا أن يعلق الرئيس هندنبرج على هذه الحرب النفسية بقوله : ان العدو يمزق خطوطنا بالقنابل والنشرات ، فالأولى تقتل الجسم والثانية تميت الروح المعنوية • ويذهب لند سميث وشتراوس الى أن الدعاية الانجليزية والأمريكية كانت سببا فى جر أمريكا الى الحرب ، بالرغم من الود الذى كان يكنه الشعب الأمريكى للألمان •

وقد رأينا أن الوكالات الأوروبية الثلاث كانت تحتكر الأخبار فى مناطق نفوذها ، كما سبقت الاشارة الى حادثة قطع الاتصال التلغرافى الكبير الممتد بين مدينة ايمدن الألمانية ومدينة نيويورك

الأمريكية ، وبذلك انقطعت الصلة تماما بين ألمانيا والعالم الخارجى وخاصـة الولايات المتحدة الأمريكية ، مما أدى الى عزل ألمانيا ، وانفراد لندن بالتأثير الاعلامى من خلال وكالة أنباء رويترز :

واتسمت دعاية الانجليز بالخبث والدهاء واسـتغلال أخطاء الألمان وتحويلها الى فظائع وجرائم تثير بها الرأى العام • فعندما أغرقت الغواصات الألمانية سفينة الركاب الأمريكية لوزيتانيا ، سارع الانجليز الى تحويل اعجاب الأمريكيين بألمانيا الى كراهية لها، نتيجة للأعداد الكبيرة من القتلى والجرحى ، من النساء والأطفال ، الذين لقوا حتفهم فى حادث اغراق هذه السفينة • وقد دافع الألمان عن أنفسهم قائلين أن السفينة كانت تحمل ضمن ما تحمله أسلحة للحلفاء ، وربما يكون هذا صحيحا ، ولكن وقع الحادث على الرأى العام وطريقة تفسـيره واسـتخدامه للتأثير فى الجماهـير ، أضر بالقضية الألمانية ضررا بليغا •

وهناك حادث آخر هو فقد الوثائق التى كان يحملها الدكتور ألبرت فى حقيبته ، وكان هذا الخبير الألمانى يقوم بحملة دعائية فى الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب لجمع التبرعات ، عندما فقد حقيبته بما تحتويه من وثائق خطيرة كشفت أدق أسرار الدعاية الألمانية وشبكات تجسسها • ووجد العملاء الألمان أنفسهم فجأة كالعراة أمام العـالم ، بعـد أن كانوا يتسـترون خلف الوظائف الدبلوماسـية ، والتمثيـل التجـارى والثقـافى ، وأصبح بعض الأمريكيين فى حرج شديد لاكتشاف أمرهم بين يوم وليلة •

واستفادت الدعاية البريطانية من خطأ الألمان فى اعتمادهم الشـديد على الشـفرة السرية ، واسـتخدامها فى اذاعة الأوامر والتعليمات الخطيرة • فقد استطاعت البحرية الانجليزية أن تلتقط

مذكرة تسمرمان وأن تحل شفرتها ، بما تضمنته من تعليمات تقضى بتحالف ألمانيا مع المكسيك واليابان • وهكذا أصبحت التعليمات السرية التى تقضى بتحويل المكسيك الى قاعدة معادية لأمريكا ، عن طريق منع شحنات السفن الأمريكية من الوصول الى أوروبا أمرا معروفا للجميع ، استغلته بريطانيا استغلالا ماكرا لتخريب ما تبقى من علاقات ودية بين ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية(١) •

وقد كانت ألمانيا هى المخطئة حين اعتمدت اعتمادا شديدا على شفرتها السرية ، وبالغت فى ثقتها بنفسها ، أخذت أصابع الاتهام الانجليزية تشير الى ألمانيا ، باعتبارها قوة خفية محركة للاضطرابات فى المكسيك ، ونجحت فى اقناع الرأى العام الأمريكى والعالمى بذلك • وهكذا أصبح حياد أمريكا منتهيا ، وأعلن الرئيس ولسن قراره أمام الكونجرس ، وعملت وكالة رويترز لكى يصل الخبر الى الصحف الصباحية فى بريطانيا لتنشرها جميعا ، ونجحت الوكالة فى خطتها فكانت أعداد الصحف البريطانية الصادرة يوم ٣ ابريل سنة ١٩١٧ تحمل نبأ اعلان الحرب على ألمانيا •

فارس الامبراطورية البريطانية :

أما فى روسيا فقد اندلعت الثورة البلشفية فى مايو سنة ١٩١٧ ، وخلع القيصر ، وأصبحت قوات الجيش الروسى فى حالة من الفوضى • وفى ديسمبر ، أصبحت وكالة الأنباء الرسمية ـ فستنيك(٢) ـ فى يد الثوار ، وتوقفت الأخبار لفترة من الزمن . ثم استؤنفت تحت اشراف البلشفيك • والحقيقة أن الموقف

(١) Gramling O., A. P.: The Story of News (1940) New York.

(٢) Vestnik.

السوفييتى ــ والشيوعى بوجه عام ــ صريح فى هذا الصدد ، لأنه ينظر الى وكالة الأنباء على أنها جزء من جهاز الدولة ، فوكالة أنباء تاس مثلا تتبع مجلس الوزراء مباشرة ، كما أن موظفيها وصحفييها يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية ·

فلم يكن غريبا أن ينظر الروس الى مندوبى الوكالات الغربية نظرة عداء سافر · فقد ألقى القبض على برنجر مراسل رويترز وأودع السجن ، ولم يطلق سراحه الا بعد ستة أشهر · كما فطن الألمان أيضا الى أهمية الوكالات سياسيا وعسكريا فشنوا حربا لا هوادة فيها على خطوط الاتصالات البحرية ، ويقال أنهم انتقموا من قطع الخط البحرى الموصل الى أمريكا ، فأخذوا يشنون هجمات مضادة ، حتى أنهم ربطوا احدى الزجاجات فى نهاية خط من الخطوط المقطوعة ، ووضعوا فيها ورقة جاء فيها : هذا من فعل الغواصات رقم ٢٦ لوضع حد للأكاذيب التى تنشر ضد ألمانيا ·

والمعروف أن الأمير الألمانى ماكس قد عرض على الرئيس ولسن أن يتدخل لانهاء الحرب ، وذلك فى الثالث من أكتوبر سنة ١٩١٨ · وفى العاشر من نفس الشهر أعلن الرئيس ويلسن رده ، غير أن النص لم يصل الى ألمانيا عن طريق سويسرا فى الوقت المناسب ، وعندما اجتمع مجلس الوزراء الألمانى لدراسة هذا الرد ، كانت برقية رويترز هى الأساس الذى دارت حوله المناقشة ، وهكذا لعبت الوكالة دور الجهاز الدبلوماسى · فلم يكن غريبا أن تمنح الحكومة البريطانية رودريك جونس لقب فارس الامبراطورية البريطانية ·

غير أن أحدا لا ينكر دور الوكالات فى قيامها بالخدمات السياسية والاقتصادية ، وان كانت نصوص الدساتير الرسمية

ونوائح الوكالات نفسها تؤكد حيادها وموضوعيتها وعدم تحيزها .
واذا كان رودريك جونس قد ذكر أنه لم يكن يتقاضى أى مرتب نظير قيامه بالعمل كمدير للدعاية فى وزارة الاستعلامات ، فان الحقيقة تظل كماهى ، علما بأنه قد ثبت فى بيان ألقته الحكومة فى مجلس العموم البريطانى بتاريخ ٣١ يولية سنة ١٩١٨ أن الوكالة قد تسلمت ١٢٦٠٠٠ جنيه فى سنة مالية واحدة ، مقابل قيامها بنقل الأخبار . وفى أول أكتوبر من نفس السنة أعلنت جريدة التيمس أن السير رودريك جونس قد استقال من منصبه كمدير للدعاية فى وزارة الاستعلامات لأسباب صحية .

غير أن جهود رويترز لخدمة السياسة البريطانية قد استمرت ، وخاصة فى مراحل مؤتمرات السلام ، وكان ونستون تشرشل يشرف بنفسه على تلك الجهود . ففى تلك الفترة ، كانت الوكالة ترسل أكثر من ١٢٠٠٠ كلمة يوميا فى ٦٦ أضافة لتنشر فى جميع أنحاء العالم .

وفى تلك المرحلة التى انتصرت فيها قوات الحلفاء ، نجد أن الوكالتين الانجليزية والفرنسية قد جددتا تعاونهما ، فى حين أن الوكالة الألمانية والوكالة النمساوية لم يعد لهما وجود يذكر ، وكما اعترفت أمريكا بالوضع السياسى والاقتصادى فى أوروبا ، اعترفت بالوضع الاعلامى أيضا . وفى سنة ١٩٢١ أصبحت الوكالتان الانجليزية والفرنسية تتزعمان سائر الوكالات الأوروبية فى المجر وبلغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا . أما روسيا فكان لها وضع آخر وسياسة أخرى ، سيأتى بيانها عند الحديث عن وكالتى تاس ونوفوستى فى الباب السادس .

أثر الراديو على الوكالات :

وكما أسفرت الحرب العالمية الأولى عن ظهور روح جديدة من الوطنية بين الدول الأوروبية ، ظهرت وكالات جديدة تعبر عن هذه الروح الاستقلالية السياسية ، كما أن الأخبار السياسية أصبحت تملأ النشرات الاخبارية التى تذيعها الوكالات . ومع ذلك ، فقد نشأ تطلع جديد الى الأخبار الاجتماعية والثقافية فى فترة ما بين الحربين ، وظهر ذلك جليا فى الصحافة الأمريكية أولا ثم فى الصحافة البريطانية بعد ذلك .

فقد خصصت صحيفة التيمس مثلا مبلغ عشرين ألف جنيه للحصول على أخبار اكتشاف آثار توت عنخ آمون فى مصر ،كما كان السبق الصحفى هو أهم معايير النجاح بالنسبة للوكالات . وتنوعت الأخبار لتشتمل على الفنون والآداب والرياضة ، فضلا عن الأخبار الانسانية الطريفة ، ولم تعد أيام الوكالات الأولى التى اقتصرت على الأخبار التجارية وحدها سوى تاريخ قديم . ولكن ذلك لا يقلل من قيمة الخدمات الاقتصادية فى حد ذاتها . فقد ذكر كارل أكرمان – عميد كلية الصحافة فى جامعة كولومبيا(١) – أن خدمات رويترز التجارية تعتبر من أهم معالم الصحافة الحديثة .

ولم يكن تجديد الوكالات مقصورا على تنوع الأخبار فحسب ، بل تجاوز ذلك الى استخدام وسائل اتصال حديثة أهمها الراديو . واذا كانت الحرب قد عطلت الوكالات عن استخدام الراديو ، فقد

---

(١) Carl Ackerman, Dean of the School of Journalism, Columbia University.

جاءت الفرصة سانحة بعد ذلك لتطبيق هذا الاختراع الجديد فى عالم الوكالات . وقد جربت هذه الطريقة لنقل الأخبار التجارية أولا . ثم عممت بعد ذلك بالنسبة للأخبار العامة .

وكان للراديو أثر كبير على الاحتكارات التقليدية فى عالم وكالات الأنباء ، فلم يعد من الضرورى أن تنقل أخبار رويترز الى شرق أوروبا عن طريق الوكالة الألمانية ، ولم يعد ضروريا أن تنقل أخبار هافاس عن طريق وكالة وسيطة الى أسبانيا والبرتغال ، بل لقد استطاعت الوكالات أن تتصل مباشرة بالعواصم التى تريد الاتصال بها . وهكذا أكد هذا الاختراع مرة أخرى زعامة الدول الكبرى فى السياسة والدعاية والاعلام على السواء .

ولكن الاختراع الجديد خلق مشكلة لم يكن لها وجود من قبل ، الا وهى مشكلة القرصنة لتلقى أخبار الوكالات من الهواء مباشرة ، عن طريق ضبط أجهزة الاستقبال على نفس تردد موجة جهاز الارسال . ولا زال الكثير من الوكالات والهيئات تستخدم أسلوب القرصنة للحصول على النشرات الاخبارية دون مقابل .

ولم يكن من الطبيعى أن تخرج الولايات المتحدة الأمريكية من عزلتها بعد انتصارها فى الحرب لكى تقنع بمكانة اعلامية ثانوية . وقد كانت وكالة أنباء أسوشيتد برس الأمريكية ترنو ببصرها الى أمريكا الجنوبية وأوروبا والشرق الأقصى ، كما كانت وكالة اليونيتد برس تسعى هى الأخرى لمنافسة الوكالات الأوروبية فى العالم القديم . وقد رأى كنت كوبر - مدير الأسوشيتد برس - أن الوكالات الأوروبية تقف حجر عثرة فى

سبيل تقدم الوكالة الأمريكية ، فأرسل صيحته المدوية ، حطموا الحواجز !

وقد فطن كنت كوبر منـذ البداية الى الرابطة الوثيقة بين العمل السـياسى والعمل الاعلامى ، وخاصة عندما رفضت وكالة أنباء هافاس نشر البلاغات الألمانية أثناء الحرب بحجة أنها وكالة فرنسية . وبذلك ثبت تماما أن الحكومات كانت توجه الوكالات فى أعمالها ، كما أن المسئول الأول فى وكالة رويترز كان هو نفسه مدير الدعاية فى وزارة الاستعلامات البريطانية . وهكذا كان من الطبيعى أن تعبر الوكالات الأمريكية عن حركات التوسع السياسية والاقتصادية التى كانت تقوم بها الولايات المتحدة .

وقد نجحت وكالة الاسوشيتد برس فى غزو اليابان ، وذلك بالتعاون مع الصحفيين اليابانيين ، ولم تجد وكالة رويترز بدا من الاعتراف بالأمر الواقع سـنة ١٩٣٢ . وهو أبلغ دليل على أن النشاط السياسى والاعلامى يسيران فى خط واحد ،ولا بد أن يعبر أحدهما عن الآخر . ومع أن كنت كوبر كان يتذرع بمبدأ الحرية المرسلة فى التجارة كأساس للتوسـع والعمل دون حواجز ، فان الحقيقة الواقعـة هى أن قوة أمريكا السياسـية والاقتصادية كان لا بد لها من تعبير اعلامى مناسب .

الوطنية والوكالات المحلية :

وقد لعب تيار الوطنية المتصاعد فى أوروبا دورا رئيسيا فى تأكيد تبعية الوكالات لسياسات الدول . فوكالة الأنباء الايطالية

ـ ستيفانى(١) ـ كان يسيطر عليها أحد أصدقاء موسولينى ، وكانت تظفر بمعونات سخية من الحكومة الايطالية . وفى ألمانيا ، تحولت وكالة ولف الى وكالة جديدة تحت حكم هتلر وأصبح اسمها المكتب الألمانى للأخبار ـ دويتشيس ناخريشتين بيرو(٢) ـ وكرست كل جهودها لخدمة الدعاية النازية .

وفى اليابان كانت وكالة دوماى أداة للسياسة اليابانية العدوانية العسكرية . والمعروف أن وكالة تاس السوفييتية وكالة رسمية ، تعبر عن سياسة الحكومة . وكذلك وكالة الأنباء الفرنسية تتلقى اعانات مالية كبيرة من الحكومة الفرنسية ، نظير خدماتها التى تقدمها لها . ولم تكن وكالة رويترز تحت اشراف رودريك جونس خبير الدعاية البريطانى مختلفة ، وان كانت بارعة فى اخفاء نواياها ، على النحو الذى تفعله اذاعة لندن العربية مثلا .

ولا شك أن الوكالات التى تعلن سياستها صراحة كوكالة تاس السوفييتية ، والوكالة الألمانية تحت حكم هتلر ، ووكالة ستيفانى الايطالية ، لا تشكل خطرا كبيرا بالنسبة للصحافة والاعلام ، وانما يكمن الخطر الأكبر فى تلك الوكالات التى تدعى الموضوعية والحياد والأمانة والصدق ، وهى أبعد ما تكون عن تلك القيم جميعا ، بل انها تستغل تلك القيم لتحقيق أغراضها .

وقد كتب كارل آكرمان ، أستاذ الصحافة فى جامعة كولومبيا ، تقريرا عن هذه الوكالات ، مهاجما الوكالتين الألمانية والايطالية

---

(١) Stefani.

(٢) Deutsches Nachrichtenburo (D N B).

لأنهما دأبتا على خداع الشعبين الألمانى والايطالى ، ولم يذكر شيئا عن وكالات الحلفاء ، ولكن الحقيقة أن رويترز والاسوشيتد برس واليونيتد برس والانترناشونال نيوز سرفيس كانت تعمل متحدة ومتعاونة ضد دول المحور ، وذلك يعكس الموقف السياسى والعسكرى تماما •

ولم تقتصر موجة الوطنية الجارفة على أوروبا ، بل تجاوزتها الى سائر الدول الأخرى وخاصة المستعمرات التى أخذت تعمل لكى يكون لها وكالات تتحدث باسمها وتعبر عن سياستها • وقد وجهت استراليا نقدا لاذعا لسياسة رويترز المنحازة لكل ما هو بريطانى ، واستشهدت بالعبارات التى كان يعلنها رودريك جونس عن دور الوكالة فى ابراز السياسة البريطانية والدفاع عنها •

وكان الشعور فى جنوب أفريقيا أكثر مرارة ، اذ اعتبرت رويترز أداة من أدوات الامبريالية البريطانية • وتكررت الصورة فى كندا على نطاق واسع ، وتقرر أن تكون وكالة كنديان برس هى المعبرة عن كندا والقائمة على خدمة الصحافة فيها • وحدث نفس الشىء فى جنوب أفريقيا حيث أصبحت وكالة جنوب أفريقيا المحلية هى المسئولة عن جمع الأخبار وتوزيعها •

ولم تختلف الهند عن سائر اجزاء الامبراطورية ، بل كان تيار الوطنية فيها قويا عارما • وفى اليابان عملت وكالة دوماى ومن بعدها كيودو على خدمة الصحافة اليابانية ، دون اعتماد كبير على الوكالات الأجنبية ، وان كانت تشترك فيها •

وقد أدركت الحكومة البريطانية أهمية دور الوكالات فى زمن الحرب بوجه خاص فأعطت وكالة رويترز فى أكتوبر سنة ١٩٣٨

تسهيلات وأجهزة لاسلكية قوية ، وبدأت حرب الوكالات بين ألمانيا وايطاليا وبريطانيا ، وهى الحرب التى عرضت المراسلين الأجانب لشتى صنوف الاضطهاد والتعذيب ، وأظهرت بطولات فذة بين المراسلين العسكريين .

واذا كانت مجلة « الحرب والطبقة العاملة » السوفييتية قد أشارت الى أن صيحات الحكومة الأمريكية لم تكن سوى خدعة من خدع الرأسمالية والدعاية ، فقد كان ذلك بمثابة اعلان للحرب الباردة التى خاضت فيها الوكالات معارك ضارية . وقد رأت الوكالات الغربية أن تجمع صفوفها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وخاصة وكالات بلجيكا وسويسرا وهولندا وفنلندا والنرويج والدانيمارك والسويد ، كما أنشئت وكالة آنسا الايطالية ، لتحل محل وكالة ستيفانى الفاشية . أما وكالة هافاس فقد تحولت الى وكالة الأنباء الفرنسية على النحو الذى شرحناه فى الباب الثانى .

وقد جاء فى حسابات وكالة الأنباء الفرنسية لسنة ١٩٤٧ أن مصاريف تشغيل الوكالة قد بلغت ٧٩٧ مليون فرنك ، بينما لم تزد ايراداتها عن ٣١٠ مليون فرنك ، أى نحو ٤٠٪ من مجموع المصروفات . وفى سنة ١٩٤٩ ، انخفضت نسبة الايرادات فأصبحت ٣٠٪ فقط من المصروفات ، وفى سنة ١٩٥٠ ، ذكرت الصحيفة الرسمية(١) أن الاعانة الحكومية للوكالة الفرنسية تبلغ ٩٠٣٥١٨٠٠٠ فرنك ، أى نحو مليون جنيه استرلينى . وبالطبع تزيد هذه النسبة كل عام زيادة ملموسة ، وفقا للخدمات السياسية والاقتصادية التى تقدمها الوكالة للحكومة الفرنسية .

---

(١) العدد الصادر فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٠ .

وكثيرا ما تذكر هذه الأرقام لبيان العلاقة الوثيقة بين الوكالة والحكومة الفرنسية ، والواقع أن هناك علاقات أخرى لا تقل فى شدتها عن تلك التى يتحدثون عنها فى فرنسا . ولا شك أن شواهد الأمور تظهر جلية من خلال الأخبار وطريقة صياغتها وأسلوب التعبير عن الأحداث والأزمات . ومهما حاولت الوكالات أن تخفى دورها فى خدمة السياسة والاقتصاد ، فان أساليب تحليل المضمون الاعلامى ، تكشف بطريقة علمية عن مدى تبعية الوكالات لحكومات الدول التى تعمل فى كنفها .

الباب الخامس

الوكالات الأمريكية والاحتكارات الاعلامية

الصحافة ظاهرة اجتماعية تتأثر بالظواهر الاجتماعية والاقتصادية الأخرى وتؤثر فيها . ولا بد من توافر الظروف الملائمة والعناصر الرئيسية اللازمة لاحتياجات نمو أى ظاهرة اجتماعية أو اقتصادية لكى تتنفس وتعيش . واذا نظرنا الى المجتمع الأمريكى لوجدنا أنه يتسم بسمات خاصة خلال الربع الأخير من القرن الماضى ـ وهو عصر ظهور الوكالات الأمريكية الكبرى . وأهم هذه السمات تزايد عدد المدن ونمو السكان بسرعة، وشيوع استخدام الآلة ، وما ترتب على ذلك من علاقات اجتماعية وصناعية طبعت الحياة الاجتماعية بالطابع الرأسمالى ، وجعلت وكالات الأنباء الأمريكية تمر بمراحل النشوء والتطور والمنافسة والاحتكار .

وتدل الاحصاءات على أن عدد المدن التى يبلغ تعدادها ٨٠٠٠ نسمة تضاعف فى الفترة ما بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٩٠٠ ، كما زاد عدد سكانها أكثر من الضعف ، حيث ارتفع من ١١ مليونا الى ٢٥ مليون نسمة . وفى سنة ١٨٨٠ ، كان ٢٢ر٧٪ من السكان ، البالغ عددهم ٥٠ مليون نسمة ، يسكنون فى مدن يبلغ متوسط تعدادها نحو ٨٠٠٠ نسمة ، فارتفعت تلك النسبة فى سنة ١٩٠٠ الى ٣٢ر٩٪ من عدد السكان البالغ ٧٦ مليون نسمة . وبلغت

السرعة فى زيادة عدد المدن وسكانها أقصاها فى السنوات العشر بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٩٠ ، وهى السنوات التى شهدت أعظم انتشار للصحافة اليومية ووكالات الأنباء الأمريكية .

وفى هذه الفترة كان المجتمع الأمريكى الرأسمالى يدخل عصر الثورة الصناعية بخطى سريعة ، وظهرت آثار ذلك على الاقتصاد فى شكل انتاج ضخم ومنافسة قاسية لا ترحم بين المنتجين والموزعين ، فابتلعت المشروعات الكبيرة كل المشروعات الصغيرة ، وبدأت عصور الاحتكار على أنقاض مذهب الحرية المرسلة . وهبطت نتيجة لذلك عدد الشركات المنتجة هبوطا كبيرا فى كثير من الصناعات والمجالات الاقتصادية المتنوعة .

وينظر الأمريكيون الى الصحيفة كسلعة أو كوسيلة للاستثمار، كما يعتبرون الأخبار بضائع قابلة للبيع والشراء . وما دامت الثورة الصناعية قد غيرت المفهوم الاقتصادى ، من وحدات انتاجية تصنع وحدات قليلة تباع بأسعار مرتفعة الى وحدات انتاجية تصنع وحدات كثيرة تباع بأسعار منخفضة ، فقد صاحب ذلك انخفاض حاد فى عدد الوحدات الانتاجية ، وزيادة ضخمة هائلة فى عدد السلع المصنوعة .

وتأثرت الصحافة بهذه التغيرات والتحولات الاقتصادية ، كما تأثرت بطبيعة المجتمع المتطور حضاريا ومدنيا ، وجاء الاعلان قوة هائلة تيسر سبل الانتاج الضخم ، غير أن الاتجاه الى انتاج أعداد ضخمة من النسخ لكل صحيفة ، كان معناه ميكنة العمليات الصحفية ، وتعقيد الامكانيات الفنية ، فسقطت الصحف الفقيرة والضعيفة ، ولم يقو على الصمود سوى عدد محدود من الصحف الكبرى .

وما كان يمكن لوكالات الأنباء والصحف اليومية الكبرى أن تعيش بمعزل عن التطورات الفنيـة والادارية الضخمة فى عالم المخترعات الحديثة التى أخذت تغزو السوق بسرعة مذهلة · فالجمع الآلى السريع ، والطبع الآلى لمئات الآلاف من النسخ فى ساعة واحدة . . وانتاج الورق من لب الخشب بطريقـة علمية سريعة ورخيصـة ، وتقدم وسائل المواصلات وفنون الاتصال السلكية واللاسـلكية · كل ذلك جعل تطور الصحافة من الوحدات الصغيرة الكثيرة البسيطة الى الوحدات الضخمة القليلة المعقدة باهظ التكاليف ·

التقدم التكنولوجى والتكاليف الباهظة :

وقد كان الشخص فى بداية القرن الماضى اذا امتلك أو اقترض خمسة جنيهات وبضعة أفكار يريد أن يعبر عنها أو يروج لها بين الناس من حوله ، استطاع أن يخرج صحيفة يجمع أخبارها ويصور رسومها ، ويطبعها على الحجر بنفسه ، ثم يوزع نسخها التى تبلغ عادة بضع مئات قليلة على الناس · وقد فعل ذلك صحفيون وطابعون كثيرون من أمثال أديب اسحق ويعقوب بن صنوع وعبد الله النديم فى مصر ونيكولاس بورن وتوماس آرشر ونيدهام وديفو وستيل وأديسون فى بريطانيا ، وبنجامين هاريس وجون كامبل وبنجامين فرانكلين وبروكر فى أمريكا ·

ولكن البلاد اذ تتقدم حضاريا ويرتفع مستواها ثقافيا ويزداد تطورها اقتصاديا ، ويزيد عدد سكانها ، وتكثر مدنها . وتتطور الصناعة والتجارة فيها ، لا تلبث أن تصدر من الصحف ما يتمشى مع مسـتواها الحضارى · فبعد أن كانت الخيول والحمام الزاجل تستعمل لنقل الأخبار . اذا بوسائل المواصلات المختلفة كالبواخر والسكك الحديدية والسـيارات والطائرات تتقـدم ، ثم يخترع

مورس التلغراف سنة ١٨٣٧ ، ويخترع جراهام بل التليفون سنة ١٨٧٥ ، ويحدث ماركونى ثورة هائلة فى طرق المخابرة باختراع الراديو واستعماله لنقل الأخبار فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٧ لأول مرة بين لندن ووشنطن ، وتمتد الأسلاك البرقية عبر الجبال والمحيطات وتنشأ وكالات الأنباء .

ثم تتقدم الحياة الديمقراطية وينتشر التعليم وتصبح الحاجة ملحة لعدد كبير من نسخ الصحف تكفى ملايين السكان الذين يتزايد عددهم وتكثر تجمعاتهم فى المدن ، فتتفتق الأذهان الانسانية عن مخترعات جديدة كآلة الجمع السطرية التى اخترعها مرجنتالر سنة ١٨٨٦ ، وآلة المونوتيب التى اخترعها تولبرت لانستون سنة ١٨٨٧ ، وآلة الجمع البرقى التى تمكن من تشغيل عدة آلات فى وقت واحد من مصدر واحد سنة ١٩٢٥ .

وذلك فضلا عن تطور صناعة الكليشيهات المدنية سنة ١٨٨٠ ، واتقان صناعة الورق وميكنتها ابتداء من سنة ١٨٦٧ ، كما تطورت المطابع من آلات تدار باليد الى آلات تدار بالبخار ثم الى آلات تدار بالكهرباء سنة ١٨٩٦ . ومن آلات مسطحة الى آلات دوارة تطبع شريط الورق من وجهيه دفعة واحدة . كما استعملت آلات الطبع الدوارة للألوان سنة ١٨٩٢ .

ولعبت الآلات الكهربائية دورا بارزا فى أحداث ثورات أخرى فى أقسام الأخبار والاعلانات والطبع والجمع والحفر . وفى الفترة ما بين ٢٠ و ٢٤ أغسطس سنة ١٩٥٦ ، استطاعت صحيفة نيويورك تيمس طبع صحيفة صباحية مكونة من عشر صفحات فى مدينة سان فرانسسكو باستخدام جهاز الكترونى يستطيع نقل صفحات كاملة من صحيفة يومية عبر القارة الأمريكية بسرعة دقيقتين

فقط للصفحة الواحدة • وينتظر أن تعمل وكالات الأنباء مستقبلا فى انتاج صحف جاهزة توزع على من يريد فى المؤسسات الصحفية المختلفة(١) •

ويرى البعض أن الأجهزة الألكترونية سوف تحدث ثورة فى الصحافة مماثلة للثورة التى أحدثتها الطباعة من قبل • وقد أدت كل هذه التطورات الى أن تصبح الصحيفة صناعة ضخمة لا يكفيها حجرة أو طابقا أو منزلا بأكمله على أحسن تقدير ، وانما تتطلب بناء شاهقا ضخما مثل صحيفة تريبيون التى تصدر بمدينة شيكاجو الأمريكية مثلا ، فهى تحتل ناطحة سحاب يطلق عليها اسم « قلعة تريبيون » وتضم هذه القلعة ثلاثة وأربعين طابقا ، والى جانبها ثلاثة أبنية أخرى: مبنى منها للطباعة الملونة ، وآخر لصناعة الحبر، وثالث يضم أربعة طوابق ويستعمل مخزنا للورق الذى تبلغ كميته عشرات الآلاف من الأطنان •

وعلى مقربة من ناطحة السحاب والأبنية الثلاثة الملحقة ، نجد دارا للاذاعة تتكون من أربعة طوابق تتبع الجريدة • وتمتلك جريدة تربيون غابات الاشجار التى تصنع منها الورق وعدة بواخر لنقل الأخشاب الى مصانع الورق الكائنة بالقرب من المدينة ، ويبلغ عدد موظفى الصحيفة حوالى ستة آلاف موظف ، ألفان وخمسمائة منهم يعملون فى مكاتب مكيفة الهواء •

---

(١) Glover, J. G. & R. L. Lagair, The Development of American Industries (New York) 1959, p. 694-695.

(٢) Newsweek, Vol. LXVI, No. 22, November 29, 1965. p. 50.

ومن الطبيعى أن تكون هذه المؤسسات المعقدة باهظه التكاليف. وفى سنة ١٩٤٧ ، قدرت لجنة حرية الصحافة المبالغ اللازمة لاصدار صحف يومية حديثة فى مدن مختلفة . وتبين أن أصدار صحيفة يوميــة فى مدن كبيرة وقادرة على النجاح يتطلب ما بين ثلاثة الى خمسة ملايين دولار ، بينما يتطلب اصدارها فى مدينة متوسطة ما بين ثلاثة أرباع المليــون الى بضعــة ملايين دولار ، ويتطلب اصدارها فى مدينة صغيرة ما بين ٢٥ ألف الى ١٠٠ ألف دولار . وفى السنوات الخمس الأخيرة ارتفعت قيمة بعض الصحف اليومية الى أكثر من أربعين مليون دولار(١) .

معالم الصحيفة وشخصيتها :

وقد صاحب التغير المســتمر فى صناعة الصحف وتطورهــا ، تغير آخر فى معالم الصحيفة وشخصيتها ومضمونها . فبعد أن كانت الصحيفة تعتمد على الأخبار الواردة من السفن القادمة من أوروبا. الى جانب بعض المقالات والقطع الأدبية والأحاديث الشــخصية التى تعبر عن آراء أصحابها ، تحولت الصحيفة ، بمقتضى تغــير ظروف المجتمــع وتطوره وتصنيعه الى جهــاز اخبارى بالدرجــة الأولى . وبدأ الاعتماد على المقالات يقل تدريجيا .

ومع أن بعض الصحف المحافظة مثل صحيفة نيويورك هيرالد تربيون التى أنشأها هوراس جريلى سنة ١٨٤١ قد أهتمت بتغليب عنصر المقال الشخصى ، واستمرت فى اتباع هذه الطريقة ، فان أغلب الصحف قد اندفعت بحثا عن الأخبار والاعلانات . وجاء

---

(١) Commission on Freedom of the Press. [illegible] Chicago, p. [illegible]

دور الصحف زهيدة الثمن مرتبطا بالطبقة العامة والعاملة فى الفترة ما بين سنة ١٨٣٠ وسنة ١٨٥٠ • وهنا نجد أن تيار الأخبار الانسانية والطريفة الذى ابتدعه بنجامين راى فى صحيفة نيويورك صن سنة ١٨٣٣ قد أخذ يطغى على سائر التيارات الأخرى ، حتى أنه ظهر فى السنوات العشر التالية ، أكثر من ٣٥ صحيفة مشابهة لصحيفة بنجامين داى •

غير أن هذا التيار قد بلغ ذروته فى الصحافة الصفراء التى كانت لا تراعى أبسط المبادىء الخلقية الصحفية والانسانية ، مستغلة فى ذلك كل ما وصلت اليه الصحف فى تقدمها وتطورها من فنون الكتابة والتصوير والطباعة من أجل ابراز عناصر العنف والجريمة والجنس والرذيلة . وتزعم هذا الاتجاه بوليتزر فى صحيفة ورلد الصباحية والمسائية فى نيويورك ، كما تزعمه هيرست فى صحيفة جورنال ، ثم تبعهما سيل من الصحف التى ارتفع توزيع بعضها الى المليون نسخة أو يزيد •

ولكن بعض الصحف لم تشأ أن تتردى فى هذا التيار المسف ، وان اعتمدت أيضا على الأخبار ، ومثال ذلك صحيفة نيويورك تيمس وصحيفة كريستيان ساينس مونيتور وغيرهما • ولكن الذى لا شك فيه أن طابع الصحافة الجديدة كان طابعا اخباريا عاما يتابع النشاط السياسى والاقتصادى ولا يهمل أنباء العلم والفن والأدب والرياضة •

والواقع أن غلبة التيار الاخبارى على الصحافة الحديثة كان معناه ارتفاعا كبيرا فى النفقات بسرعة لا تتناسب مع ارتفاع الدخل • حقيقة أن أى صناعة أخرى كالسيارات أو الثلاجات أو الأطعمة يستطيع صاحبها أن يغلق بعضها أو يضيف اليها ، أو

يوقفها كليا لبعض الوقت حتى يستعيد نشاطه ، غير أن الصحافة لا يمكن أن يسرى عليها ذلك ، لأن الصحيفة لا بد وأن تصدر بصفة دورية منتظمة ، وأن تعطى أخبارا كاملة ، بصرف النظر عن أى اعتبار اقتصادى ·

ويلاحظ أن دخل الاعلانات مرهون بعوامل اقتصادية عديدة ، كما يرتبط بالمنافسة بين الصحف منجهة وبينها وبين أجهزة الاعلام الأخرى من جهة أخرى · وقد تبين من دراسة ميزانيات الصحف أن أرباحها اتجهت نحو التناقص المستمر فيما بين الحربين العالميتين على الوجه التالى(١) :

السنة	النسبة المئوية للأرباح
١٩٢٢	١٢٫٥٠
١٩٢٤	١١٫٧٦
١٩٣٠	١٠٫٣٠
١٩٣٣	٧

وقد أثبتت الدراسات التى قامت بها مجلة اديتور آند بابلشر أن نفقات الصحف تزيد باضطراد على دخلها · وتتمثل نصف التكاليف فى الأجور ، وربعها فى الورق · وكانت زيادة أسعار الورق المطردة ، وكذلك زيادة الأجور تخلق مشكلات ادارية ومالية عديدة ، مما أدى الى سقوط الكثير من الصحف ، أو اندماجها فى وحدات أخرى ·

(١) Pollard, J. E., Principles of Newspaper. Management (1937) Landon, p. 322.

مولد الأسوشيتد برس :

ولا شك أن ظهور وكالات الأنباء كان فى حد ذاته استجابة ضرورية لا بد منها لحل مشكلات النفقات المتزايدة ، ولدعم شخصية الصحيفة الاخبارية الجديدة • والواقع أن الوكالات الأمريكية كانت بمثابة محاولات من جانب الصحف للمحافظة على كيانها فى مواجهة المنافسة الحادة الخطيرة من الصحف وأجهزة الاعلام الأخرى.

وقد رأينا أن السباق للحصول على الأخبار الخارجية من السفن القادمة من أوروبا قد اتخذ أشكالا شتى ، وكان أبسط تلك الأشكال تكوين أول اتحاد صحفى من ست صحف أمريكية بمدينة نيويورك ، أطلق عليه اسم اتحاد أخبار الميناء ، وذلك سنة ١٨٤٨[1] ، من أجل تلقى الأخبار من السفن القادمة الى نيويورك من أوروبا . وقد كانت نفقات سفن الأخبار الخفيفة التى كانت تخرج لاستقبال السفن الكبيرة فى عرض المحيط توزع على الصحف الست بالتساوى.

وفى سنة ١٨٥٦ اتخذ هذا الاتحاد اسما جديدا هو نيويورك أسوشيتد برس ، وأصبح عدد أعضائه سبعا ، وهى صحف مدينة نيويورك كلها • وكان الغرض من انشاء الاتحاد هو خفض نفقات كل صحيفة الى أقل حد ممكن . وتزويد القراء بأكبر عدد من الأخبار ، فقد كان المجتمع الجديد متعطشا الى المعرفة •

وقد سبق القول أن طبيعة المجتمع الأمريكى الرأسمالى التنافسى لم تكن تطيق هذا النوع من التعاون ، فسرعان ما تكونت اتحادات اقليمية فى أجزاء متعددة من الولايات المتحدة . بعضها

---

(1) Harbour News Association

فى الغرب ، وبعضهـا فى الوسط ، والبعض الآخر فى الجنوب أو الشرق • ثم جاء ارتفاع تكاليف نقل الأخبـار بعـد ظهور التلغراف وانتشاره ، وقيام شركات التلغراف بمساومة وكالات الأنباء ، عاملا جديدا لزيادة المنافسة ، وانزلاق البعض فى تيارات احتكارية لا تقيم وزنا لخلق أو ضمير •

وأصبح الموقف يزداد تعقيدا كل يوم • فالصحف مضطرة الى استخدام أفضل وسائل نقل الأخبار وأسرعها ، وهذه تكلف نفقات باهظة ، مما يؤدى الى تكوين الاتحادات والوكالات ، ولكن هذه الأخيرة تدخل فى صراعات ومؤامرات بين شتى الولايات ، وذلك من أجل خفض النفقات وتوزيعها بين الأعضـاء ، والقضـاء على الوكالات والصحف المنافسة ، دون هوادة •

فاذا القينا نظرة فاحصة على الأسس التى بنى عليها أول اتحاد فى نيويورك ، وهو الاسوشيتدبرس الذى بدأ فى نيويورك بسبعة أعضاء ، كان من بينها صحيفة نيويورك تيمس ، لأدركنا مدى التعنت وروح الاحتكار وحدة المنافسة التى كانت تسود فى تلك المرحلة ابتداء من تأسيس هذه الوكالة سنة ١٨٥٦ •

فقـد اتفقت الصحف السـبع على أن تكون جميع الأنبـاء التلغرافية التى ترد الى الوكالة ملكا شائعا بين جميع الأعضـاء ، فمن حقهم الحصول عليها • ولا يمكن قبول أى عضو جديد فى هذا الاتحاد أو تلك الوكالة الا بعد موافقة اجماعية ، حتى لا تعطى أية فرصة للصحف المنافسة • ولا يمكن لأية صحيفة عضـو فى الوكالة أن تبيع الأخبار التى تحصل عليها الى الصحف الأخرى الا عن طريق الوكالة ولمصلحتهـا • وترتب على ذلك ـ بطبيعة

الحال ـ عدم السماح لاى عضو بالحصول على الاخبار من أية صحيفة أو وكالة غير عضو فى الاتحاد ـ نيويورك أسوشيتدبرس .

وهكذا مارست أول وكالة أمريكية للأنباء احتكارا محكما ، ساعد على قيامه طبيعة المدينة التى أنشئت فيهـا الوكالة ، وهى مدينة نيويورك التى تقع فى بداية الخط التلغرافى العابر الى أوروبا ، وفى نهاية الخط التلغرافى الذى يصل بين غرب القارة وشرقها . واستغلت الوكالة حقها فى بيع الأخبار ، فكانت تفرض السعر الذى تريده ، دون أن تستطيع الصحيفة المشترية أن تساوم أو تناقش .

فكان من الطبيعى ، اذن ، أن تثور الصحف وتغضب الوكالات الاخرى الجديدة ، التى أخذت تنشأ من أجل تحطيم هذا الاحتكار الاعلامى الاول فى نيويورك ، وقد استخدمت فى هذا السبيل كل الوسائل المشروعة وغير المشرعة .

من المحلية الى القومية :

وقد فطنت الوكالات الأمريكية الجديدة الى عيب رئيسى فى وكالة الاسوشيتدبرس النيويوركية ، وهو أنها تقوم على اتفاقات بين أطراف متعددة ، يعوزها صفة التأسيس القانونى ، فاتجهت هذه الوكالات الناشئة الى تدارك هذا العيب ، وعملت على اشهار تأسيسها وفقا لقوانين الولايات التى ظهرت فيها وتشريعاتها .

ولكن ليس معنى ذلك أنها كانت أكثر تسامحا ، بل انها على العكس من ذلك ، كانت تصر على منع أعضائها من التعـاون مع الصحف والوكالات الاخرى أو الاتصال بها ، كما استمر تقييد

حرية تبادل الاخبار التلغرافية فيما بينهم ، فضلا عن عدم السماح بقبول عضـوية جـديدة فى الوكالة الا بعـد موافقـة الأغلبية الساحقة ٠

فعلت ذلك وكالة الاسوشيتدبرس الغربية التى أنشئت سنة ١٨٦٤ بولاية مشيجان ، وحذت حذوها وكالات أخرى جديدة ٠ ولا شك أن ظهور هذه الوكالات بشخصياتها القانونية والمعنوية ولوائحها المالية قد خلق منافســة قوية فى وجه وكالة نيويورك الأولى ، التى اضطرت فى نهاية الأمر الى التخفيف من حدة احتكارها وغلوائها فى شروط العضوية وتبادل الأخبار ٠

ومضت هذه الوكالات الصغيرة المتعددة فى تنافسها الشديد ، وبددت كل جهودها فى المؤامرات التى يحيكها كل منهـا للأخرى ، فساد جو من الفوضى وعدم الاستقرار ، ولم تستطع الوكالات أن تحقق الغرض من انشائها وهو توفير الأخبار للقراء بأسعار تعاونية ، وبدا أن الحل هو فى ضرورة التعاون الحقيقى بين هذه الوكالات الكثيرة الضعيفة لانشـــاء وكالة كبرى قوية تعمل على المستوى القومى فى سائر الولايات ٠

وبدلا من هذه الوكالات المحلية الصغيرة ، ظهرت لاول مرة فى الولايات الغربية الوسطى وكالة اقليمية سنة ١٨٩٢ ، بمدينة الينوى واسمها أيضـا أسوشيتدبرس ٠ ولما كان هدف الوكالة الجديدة هو جمع الأخبار والموضوعات وتوزيعها وبيعها عن طريق الخطوط التلغرافية والتليفونية ووسائل نقل الأخبار الأخرى . فقد أصرت فى قانون تأسيسها على أن تملك القدرة على المساومة والتعامل مع شركات التلغراف والتليفون ، فضلا عن قدرتها على منافسة الوكالات الاخرى ٠

ومع وجـود مجلس ادارة اقليمى للوكالة ، شـكلت مجالس محلية من الاعضاء فى كل منطقة ، ولم يكن يسمح بقبول أى عضو جديد فى الوكالة الا بعد موافقة الاعضاء فى تلك المنطقة التى يعمل فيها العضو الجديد المرشح للانضمام الى الوكالة • غير أن هذه الوكالة الاقليمية قد نجحت فى تجميع الكثير من الوكالات المحلية مثل وكالة الاسوشيتدبرس الشمالية الغربية ، وتتكون عضويتها من صحف أعالى المسيسبى ، ووكالة أسـوشيتدبرس الجنوبيـة ، ووكالة أسوشيتدبرس الاقليمية فى ولاية نيويورك ، وهى الصحف التى لا تصدر فى المدن ، بالاضافة الى أعضاء الوكالة الاولى التى كانت قد تأسست سنة ١٨٤٨ وصفيت سنة ١٨٩٣ •

وأخذت وكالة الينوى تتقـدم بسرعة ، ولم تستطع وكالة اليونايتدبرس المنافسة لها فى تلك المنطقـة أن تصمد أمامها ، ومضت فى خطتها التوسعية ، مصرة على أخـذ الأعضـاء بمنتهى الشدة من أجل تنفيذ قوانينها ولوائحها ، ونجحت فى الحصول على امتيازات وتنازلات من الشركات التلغرافية والتليفونية •

الاحتكار الاعلامى الداخلى :

ومع أن وكالة الاسوشيتدبرس قد أصبحت فارسة الميدان دون منافسة ابتداء من سنة ١٨٩٧ ، بعد انهيار وكالة اليونايتدبرس فى المنطقة ، فان سياستها الاحتكارية المتشـددة ، وتصرفاتهـا المتعصبة قد خلقت جوا من القلق والغضب بين كثير من الصحف • ومثال ذلك ما حـدث سـنة ١٨٩٨ ، عنـدما قررت الوكالة منع أعضائها من التعامل مع صحيفة نيويورك صن ، باعتبار أنهـا صحيفة معادية للوكالة • غير أن هذه الصحيفة التى وجدت فى قرار الوكالة تعنتا وظلما لجأت الى القضاء فرفعت قضيتين ضد الوكالة ،

وما لبثت أن حذت الصحف الاخرى التى كانت تعانى من نفس الاحتكار حذوها ٠

ولعل أشهر تلك القضايا وأخلدها تلك التى قامت صحيفة شيكاجو انتر أوشن برفعها ضد الوكالة ٠ فمع أن هذه الصحيفة عضو مؤسس للوكالة ، فقد تقرر فصلها من العضوية لانها تعاملت مع صحيفة معادية ، هى صحيفة نيويورك صن سـابقة الذكر ٠ ولما كان قرار المحكمة فى هذا الصدد يعتبر قرارا تاريخيا حاسما فى تاريخ الاحتكار الصحفى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، رأينا من المفيد أن ننقل نص عباراته(١) ٠

فقد جاء فى حكم المحكمة : « ان طبيعة عمل وكالة تقوم بجمع الأخبار والمعلومات على نطاق واسع وكبير على النحو الذى تفعله الوكالة المدعى عليها ، وكذلك ما يترتب على نشر تلك الأخبار وتوزيعها من تكاليف باهظة ٠٠ يجعل من الصعب على أية صحيفة أن تقوم بعمل مماثل لجمع الاخبار وتوزيعها ، وهكذا يسفر الامر عن تركيز العمل فى وكالة واحدة ذات شخصية معنوية كالمدعى عليها ٠٠ وحيث أن الصحيفة لا يمكن أن تقوم لها قائمة فى هذه الآونة ما لم تحصل على أخبارها ومعلوماتها من وكالة مثل المدعى عليها ٠٠ فان حجب الاخبار عن الصحف أو منعها من استخدام تلك الاخبار ، لا بد وأن يؤدى الى تحطيم الصحيفة ، وجعلها غير جـديرة بالصفـة التى تتحلى بهـا ، أو الشـخصية التى تريدها لنفسها » ٠

---

(١) Swindler, W. F. The A P. Anti- Trust Case in Historical Perspective. Journalism Quarterly, Vol. 23, No. 1, March 1946, p.p. 48-49.

وجاء فى الحكم أيضا أن الأخبار انما تجمع لكى تنشر ، ومن حق ناشرى الصحف جميعا أن يحصلوا على الأخبار دون ما تفرقة أو تمييز بينهم • وتؤكد المحكمة فى قرارها أن حالة الاحتكار التى تنجم عن اجراءات العضوية المتعسفة تتعارض مع طبيعة الاعلام فتقول : ويؤدى تطبيق نصوص قانون الوكالة المدعى عليها الى فرض طابع معين على الأخبار التى يسمح بنشرها ، ولا شك أن هذا املاء على الصحافة يجعلها عاجزة عن التمييز بين ما هو حقيقى وما هو زائف ، ما دامت مراجعة الأخبار عن طريق المصادر الأخرى غير متاحة ، وبهذه الطريقة تخلق الوكالة المدعى عليها احتكارا لمصلحتها ، تفرض بموجبه أخبارا معينة وتمليها على الصحف املاء ، مما يضر بمصالح الجماهير • وهذه القوة الاحتكارية معادية للقراء وللصالح العام •

وقد جاء حكم المحكمة حاسما قويا ، ونزل نزول الصاعقة على تلك الوكالة التى ظنت أن قوانين ولاية الينوى سوف تحميها الى الأبد • وتجددت فكرة الوكالة القومية التى لا بد أن تكون عضويتها مفتوحة لسائر الصحف • وعندما وجدت الوكالة أن مصالحها تتعرض للخطر فى الينوى ، وخاصة فى ولايات كنطكى ونبراسكا وتينسى ، وغيرها من الولايات التى حذت حذو الينوى ، فسنت قوانين تحظر الاحتكار الصحفى ، لم تجد بدا من أن تحمل عصاها على كتفها وترحل •

مقاومة الاحتكار فى الخارج :

وألقت الوكالة بعصا ترحالها فى نيويورك ، بعد أن صفت أعمالها فى ولاية الينوى ، رغم أنها كانت توزع أخبارها على نحو سبعمائة جريدة سنة ١٨٩٥ • وقد سقطت القضايا التى رفعت

ضد الوكالة بحكم تصفيتها ، ونص القانون الجديد لوكالة أسوشيتدبرس فى نيويورك على تحديد صفة الوكالة باعتبارها اتحاد بين ممثلى صحف معينة ، لاقامة تنظيم تعاونى يقصد منه جمع الأخبار وتبادلها بطريقة اقتصادية وفعالة ، وذلك لنشرها فى الصحف التى يمتلكها الأعضاء أو يمثلونها ٠

غير أن الوكالة الجديدة مضت فى سياستها القديمة بنفس التعنت الذى يرفض قبول عضوية أعضاء جدد الا بالشروط المبينة فى القانون الذى ينص على عدم السماح لأية صحيفة أو وكالة أخرى بالتمتع بحقوق العضوية أو الامتيازات والتسهيلات التى توفرها تلك العضوية ٠ وكان للأعضاء فى مناطقهم حق الاعتراض على قبول أى عضو جديد يعتبر انضمامه الى الوكالة ضارا بمصالحهم ٠

واذا كانت ولاية نيويورك قد منحت الوكالة حرية العمل بموجب قوانينها ، فان الصحف والوكالات التى أخذت على عاتقها مقاومة الاحتكارات قد لجأت الى المحاكم الفيدرالية للحصول على حقوقها ٠ وتحت ضغط تيار مقاومة الاحتكار الذى بلغ ذروته ، اضطرت الوكالة الى تعديل بعض قوانينها ٠ مثال ذلك أنها سمحت للأعضاء بشراء الأخبار من الوكالات الأخرى المنافسة ، بعد أن كان ذلك محظورا عليهم حتى سنة ١٩١٥ ٠ كما أنها وسعت قاعدة التصويت بين الأعضاء ومنحتهم حق الاعتراض دون تفرقة بين عضو وآخر وذلك سنة ١٩٢٨ ٠

وقد أنشأت الأسوشيتدبرس مكاتب لها فى أوروبا ولكنها لم تستطع منافسة الوكالات الأوروبية التى كانت تحتكر توزيع الأخبار فى مناطق نفوذها على النحو الذى بيناه فى الباب الرابع ٠

والغريب أن هذه الوكالة الأمريكية التى كانت تمارس الاحتكار فى الداخل ، أخذت تحارب الاحتكار على المستوى الدولى ، فسمحت لبعض صحف أمريكا اللاتينية بالاشتراك فى عضويتها سنة ١٩٢٠، كما خاضت معركة حامية ضد الوكالات الأوروبية الثلاث - رويترز وهافاس وولف - وبدأت توزع أخبارها فى الخارج ، ضاربة عرض الحائط باتفاقيتها السابقة مع الوكالات الأوروبية ، بل انها أعلنت الغاء هذه الاتفاقية سنة ١٩٣٤ .

أمريكا تخرج من عزلتها :

وقد رأينا أن وكالة أنباء أسوشيتدبرس القديمة فى نيويورك قد عقدت اتفاقية مع الوكالات الثلاث الأوروبية الكبرى - هافاس وولف ورويترز - سنة ١٨٧٠ ، وذلك لتبادل الأخبار فيما بينها . وبعد عشرين عاما - وفى سنة ١٨٩٣ - اتسع التحالف بين الوكالات ليصبح رباعيا بانضمام الأسوشيتدبرس الأمريكية بعد أن كان ثلاثيا بين الوكالات الأوروبية فقط . وقد استمرت الأوضاع كما هى فى أوروبا ، وكان التغيير الوحيد هو منح حق نشر الأخبار فى أمريكا - وهو الذى كانت تتمتع به رويترز - الى الأسوشيتدبرس .

وقد توسع الامتياز الممنوح للأسوشيتد برس فشمل كندا (ولكن ليس بصفة انفرادية) ثم المكسيك وأمريكا الوسطى وجزر الهند الغربية . وبموجب الاتفاقية ، كان لا يحق لأى وكالة أوروبية أن تبيع الأخبار لأية وكالة فى أمريكا فيما عدا الاسوشيتد برس ، كما كانت أنباء أمريكا لا تؤثر فى أوروبا الا من خلال الوكالات الاوربية الثلاث - كل فى منطقة نفوذها .

وكان هذا هو ثمن قبول الاسوشيتد برس فى عضوية التحالف الرباعى .

وظلت الأمور تجرى فى أعنتها بطريقة مرضية وملائمة لدور أمريكا السياسى والاقتصادى الذى يعكس مبدأ مونرو المشهور . ولكن عندما خرجت أمريكا من عزلتها سنة ١٩١٧ ، أصبح الموقف مختلفا ، ولم تعد الوكالة الامريكية قانعة بدورها المحدود . فالاعلام انعكاس طبيعى للأوضاع السياسية والاقتصادية كما رأينا فى الباب السابق . وكانت الوكالة الامريكية تتطلع بأبصارها نحو أمريكا الجنوبية والشرق الأقصى وأوروبا نفسها كأسواق محتملة لأخبارها . غير أن اتفاقية التحالف الرباعى ، كانت تقف فى سبيل التوسع والانطلاق .

ومن جهة أخرى ، كانت قد ظهرت وكالة اليونايتد برس اسوسيشن فى أمريكا سنة ١٩٠٧ ، وهى وكالة خاصة تمنكها سلسلة صحف سكريبس وهوارد ، ولم تكن مقيدة بأية اتفاقية تحد من انطلاقها الدولى . ولا شك أن هذه المنافسة كانت تشكل خطرا شديدا على الاسوشيتد برس ، خاصة وأن شخصية روى هوارد مدير وكالة اليونيتد برس اسوسيشن كانت تتصف بالطموح والتصميم على غزو الأسواق الاخبارية العالمية .

تحطيم الحواجز الاحتكارية :

وهكذا كانت اتفاقية التحالف الرباعية كريهة فى أمريكا . ولذلك فان جهود كنت كوبر مدير الاسوشيتد برس للتخلص منها لقيت كل تأييد وتشجيع . وقد وجه كوبر نقدا عنيفا ضد

Cooper. K., Barriers Down, (New York) 1942. (١)

التحالف التقليدى على أساس أنه يعكس النظام الأوربى السياسى القديم . وكان يرى أن الوكالات الأوربية تعكس صورة أمريكا فى مجموعة من الأخبار حول العصابات والقتل والشنق والعنف والسياسة الملتوية وقتل الهنود الحمر .

وكان كوبر يعلنها صريحة أن الوكالات الأوروبية ما هى الا أدوات فى أيدى الحكومات ، وأنها لم تكن تتعامل فى الأخبار الا اسما ، ولكنها كانت تقوم بالدعاية فعلا . وقد خلد كوبر كفاحه لاسقاط الحواجز والاحتكارات فى كتاب مشهور عنوانه « لتسقط الحواجز » وهى قصة الصراع ضد الاحتكار من أجل حرية التدفق الدولى للأخبار وحرية الاعلام .

ويروى كنت فى كتابه أن الفرنسيين كانوا يرفضون نشر البلاغات الحربية الألمانية بحجة أنهم فرنسيون وأن وكالة هافاس فرنسية . ومعنى ذلك أن مصادر الأخبار متحيزة . فلا بد أن تقوم الأسوشيتد برس بتوزيع هذه الأخبار المتحيزة على عملائها ، وفقا لاتفاقية التحالف الرباعى . ومعنى ذلك أيضا أن الوكالات الأوروبية لم تكن تذيع أخبارا ، بقدر ما كانت تذيع دعاية لحكوماتها . وقد رأينا أن هافاس وولف كانتا تتلقيان معونة من حكومتيهما كما أن مدير رويترز كان يعمل مديرا للدعاية فى وزارة الاستعلامات البريطانية .

وفى رأينا أن اتجاه الوكالة الأمريكية لم يكن نابعا من الغيرة على حرية الاعلام ، وتدفق الأخبار دوليا ، بقدر ما كان نابعا من رغبة عارمة فى التوسع والتسلط ، تعبيرا عن الأوضاع السياسية والاقتصادية الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية . ويبدو أن

رودريك جونس ــ مدير رويترز ــ كان يدرك هذه الأوضاع ، وانتهى الأمر باعطاء الأسوشيتدبرس امتياز التوزيع فى الشرق الأقصى ، كما رضخت هافاس وأعطتها امتياز التوزيع فى أمريكا اللاتينية . واستمر كوبر فى معركته من أجل اسقاط حواجز الاحتكار .

وكانت اليابان أرض المعركة النهائية الفاصلة . فمن المعروف أن الولايات المتحدة كانت تنظر اليها على أنها السوق الطبيعية لتجارتها ، وكانت بريطانيا تنظر اليها نفس النظرة . ومع أن وكالة كوكوساى اليابانية المحلية قد تأسست سنة ١٩١٣ ، الا أنها كانت وكالة خاضعة لنفوذ رويترز ، بل أنها أنشئت بتشجيع من الوكالة البريطانية .

وفى سنة ١٩٢٦ تأسست وكالة جديدة فى اليابان باسم رنجو ، واسمها الكامل وكالة الأسوشيتدبرس اليابانية ، وكان ذلك بايعاز من أمريكا بطبيعة الحال ، وأصبحت الأسوشيتدبرس الأمريكية مصدرا لأخبار هذه الوكالة اليابانية الجديدة التى أنشئت على أسس تعاونية مشابهة للوكالة الأمريكية .

وفى ١٢ فبراير سنة ١٩٣٤ ، سافر جونس الى أمريكا حيث وقع اتفاقية مع الأسوشيتدبرس ، وهى تقضى باطلاق يد كل وكالة فى العالم دون قيود أو احتكارات ، وهكذا تحققت آمال كنت كوبر ، وتحطم التحالف الرباعى التقليدى فى نهاية الأمر . ودخلت الأسوشيتدبرس المجال الدولى الاعلامى ، على نفس المستوى الذى كانت تتأهب له الولايات المتحدة الأمريكية سياسيا واقتصاديا .

الأسوشيتدبرس واتجاهاتها الجديدة :

وبينما كانت الأسوشيتدبرس تحارب الاحتكار العالمي للأخبار ، أخذت تدعم موقفها الاحتكاري الداخلي وتدافع عنه الى النهاية · حقيقة أنها وسعت من نطاق عضوية مجلس ادارتها في الثلاثينات ، فزاد عدد أعضاء مجلس ادارتها من ١٥ الى ١٨ عضوا ، لكي تسمح بتمثيل الصحف الصغيرة في هذا المجلس ، غير أنها من ناحية أخرى ، كانت تتشدد في قبول الأعضاء الجدد ·

وقد هددتها الحكومة الأمريكية ، سنة ١٩٤٢ ، برفع دعوى ضدها ، اذا لم تسارع الى تعديل قانونها الذي يعوق تبادل الأخبار وحقوق العضوية · وبالفعل نفذت الحكومة تهديدها سنة ١٩٤٣ ، ورفعت الدعوى أمام محكمة نيويورك الفيدرالية على أساس أن قانون الوكالة يقيد من حرية العضوية بسبب حق الاعتراض العام ، كما أنه يمنع نقل الأخبار الى الصحف والوكالات الأخرى . وضربت لذلك مثلا بمنع الوكالة امداد الأعضاء السابقين بوكالة ورلد وايد فوتوز(١) ، بالصور الاخبارية بحجة أن هذه الوكالة الأخيرة منافسة لها ، ومع ذلك فقد توصلت الوكالة الى اتفاق شامل مع وكالة كانديان برس(٢) ·

ومرة أخرى قررت المحكمة أن من حق القراء الاطلاع على سائر الأخبار والمعلومات ، وأن حرمانهم من هذه الأخبار يترتب بالضرورة عليه حرمان الصحف من تلك الأخبار . ولذلك فانه من الضروري أن تكون الأخبار مشاعا للجميع ، وأن تباح حرية العضوية لجميع الصحف ، أما تقييد هذه الحرية على أساس المنافسة.

---

(١) World Wide Photos.

(٢) Canadian Press.

فانه يضر بالصالح العـام • وفى نهـاية الأمر رأت المحكمة أن تعرض الموضـوع برمته على المحكمة العليـا للولايات المتحـدة الأمريكية •

وبالفعل عرضت القضية على المحكمة العليا ، التى أصـدرت حكمها فى يونية سنة ١٩٤٥ بأغلبية خمسـة أعضاء ضـد ثلاثة وامتناع عضو واحد عن التصويت ، وكان رأى المحكمة العليا فى مجمله مؤيدا لرأى المحكمة الفيدرالية بولاية نيويورك • وأخذت الأسوشيتدبرس تنفـذ الحـكم فعلا بتخفيف الكثير من القيود على عضويتها ، وعلى حرية التعامل مع الوكالات الأخرى •

وفى سنة ١٩٤٧ ، حدث تطور آخر وهو قبول محطات الاذاعة فى عضـوية مجلس الوكالة بعـد أن كانت ترفض ذلك باصرار شديد ، ثم خففت الأمر وجعلت للاذاعات نشرة خاصة ، وأخيرا سمحت لها بالاشتراك فى النشرة كاملة • ولعل السبب فى ذلك أن الصحافة بوجه عـام قد مرت عليهـا فترة كانت تخشى منافسـة الاذاعة •

والمعروف أن عدد المشتركين فى وكالة الاسوشيتد برس قد بلغ حوالى ٦٩٠٠ مشترك من صحف ومحطات للاذاعة والتليفزيون ، كما بلغ دخل هذه الوكالة حوالى٣٥مليونا من الدولارات . ويلاحظ أن ٤٥٪ من الصحف الأمريكية تشترك فى وكالة الأسوشيتدبرس وحـدها ، وأن ٢٥٪ منهـا تشـترك فى هذه الوكالة وفى وكالة اليونايتدبرس أيضا •[1]

---

(١) Emery E., An Introduction to Mass Communication. (1960). New York. P. 294.

وتعتبر وكالة الأسوشيتدبرس جمعية تعاونية لا يملكها أحد ، وانما هى تعمل لخدمة الجميع ولا يملك الأعضاء أسهما فيها أما دخل الوكالة فيتكون من الاشتراكات التى يؤديها الأعضاء نظير الخدمات . وتفاخر الأسوشيتدبرس بأنها حرة من كل تدخل حكومى أو اقتصادى ، وأنها ترفض استخدام نشراتها من أجل الدعاية ، حتى بالنسبة لصوت أمريكا . كما تزعم الوكالة أنها لا تتقاضى اعانات من أية جهة ، وأنها تستطيع موازنة دخلها ومصروفاتها .

وقد سبقت الاشارة الى أن مجلس الوكالة يتكون من ١٨ عضوا ، وكان مكونا من ١٥ عضوا فقط ، الا أنه رؤى اضافة ثلاثة يمثلون الصحف الصغيرة التى لا يزيد توزيعها عن خمسين ألف نسخة . ويدير الوكالة مدير ينتخبه الأعضاء لمدة ثلاث سنوات ، قابلة للتجديد فترتين أخريين فقط ، أى أنه لا تزيد مدة عمل المدير عن تسع سنوات . ويعمل تحت اشراف المدير هيئة مكونة من رئيس التحرير والمديرين المساعدين المشرفين على بقية الأقسام .

ويقوم العمل فى الوكالة على أساس تجميع الأخبار من الأعضاء ، بالاضافة الى قيام الصحفيين العاملين فى الوكالة بجمع الأخبار بأنفسهم . وللأسوشيتد برس مئات المكاتب داخل أمريكا وخارجها . ولكن أهم المكاتب الداخلية توجد فى نيويورك ووشنطن ، فضلا عن مكتب الأمم المتحدة . وهناك مكتب هام فى سأن فرانسيسكو يتصل بخط تيكر مباشر الى المكسيك وكوبا ، غير أن الخط الأخير قد توقف بعد حكم كاسترو ، واقتصر الاتصال على اللاسلكى فقط .

والواقع أن مدينة سان فرانسيسكو تعد مفتاح الاتصال عبر المحيط الهادى الى الشرق الأقصى . فليس غريبا أن يكون معدل عدد الكلمات التى يتلقاها مكتب لوس انجيلوس حوالى مليون كلمة . ومن الطبيعى أن يعمل فى وشنطن ـ العاصمة ـ مئات الصحفيين والفنيين لتغطية أخبار الحكومة ، كما توجد بمجلس الشيوخ والنواب مكاتب لنقل الأخبار مباشرة الى المركز الرئيسى للوكالة .

وتعتمد الأسوشيتد برس على مكتب لندن اعتماد كبيرا ، بل ان نصف النشرات المذاعة الى أوروبا والشرق الأوسط تتم عن طريق هذا المكتب ، هذا فضلا عن الأخبار الاقتصادية الهامة التى تمثل نسبة كبيرة أيضا . وأهم مكاتب الوكالة الخارجية فى طوكيو وتل أبيب ورانجون واستراليا ونيوزلندا وسنغافورة وجاكارتا .

ولا تقتصر خدمات الوكالة على النشرات التلغرافية واللاسلكية ، وانما تقـدم الوكالة خدمات أخرى عن طريق البريد . وهنـاك اتفاقات تبادل كثيرة بين الأسوشيتد برس وغيرها من الوكالات العالمية مثل رويترز والأنباء الفرنسية والكنديان برس صاحبة حق توزيع أنباء الوكالة الأمريكية فى كندا .

ويلاحظ أن رويترز لا تستخدم الأنباء الدولية التى توزعها الوكالة الأمريكية ، كما أن هـذه الوكالة الأخيرة لا تسـتخدم الأنباء الدولية لوكالة رويترز ، وهذا ـ بطبيعة الحال ـ لأنهما وكالتان متنافسـتان على الصـعيد الدولى . ولمـا كانت الوكالة الأمريكية تعنى عناية فائقة بمنطقة الشرق الأقصى منـذ زمن طويل ـ كما سبق القول ـ فانها ترتبط باتفاقيات تبادل مع وكالة كيودو اليابانية ، ووكالة الأسوشيتد برس الباكستانية ، ووكالة الأوسترليان أسوشيتد برس .

الوكالة العالمية والوكالات المحلية :

وتوزع الأسوشيتد برس أنباءها الى الخارج فى ثلاثة اتجاهات رئيسية • أما الاتجاه الأول فيمتد الى الشرق عبر الأطلنطى فيربط نيويورك بلندن ، ويعتبر هذا الخط أهم خطوط الوكالة الأمريكية لانه يربط القارة الأوروبية والشرق الأوسط بأمريكا . وأما الاتجاه الثانى فهو الخط الواصل بين سان فرانسسكو فى الغرب عبر المحيط الهادى ومنه الى استراليا ونيوزلندا وسنغافورة وأندونيسيا واليابان • وقد كان للوكالة مكتب فى شنجهاى ولكنه توقف بعد سنة ١٩٥٠ ، ومن المأمول أن يبدأ اتصال جديد بين أمريكا والصين بعد زيارة نيكسون الأخيرة وبدء التقارب بين الدولتين الكبيرتين ، كما أننا نتوقع أن تصبح خدمات وكالة صينهوا ذات أثر هام على المستوى الدولى •

أما الاتجاه الثالث لأخبار الوكالة الأمريكية فيتجه جنوبا الى أمريكا اللاتينية ، وتعول الولايات المتحدة الأمريكية على هذا الخط وتهتم به اهتماما كبيرا ، وخاصة بعد ظهور الاتجاهات الاشتراكية فى كوبا وشيلى • مع ملاحظة أن الوكالة الامريكية تزود المشتركين بالأخبار والمقالات والصور • وقد تقدمت فنون التصوير ونقل الصور سلكيا ولاسلكيا الى حد كبير ، وأصبح نقل أى صورة الى أى بلد من بلاد العالم لا يستغرق أكثر من بضع دقائق ، وهناك خدمة مصورة يومية الى دول أمريكا اللاتينية •

وتستغل الوكالات العالمية وجود وكالات محلية فى الدول حديثة الاستقلال استغلالا كبيرا ، وذلك حتى توزع أخبارها على كافة الصحف ومحطات الاذاعة • وقد وجدت هذه الوكالات الكبرى

أن مكاتبها فى العواصم المختلفة تكلفها نفقات باهظة ، وخاصة اذا كانت تقوم بالترجمة قبل التوزيع . واكتشفت أن هذه المهمة يمكن أن توكل الى الوكالات المحلية الناشئة بحيث تقوم باستقبال الأخبار وتوزيعها وقد تقوم بترجمتها أيضا قبل التوزيع .

أما البلاد التى لا توجد فيها مكاتب للوكالة ، ولم تنشأ فيها وكالات محلية بعد ، فان الوكالة تقوم بارسال أخبارها الى المشتركين مباشرة بحيث يستقبلون الأخبار عن طريق أجهزة خاصة . وقد منح الاختراع الذى يمكن المشترك من التقاط الأخبار على شرائط مثقبة تصلح لاستخدامها فى آلات جمع الحروف مباشرة فرصة كبيرة للوكالات العالمية كى توزع أخبارها على المشتركين ذوى الدخل المحدود ، وبذلك يستطيعون نقل الأخبار بحذافيرها من الوكالة الى صفحات الجرائد والمجلات مباشرة . وهذا يمثل ذروة الاحتكار الصحفى العالمى وضغط الوكالات العالمية الغنية على الوكالات والصحف المحلية الفقيرة .

ويرى البعض أن على الصحف أن تستخدم مواد وكالات الأنباء استخداما حكيما ، حتى تقضى على التشابه والنمطية . غير أن الظروف الاقتصادية وارتفاع نفقات الصحف ، والجرى وراء السبق قد جعل معظم الصحف سواء داخل أمريكا أو خارجها يفقد شخصياتها المستقلة والمنفردة والمتميزة حتى أنه « اذا حصل شخص على صحيفة من مدينة بلومنجتن بولاية الينوى وصحيفة أخرى من مدينة سان جوز بولاية كاليفورنيا ، فانه يكون من الصعب علينا غالبا أن نميز بين كل منهما » (١) .

---

(١) Newsweek, Vol. LXVI, No. 22, November 29, 1965, p. 49.

وكالة يونيتدبرس أسوسيشن :

وتسيطر وكالة الأسوشيتد برس ووكالة اليونايتد برس انترناشونال تقريبا على ميدان الخدمة الاخبارية والصحفية بوجه عام فى الولايات المتحدة الامريكية . وقد نشأت الوكالة الأخيرة بعد اندماج وكالة اليونيتد برس أسوسيشن ووكالة انترناشونال نيوز سيرفيس فى سنة ١٩٥٨ . وقد كان ظهور هاتين الوكالتين نتيجة لموقف الأسوشيتد برس الاحتكارى تجاه عضويتها ، كما سبق القول . كما كان اندماجهما ضرورة أملتها الظروف الاقتصادية والنفقات الباهظة التى تتكلفها الوكالات الحديثة .

ففى سنة ١٨٩٧ ، أنشأت سلسلة سكريبس ـ ماكرى(١) وكالة أنباء خاصة بصحفها فى الولايات الغربية الوسطى وأسمتها وكالة سكريبس ماكرى برس أسوسيشن . كما أنشأت نفس السلسلة وكالة أخرى لخدمة صحفها فى الولايات المطلة على المحيط الهادى وأسمتها وكالة نيوز أسوسيشن(٢). ثم قامت نفس السلسلة بانشاء وكالة أنباء ثالثة وهى بابلشرز برس أسوسيشن(٣) لخدمة صحفها فى نيويورك . وأمام حدة المنافسة بين الوكالات ، أصبح من المحتم ادماج هذه الوكالات الثلاث التى تخدم صحف سكريبس ـ ماكرى فى شتى الولايات لتكون وكالة واحدة وهى يونايتد برس أسوسيشن(٤) ، وكان ذلك فى سنة ١٩٠٧ .

---

(١) Scripps McRae Press Association.

(٢) News Association.

(٣) Publishers Press Association.

(٤) United Press Association.

والشيء الجديد الذى ابتدعه ادوارد ويليس سكريبس عند انشاء وكالاته هو عدم الاعتراف بالاحتكار الصحفى ، أو اغلاق الباب أمام المشتركين ، كما كانت تفعل الأسوشيتدبرس فى شتى مراحل تطورها ، بل انها سارت على سياسة جديدة ، يمكن تسميتها بسياسة الباب المفتوح ، على أساس عدم الانفراد بأية أخبار ، مهما أدى ذلك الى تفوق الصحف المنافسة .

غير أن الطريق أمام هذه الوكالة الجديدة فى مواجهة الاحتكارات الكبرى لم يكن طريقا سهلا ، وخاصة بالنسبة لاستقاء الأخبار الخارجية ، حيث وقفت وكالة الأسو شيتدبرس والوكالات الأوربية المتضامنة معها ـ سواء بالاتفاقات أو بتبادل الأخبار ـ وقفة عنيدة متعنتة ، ولكن اليونايتدبرس لم تدخر وسعا فى مضاعفة جهودها لكسر حدة الاحتكار وتحطيم حواجزه . وظهر أن كثيرا من الصحف فى أوروبا وأمريكا اللاتينية والشرق الأقصى شجعت الوكالة رغبة منها فى الحصول على أخبار من مصادر متعددة .

واستطاعت اليونيتدبرس أن تعقد اتفاقية مع وكالة اكستشينج تلجراف(١) البريطانية لكى تقوم بتوزيع أخبارها على الصحف الانجليزية ، كما اتفقت مع الوكالة اليابانية ينبون دمبو تساشن شا على توزيع أخبارها فى الشرق الأقصى ، وقد كان انشاء الخط السلكى البحرى الى الوكالة اليابانية سنة ١٩٠٩ خطوة هامة لتعزيز الاتفاقية ، وجعلها واقعية عملية .

ولم تلبث أمريكا اللاتينية أن أصبحت مليئة بعملاء هذه الوكالة الجديدة ، وخاصة أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها ،

(١) Exchange Telegraph.

زمن أنصع الأدلة على نجاح هـذه الوكالة فى أمريكا الجنوبيـة اشتراك صحيفة لابرنسا ، وهى من كبريات صحف بيونس أيرس فى الوكالة سنة ١٩١٩ • وما وافت سنة ١٩٢١ حتى كانت هذه الوكالة ذات سمعة عالمية مدوية ، فهى توزع أخبارها فى أوروبا مباشرة ، ولها مشتركون فى العواصم الكبرى ، بل انها أخذت تغزو دول الامبراطورية البريطانية تدريجيا •

ولعل مفتاح نصر هذه الوكالة هو سياسة الانفتـاح وحرية الاعلام بدلا من الاحتكار والتقييد • مثـال ذلك أنها وقفت من الاذاعات موقفا مختلفا تماما عن موقف الأسوشيتدبرس • فهذه الوكالة الأخيرة كانت ترفض التعامل مع محطات الاذاعة، ولا تريد تزويدها بالأخبار • فانتهزت اليونايتدبرس هذه الفرصة ، سنة ١٩٣٥ ، وسارعت بفتح الباب أمام كافة الاذاعات ـ وما أكثرها فى أمريكا الرأسمالية الاعلانية ـ وقد ترتب على ذلك أن جنت الوكالة أرباحا طائلة •

وأمعنت اليونايتد برس فى تطوير خدماتها الاذاعية ، فأخذت تحرر النشرات الاخبارية بلغة اذاعية تصلح للقراءة مبـاشرة ، وبذلت عناية فائقة فى تخصـيص محررين ذوى دراية عميقـة بخصائص فن الاذاعة . فتفوقت فى ذلك على الاسوشيتد برس التى لم تجد بدا من السماح للاذاعات بالاشتراك فى نشراتها •

ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يزداد عدد عملاء هذه الوكالة فيربو على ١٧١٥ مشتركا . موزعين على أكثر من ٥٢ بلدا واقليما جغرافيا • غير أن نشوب الحرب العالمية الثانية قـد أصاب هـذه الوكالة بضربة قاصمة ، عندما استولى الالمان على عدد كبـير من

البلاد الأوربية التى كانت تضم صحفا واذاعات كثيرة مشتركة فى نشراتها . ففقدت الوكالة ١٩٤ مشتركا من عملائها فى أوروبا.

أسلوب عمل الوكالة :

واليونايتد برس ليستاتحادا تعاونيا مثل الأسوشيتد برس، ولكنها شركة تجارية ذات شخصية معنوية وقانونية ، وهى تبيع الأخبار والصور والمواد الاعلانية للصحف والاذاعات ، البالغ عددها ٢٣٤٤ صحيفة واذاعة . فى الولايات المتحدة الامريكية وخارجها • وهى تملك عدة شبكات تلغرافية داخلية وخارجية يبلغ طولها أكثر من ٣٠٠٠٠٠ كيلو متر • وتقوم وكالة يونيتد فيتشرز سنديكيت(١) ، التابعة للوكالة بتوزيع التحقيقات الصحفية والمقالات والقصص والرسوم والصور للمجلات ومحطات التليفزيون •

يضاف الى ذلك عدد من السفن المشتركة فى أخبار هذه الوكالة ، والتى تتلقى نشراتها وهى فى عرض البحر ، كما أنها توزع نشرة تجارية ومالية متخصصة ، تشبه نشرة الكومتيل التى توزعها رويترز • ولذلك فان للوكالة مديرا عاما للأخبار ، ومديرا عاما تجاريا ، ومديرا عاما للخارج ، ومديرا عاما للمبيعات ومديرا عاما للصور الاخبارية •

ومع أن المركز الرئيسى لليونيتد برس يقع فى مدينة نيويورك ، فان لها مكاتب رئيسية فى أربع مناطق جغرافية كبرى، لأن الوكالة تتبع الأسلوب اللامركزى فى الادارة • فللوكالة مكتب رئيسى لمنطقة المحيط الهادى يشرف عليه نائب رئيس ومقره

---

(١) United Features Syndicate.

سان فرانسسكو ، كما أن للوكالة مكتب آخر لمنطقة أمريكا اللاتينية ويشرف عليه نائب رئيس مقره بيونس أيرس ، ولها مكتب ثالث فى أوروبا يشرف عليه نائب رئيس لادارة مكتبى لندن وباريس ، أما المكتب الرابع فيختص بمنطقة آسيا ويشرف عليه نائب رئيس مقره طوكيو ·

وبالاضافة الى هذه المراكز الأساسية وهى المكاتب الرئيسية ، توجد عدة مكاتب أخرى موزعة على سائر عواصم العالم ومدنه الكبرى ، ويبلغ عددها أكثر من ثمانين مكتبا ، منها مكتب فى القاهرة · وذلك بالاضافة الى المكاتب الداخلية فى الولايات المتحدة الأمريكية · ويبلغ عددها نحو ٣١ مكتبا · ويعتبر مكتب لندن من أهم مكاتب الوكالة لأنه ملتقى خطوط أوروبا كلها ، وفيه تتجمع الأخبار ، لكى تنقل عن طريق الخط التلغرافى البحرى ، أو باللاسلكى الى الولايات المتحدة ·

وكما تطبق الوكالة الأسلوب اللامركزى فى الادارة ، نجد أنها تطبقه أيضا فى العمل الصحفى ذاته · فبعض الوكالات التقليدية لا زالت تصر على هيمنة المركز الرئيسى على اختيار الأخبار وتحريرها واستكمالها ، ولكن اليونيتد برس أخذت تسلك خطة جديدة لاعطاء المكاتب الرئيسية سلطات واسعة فى استكمال الأخبار وتحريرها ، لكى تخرج فى الصورة الملائمة لكل منطقة جغرافية على حدة · فقد ثبت أن الاهتمام بالطابع الاقليمى المحلى له قيمة كبيرة بالنسبة للصحف والاذاعات المشتركة فى نشرة الوكالة ·

بل ان هذه الوكالة قد ذهبت فى نظام اللامركزية الى أبعد من ذلك ، فسمحت لبعض المكاتب الاقليمية باستقاء الأخبار وتوزيعها

فى المنطقة مباشرة دون تدخل من الرئاسة المركزية فى نيويورك ، ولا شك أن ذلك يوفر جهدا كبيرا ويجعل المركز الرئيسى متفرغا للأخبار العالمية الهامة ٠

وتقدم اليونايتد برس خدمة اخبارية على أشرطة مثقبة تصلح للتركيب مباشرة فى آلات الجمع السطرى ، فتجمع الحروف مباشرة ، وهى نفس الطريقة التى تستخدمها الاسوشيتد برس - وقد رأينا أثر ذلك على نشابه الصحف ونمطيتها ، كما أنها توزع نشرات أخبارية جاهزة للقراءة خلال ميكروفونات محطات الاذاعة مباشرة .

وكالة انترناشيونال نيوز سرفيس :

أما الوكالة الاخرى التى اندمجت مع وكالة اليونايتد برس أسوسيشن فهى وكالة انترناشيونال نيوز سرفيس(١) التى أقامتها سلسلة هيرست أيضا سنة ١٩٠٩ لخدمة سلسلة صحفها أساسا ٠ وقد نشأت هذه الوكالة على مستوى محلى فى بادىء الأمر ، ولكن مالبث أن اتسع نشاطها حتى شمل معظم دول العالم - ومع أن هذه الوكالة . تعتبر من الناحية الادارية جزءا من مجموعة هيرست ، الا أنها كانت ذات شخصية مستقلة ٠

وهذه الوكالة ليست اتحادا تعاونيا كالاسوشيتد برس، وانما هى شركة خاصة تعمل فى تجارة الاخبار والمعلومات والصور ، ولذلك فان القسم الفوتوغرافى التابع لهذه الوكالة يسمى انترناشونال نيوز فوتوز ٠ والواقع أن هذه الوكالة قد اشتهرت بخدماتها التليفزيونية للعديد من محطات التليفزيون ٠

---

(١) International News Service.

ويبلغ عدد العاملين فى هذه الوكالة نحو ٥٠٠٠ شخص ، فى حين أن اليونيتد برس يعمل بها نحو ٦٠٠٠ شخص • ويشمل نشاط العاملين ارسال الأخبار واستقبالها ، كما أن المراسلين يقومون بتغطية الأخبار فى أكثر من أربعين بلدا واقليماجغرافيا .

ويلاحظ أن أسس العمل الادارى والصحفى فى هذه الوكالة يشبه الى حد كبير تلك الأسس التى عملت بها وكالة يونايتد برس أسوسيشن • مثال ذلك ، أسلوب اللامركزية وتوزيع العمل على المناطق الاستراتيجية اعلاميا • فهناك المنطقة الأوربية ومركزها باريس ، ومنطقة أمريكا اللاتينية ومركزها بيونس ايرس ، ومنطقة الشرق الأقصى ومركزها طوكيو ، فضلا عن المكاتب الاخرى الموزعة على عواصم العالم • ولا شك أن هذا التماثل فى التنظيم هو الذى ساعد على جعل ادماج الوكالتين أمرا ميسورا •

والى جانب الأخبار التلغرافية ، توزع الوكالة موضوعات صحفية بالبريد ، كما أنها تقدم خدمات للصحف غير الانجليزية فى الولايات المتحدة الامريكية • كما تتفوق هذه الوكالة فى مركزها الخاص بالبحوث والدراسات والوثائق ، سواء للخدمات السياسية أو للخدمات الاقتصادية والتجارية • والواقع أنالوكالات الحديثة قد أخذت تعنى عناية فائقة بجوانب البحوث والمعلومات ، حتى أنها خصصت لها آلات حاسبة وعقولا الكترونية ، كما فعلت وكالة الأنباء الفرنسية فى مبناها الجديد •

وقد سبق القول أن الوكالتين كانتا تعملان منفصلتين حتى سنة ١٩٥٨ ، عندما اندمجتا فى وكالة واحدة تحت اسم يونيتد برس انترناشونال • وقد بلغ عدد المشتركين فى هذه الوكالة الجديدة فى الستينات نحو ٦٠٠٠ مشترك من صحف ومحطات اذاعة

ومحطات تليفزيون . وينتشر هؤلاء العملاء فى نحو ثمانين دولة ، كما أن الوكالة تمتلك ما يزيد على ٤٠٠٠٠٠ ميـل من خطوط التليفون داخل الولايات المتحدة الامريكية وحدها لنقل الأخبار والصور . كما بلغ دخل هذه الوكالة أكثر من ٣٢٫٥ مليون دولار . ويشترك فى هذه الوكالة نحو ٣٠٪ من الصحف اليومية اشتراكا منفردا ، فى حين أن ٥٥٪ من هذه الصحف تجمع بين الاشتراك فى هذه الوكالة وفى وكالة الأسوشيتد برس(١) .

الوكالات كاحتكارات اعلامية :

ومما تقدم يتضح لنا أثر العوامل الاقتصادية على الاحتكارات الصحفية والاعلامية . فهناك زيادة النفقات الباهظة التى ارتفعت بشكل واضح وبسرعة تزيد كثيرا عن سرعة سير الدخل . وهناك المنافسة الحادة بين الوكالات والصـحف والاذاعات . وقـد جاء استقلال الصحف عن الأحزاب ، وحرمانها من التـأييد المـادى والمعنوى لتـلك المنظمات السياسـية فى وقت اتسم بالذبذبات الاقتصادية وتسلط الطبقة الرأسمالية .

ولا شك أن الهزات الاقتصادية قد أثرت على الصحافة ، نظرا لارتباطها الوثيق بدخلها من الاعلانات والتوزيع ، واتصال حياتها بثبات مستوى معيشة قرائها ودخولهـم . وقـد أثرت الأزمـة الاقتصادية العالمية على سوق الصحف والوكالات ، كما أثرت على سائر الأسواق .

---

(١) Emery, E., Introduction to Mass Communication (1960) New York, p. 294.

وقد أثرت الحربان العالميتان الأولى والثانية على أسعار الورق التى ارتفعت ارتفاعا حادا ، كما ازدادت أجـور العاملين زيادة كبرى ، فضلا عن ارتفاع أسعار الحبر وآلات الجمع والطبع . وفى هذه الظروف العصيبة سقطت صحف كثيرة ، واضطر العديد منها الى الاندماج مع صحف أخرى .

وأدى هذا التركيز فى الملكية الى وجود وحدات صحفية كبرى ضخمة باهظة التكاليف ، وتضخمت الصحيفة اليومية لكى تصبح تدريجيا مؤسسة صناعية وتجارية هدفها الربح . ولذلك أصبح التوجيه الادارى الـكفء والقيادة القديرة للتحرير هى مفتـاح النجاة لعدد كبير من المؤسسات الصحفية .

فلم يكن غريبا أن تتحول الصحافة الى عمل تجارى يقوم به مغامرون فى عالم الاقتصاد . فهذا ادوارد ويليس سكريبس ـ مؤسس الوكالات والصحف الامريكية يقول : « لا أستطيع أن أدعى أننى دخلت الصحافة لأننى كنت صاحب دعوة لخدمة الانسانية ، فلم تخطر لى مثل هذه الفكرة فى أيامى الأولى كصحفى ، أو أن على واجبا نحو الناس . ولا أستطيع الآن تذكر متى واتتنى لأول مرة فـكرة العمل من أجـل الآخرين أكثر مما أعمـل من أجـل نفسى » (١) .

ويقول فى أسباب انشائه لوكالة الأنباء : « كنت أعلم أن ٩٠٪ على الأقل من زملائى فى الصحف الامريكية رأسماليون محافظون، وكنت أعلم فى نفس الوقت على الأقل بأنه اذا لم أدخل الميدان

---

(١) Mc Cabe, C. R., Damned Old Grank. (1951) New York. p. 142.

بوكالة جديدة ، فلن يكون من الممكن لشعب الولايات المتحدة أن يحصل على أخبار صحيحة من وكالة الأسوشيتد برس » (١) ٠

وخلال الحرب العالمية الأولى توصل مانسى ـ وهو من أصحاب سلاسل محلات البقالة والفنادق والبنوك أى أنه يشبه لورد طومسون فى بريطانيا الآن ـ الى فلسفة للملكية الصحفية حين بدأ فى انشاء سلسلته الصحفية : « ان الوحدات الصغيرة لن تبقى متنافسة لمدة طويلة سواء فى الصناعة أو النقل أو التجارة أو البنوك ٠ ولذلك يجب أن يتم ابتلاع المنافس الصغير وينظف الميدان منه ٠ ومفتاح ذلك هو التركيز » ٠

وانتهت عمليات التركيز إلى أن أصبحت الصحف تعتمد على مصدرين اثنين هما وكالة الأسوشيتد برس ووكالة اليونيتد برس انترناشونال ، كما اعتمدت على سيل من المواد الجاهزة سواء كانت أخبارا أو صورا أو مواد ثقافية أو ترفيهية ٠ وأصبح من المشكوك فيه أن تستطيع الصحف أو الاذاعات الاستمرار فى وجودها بدون وكالات ٠

غير أن الاعتماد على وكالتين اثنتين لابد وأن يقلل من فرص الاختيار وتحقيق الشخصية الصحفية المستقلة ٠ والملاحظ أن الوكالات المتخصصة تعتمد على دراسات السوق المتفوقة فى أمريكا ، وهى دراسة لنفسية القارىء والمستمع والمشاهد ٠ وما تكاد أى صحيفة أو اذاعة أو محطة تليفزيون تكتشف شيئا جديدا ناجحا حتى تسارع معظم المؤسسات الصحفية والاذاعية والتليفزيونية الى تقليدها ، حرصا على التفوق فى سوق المنافسة ٠

---

(١) Op. Cit. p. 153.

وقد أدى ذلك بطبيعة الحال الى نوع من التشابه أو التماثل والنمطية ، ولا شك أن وجود وكالات الأنباء وقلة عددها وتركزها فى وكالتين فقط قد أسهم فى تعميق هذا التأثير . ولكن الصحف والمجلات تحاول جاهدة أن تتخلص من الطابع النمطى ، وأن تضفى على نفسها طابعا شخصيا متميزا ، وهو أمر جد عسير ، فى ظروف التقدم التكنولوجى الذى فرض عليها نفقات باهظة ، وجعل من الصعب عليها تخصيص مبالغ اضافية للمحافظة على شخصياتها المتميزة المستقلة .

ولعل أشهر هذه المحاولات تلك التى قامت بها بعض مجموعات الصحف لانشاء خدمات اخبارية اضافية خاصة بها . من ذلك مثلا خدمة صحيفة نيويورك تيمس(١) التى بدأت سنة ١٩١٧ بأربعة مشتركين ، ولها الآن ٩٩ مشتركا داخل الولايات المتحدة و ٥٥ مشتركا خارجها من بينها جريدة الاهرام المصرية . وهناك أيضا خدمة صحيفتى لوس انجليس تيمس ووشنطن بوست(٢) ، وقد أنشئت سنة ١٩٦٢ ، ولها الآن سبعون مشتركا داخل الولايات وكندا ، وستون مشتركا فى الخارج . وقبل ذلك كانت قد أسست خدمة اخبارية لصحيفة شيكاجو ديلى نيوز(٣) سنة ١٨٩٨ ، وهى من أقدم الخدمات ، ولها ٧٨ مشتركا .

أما خدمة صحيفة نيويورك هيرالد تربيون(٤) فقد بدأت سنة ١٩٣١ ، وهى خدمة داخلية فقط ولها ستون مشتركا ، وهى تماثل

---

(١) The New York Times News.

(٢) The Los Angeles Times and Washington Post News

(٣) The Chicago Daily News Service.

(٤) The New York Herald Tribune News Service.

خدمة صحيفة شيكاجو تريبيون(١) الداخلية ذات الثمانية والثلاثين مشتركا . وقد انشئت سنة ١٩٢٨ · فى حين أن اتحاد صحف شمال أمريكا(٢) الذى ظهر سنة ١٩٢٢ لا يتبـــع أية صحيفة ، ولكنـــه يقتصر هو الآخر على الخدمات الداخلية وحدها ·

الصحافة الجديدة ووكالة دالزيل :

وقد أحدثت الصـــحافة الامريكية ثورة فى الصحافة العالمية ، لا زلنا نعانى من آثارها حتى يومنا هذا · ولا نعنى بذلك مجرد الثورة التكنولوجية ـ على أهميتها ـ كاستخدام وسائل الطباعة الحديثة ، وادخال الآلة الكاتبة ، ووسائل الاتصال الالكترونية ، وتطوير أجهزة التيكرز أو المبرقات السلكية واللاسلكية ، وفنون توزيع النشرات على الصحف والاذاعات ، وانمـــا تعنى ما يسمى عادة بالصحافة الجديدة، التى تستمد أصولها من التقاليد الامريكية.

وقـــد ظهرت بوادر هذه الصحافة الجـــديدة فى تلك المجلات الاسبوعية التى أخذت تصدر فى الربع الأخير من القرن الماضى ، ولعل أشهرها صحيفة تيت بتس التى أصدرها جورج نيونس سنة ١٨٨١ ، محتوية على فقرات قصيرة متناثرة غير مترابطة · والمهم أن الفلسفة التى تكمن وراءها هى اهمال القـــارىء المثقف عن عمد ، ومخاطبة الملايين · انها الصـــحافة الجماهيرية التى تتطلب قراءة سهلة . وكتابة جذابة ، وأهم شىء أن يغلب عنصر الترفية كقيمة أساسية فى هذه الصحافة الامريكية الجديدة ·

---

(١) The Chicago Tribune Press Service.

(٢) The North American Newspapers Alliance.

وفى الحـال ، سميت هـذه الصحافة الجـديدة ، بالصـحافة الانسانية ، وأخذ الصحفيون يتهافتون على تطبيق مبادىء هـذه الصحافة · ولعل أشهر هؤلاء جميعا الفرد هارمز ورث ـ لـورد نورثكليف فيما بعد ـ الذى أصدر صحيفة آنسرز سنة ١٨٨٨ وهو فى الثانية والعشرين من عمره · وعرفت الصحافة الجديدة بأنها أشبه ما تكون بالمزايكو ، أى أنها تتكون من قطع صغيرة ، وفقرات متنوعة . وموضوعات متناثرة ، ومقتطفات لا رابط بينها ، سوى عنصر الترفية والامتاع والبساطة والجاذبية .·

وما لبثت الطريقة الامريكية الجديدة أن غزت الشكل بعـد المضمون · فهذا الصحفى م· أوكنور يغامر باصدار صحيفة ستار المسائية وهى مليئة بالعناوين الكبيرة ، امعانا فى فلسفة التأثير الجماهيرى ، ولا شك أن صاحب هذه الصحيفة قد تعلم فنـه من جوردون بنيت ، الصحفى الامريكى ، الذى كان يصدر نيويورك هيرالد فى أمريكا ·

ومن الطريف أن تشهد بريطانيا المحافظة فى عهدها الفكتورى المتزن مولد وكالة أنباء أمريكية اسمها « دالزيل » (١) تخصصت فى هذا النوع الجماهيرى من الأخبار دون غيره · ولقـد حاول الصحفى الانجليزى جيمس ماكلين الذى كان يغطى أخبار الحرب الأهلية الامريكية بنجاح أن يجرب هذا النوع الجديد من الصحافة المثيرة . فوصف كارثة جزيرة نورتولا التى دمرها مد البـحر ، وأهلك بضع مئات من أهلها ، ولكن المزاج الانجليزى لم يكن ليضيق بعده ذلك النوع من الأخبار المثيرة ، ففصل الصحفى المسكين من عمله ·

---

(١) Dalziel

ومع ذلك فقد جاءت وكالة أنباء « دالزيل » لتغير هذا الطابع المحافظ . والغريب أن صحيفة التيمس ـ وهى أشد الصحف البريطانية محافظة ـ قد سارعت الى الاشتراك فى هذه الوكالة الجديدة ذات الطابع الامريكى المثير • ولعلها قد أرادت بذلك أن تطعن منافسيها فى الصميم . وأن تذهب فى لعبة الاثارة الجديدة الى آخر الشوط •

ودفعت التيمس فى شهرين اثنين ٧٠٠ جنيه استرلينى نظير تلغرافات عن قتلى فى كندا ، وجرائم فى أمريكا ، وأعاصير فى كل مكان ، وحيوانات متوحشة تنطلق بين القرى والمدن فى الولايات المتحدة • وبالاضافة الى ذلك أخبار عن الطب الحديث ، واكتشاف الدكتور كوخ لعلاج مرض السل وغيره من أنواع الدرن ، وذلك بطريقة مثيرة تذكرنا بما حدث فى الصحافة المصرية حول الدواء هـ ٣ •

وكانت الصحافة الجديدة هى تلك الصحافة الثورية ، وطالب كبار الصحفيون بضرورة التخلى عن الصحافة التقليدية بمقالاتها الطويلة وأحاديثها الجادة وعباراتها الأدبية ، ولا بد من انتهاج سبيل البساطة فى الأسلوب ، والرشاقة فى العرض ، والسرعة فى الأداء ، أما طول النفس فانه ينتمى الى عصر مضى ولن يعود •

ولا شك أن الوكالات الامريكية قد عمقت من هذا المفهوم الجديد للصحافة • ولكن الاضافة الاخرى هى أن وظيفة وكالات الأنباء لا ينبغى أن تقتصر على مجرد سرد الخبر كمعلومات صماء ، وانما عليها واجب آخر هو تفسير الخبر وتبسيطه ، ما دامت تلك الصحافة تخاطب الملايين • وبالفعل نشأت فى كثير من الوكالات

أقسام متخصصة فى التفسير والتعليق • وكانت تؤدى خدماتها على خير وجه فى هذا المجال الجديد •

وزحفت على نشرات الوكالات الجادة فى أوروبا أخبار جديدة ما كان يمكن أن تظهر من قبل • ومن الأمثلة على ذلك أخبار الزلازل والبراكين والفيضانات والجرائم والقتل والاضطرابات والمظاهرات وحوادث الموت المفاجىء لكبار الشخصيات ، ومحاولات الاعتداء عليهم ، أو اكتشاف المؤامرات التى تحاك ضدهم فى الوقت المناسب •

وهكذا كان المضمون الامريكى الجديد الذى تناقلته ـ ولا زالت تتناقله الصحف ـ من وكالات الأنباء المتأثرة بالطريقة الامريكية • والغريب أن المنافسة قد أدت الى المزيد من التهويل والمبالغة •

وثمة أثر آخر وهو انشاء الخدمات الخاصة التى تقوم بها الوكالات للصحف ، فمن الممكن لأية صحيفة أن تطلب من الوكالة تغطية خاصة لأخبار معينة تهم الصحيفة دون غيرها • ولذلك فان الوكالات الحديثة أصبحت تقدم فهرسا أو بيانا بالمحتويات المرتقبة من الأحداث فى بداية اليوم ، وكأنها بذلك تنبه محررى الصحف الى خطتها فى العمل ، وهم بذلك يستطيعون أن يختاروا نبذة معينة أو خبرا من الأخبار ليطلبوا خدمة خاصة تقوم بها الوكالة نظير مبلغ اضافى من المال • واذا كانت هذه الطريقة الامريكية قد بدأت فى أواخر القرن الماضى ، فانها أصبحت عادية فى عصرنا الحالى •

الباب السادس

تاس ونوفو ستى

ثم ننتقل من عالم الاحتكارات والرأسمالية والصراعات التجارية الى عالم آخر تصبح فيه الصحافة مرفقا عاما كأى مرفق من مرافق الدولة ، تحصل منه الخزانة العامة للدولة ايراداتها ، كما تتحمل فى الوقت نفسه خسائر الصحف • فالتأميم بقضائه على الملكية الرأسمالية يقضى كذلك على نفوذ الرأسماليين وسلطاتهم ، لأن هذه السلطات تنتقل الى أجهزة تمثل المجتمع ، يدعمها جماعة من الفنيين المتخصصين ، ويمثل فيها طائفة من العمال والمستهلكين يتمتعون بدرجة معينة من الاشراف على الفنيين • ولهذا التغيير الهيكلى أثره فى دفع المؤسسة فى اتجاه غير البحث عن الربح ، ولا شيء الا الربح •

ويلاحظ أن هذا التأميم معناه توفير حاجات الصحف من الآلات والورق والحبر ووسائل التوزيع ولا يعنى تأميم الفكر الانسانى • فالدستور السوفييتى ينص على وضع آلات الطباعة والورق والمواصلات والطرق والمبانى ، وسائر أنواع التسهيلات المختلفة والاحتياجات اللازمة تحت تصرف الطبقة العاملة الكادحة والمنظمات التابعة لها • وترك لها ممارسة جميع الحقوق التى نص عليها الدستور •

وهذه الحقوق التى نص عليها دستور الاتحاد السوفييتى تكمن فى المادة ١٢٥ من الدستور السوفييتى الصادر فى الخامس من ديسمبر سنة ١٩٣٦ ، والتى تنص على ما يلى : « مسايرة لمصالح الطبقة العاملة ، ولأجل تدعيم النظام الاشتراكى ، يضمن القانون للمواطنين فى اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية حرية التعبير وحرية الصحافة ٠

ولتدعيم هذه الحقوق المدنية ، يوضع تحت تصرف الطبقة العاملة ومنظماتها آلات الطباعة وامدادات الورق وتسهيلات الاتصال ، وغير ذلك من الاحتياجات المادية اللازمة لممارسة هذه الحقوق » ٠

والحزب الشيوعى هو الذى يوجه النضال ويرسم خطط العمل السياسى ويقوم بارشاد الجماهير وتوجيه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى الاتحاد السوفييتى . ويلخص سوسلوف طريق تحقيق الانتصار الكامل للشيوعية فيربطه أولا وأخيرا بالحزب الذى يحمل على عاتقه مهمة رفع راية الماركسية اللينينية فيقول : « وطالما أن الشعب السوفييتى يسير على هدى النظرية الماركسية اللينينية ، وتحت راية أكتوبر الكبرى بقيادة الحزب ، فانه سوف يحقق الانتصار الكامل للشيوعية » ٠

ومن أجل هذا كله فان هناك نوعا من التعاون يربط بين الدولة أو الحزب ووسائل الاعلام المختلفة ٠ « فالاعلام هو وسيلة الدولة لبيان سياستها والكشف عن نواياها نحو الشعب الذى تحكمه أو تخدمه » ٠

فليس غريبا ـ اذن ـ أن تكون مهمة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى هى ادارة جميع أوجه نشاط الحزب ومن بينهـا تعيين رؤساء تحرير الصحف أو اعتماد اختيارهم وتوزيعهم • والحزب أيضا هو الذى يحدد كيفية معالجة الأنباء فى الصحافة السوفييتية ، على النحو الذى يرسمه ويخططه لها • فالصحافة ـ على حد قول ستالين ـ ليست فقط داعية جماعية أو أداة اثارة وتهييج جماعية، بل أداة تنظيم جماعية ، وذلك فى خدمة الشيوعية » •

فالصحافة السوفييتية تقوم بوظيفة دعائية ، وتشن حملات لتعبئة الجماهير للتنمية الاقتصادية ، وتتابع أخبار الحزب ونشاطه وتنظيماته ، وتنشر المراسيم والقرارات والبيانات الصادرة من مجلس السوفييت الأعلى ، واللجنة المركزية ، والوزارات والهيئات الرسمية ، كما تشجع النقد الداخلى لكشف العيوب فى التطبيق ، وتستوحى ذلك من خطابات القراء •

فالصحيفة فى النظام الســوفييتى لا بد أن تكون جهازا من أجهزة الجهاد والكفاح الذى يمد الشعب بأخبار منظمة صادقة عن الاقتصاد والسياسة ، ويحلل تلك الأخبار ويدرسها دراسة عقلية ، لكى تصـل آخر الأمر الى نتـائج صحيحة فيمـا يختص بالحركة العمالية ، وعليهـا كذلك أن تحث عمال الجبهة الاقتصـادية على العمل ، وأن تجتهد فى نشر تقارير دقيقة عن كل ذلك • وعليها أن تقدر العمل الجيد فتمدحه وتفضح أمام الرأى العـام جميع العمال غير الصالحين أو المهملين •

وعليها أيضا أن تربى الأمة تربية سليمة ، وتســوق اليها أمثلة ملموسة ، وتقـدم لها النماذج المشتقة من مجالات الحيـاة

العامة ، كما يجب عليها أن تشرح فى ضوء الاشتراكية العلمية جميع الأحداث التى يمكن أن تقع فى حياة العمال • وعليها كذلك أن تسهر على رعاية المبادىء الاشتراكية فى مجالات العلوم والفنون والآداب • ومن واجبها أن تكافح ــ فى غير هوادة ــ ضد الروح البورجوازية ، وأن تجاهد من أجل تنمية الشعور بالواجب الاجتماعى فى القطاعات الشعبية ، وأن تدعو بالحاح الى زيادة القوة الانتاجية والقوة الدفاعية للوطن •

أجيت ــ روستا :

فالصحافة السوفييتية تختلف كل الاختلاف عن الصحافة الغربية ، لأن مهمتها الرئيسية هى المهمة الدعائية ، ولذلك فان السبق الصحفى لا يعرف كقيمة اخبارية ، لأن صحافة الدولة تسعى للتأثير على العمال والفلاحين وتوجيههم وتلقينهم المبادىء الشيوعية • ومع ذلك ، فالاتحاد السوفييتى يصدر حوالى سبعة آلاف صحيفة يومية يصل توزيعها الى مائة مليون نسخة •

واذا كانت الصحف السوفييتية تتباين ما بين اقليمية ومركزية ومحلية وصحف شباب وصحف نسائية وعسكرية وغيرها ، فانها تصدر على وتيرة واحدة . لأنها تقوم بمهمة واحدة ، وقد رأت الثورة الشيوعية أن تقضى على جميع الصحف البورجوازية ، وأن تفسح الطريق أمام الصحف الاشتراكية وحدها • « فلما كان المفكرون المعادون للسوفييت يتخذون من الفكر أداة للدعاية البورجوازية السافرة ، ولما كانوا يتخذون من دور النشر أداة للتهييج ضد الحكومة ــ حكومة العمال والفلاحين ــ ولما كانت العناصر المعادية للسوفييت من رجال الفكر تحاول أن تسيطر على الموقف » •

« ولما كان هذا كله يحدث علنا ، فيجب علينا ألا نتخلى عن استخدام وسـائل القمع ضـد أولئك المفكرين الذين يشتغلون بالسياسة ويؤيدون الأغراض المناهضة للثورة(١) » .

وهكذا كان من الطبيعي أن تتوقف وكالة الأنبـاء الروسية التي كانت تعمل قبل الثورة البلشفية باسم « بطرسبورجر تلجرافن آجنتور » أي وكالة بطرسبرج التلغرافية للأنباء . فقد كانت هذه الوكالة تعمل في ظل القيصرية . وقد شـهدت مدينة بطرسبرج ـ في يناير سنة ١٩٠٥ ـ حادث اطلاق النيران على العمال الذين توجهوا الى القيصر في مظـاهرة سـلمية ، وكان شـعار الثورة « الموت أو الحرية » .

ولم تغفر الثورة الشيوعية لهذه الوكالة نشر الأنباء السياسية بطريقة تخدم مصـالح نظام الحـكم القيصري . فما كادت تنجح الثورة في أكتوبر سنة ١٩١٧ حتى أنشأت وكالة جديدة أسمتها وكالة روستا لتطبيق الفلسفة الدعائية في نشر الأخبار ، وذلك بتوزيع البلاغات الرسـمية والتوجيهات الحزبية للصحف ، حتى يمكن السـيطرة على تلك المنـاطق التي أخـذ البلشـفيون في الاستيلاء عليها .

ويسير الاعلام السوفييتي منذ بداية الثورة على أساس واضح وهو أن الكرملين هو المفسر الأول والأخير للسياسة ، وليس من حق الصحف مطلقا أن توجه السياسة أي وجهة ، أو تبدي رأيها في أي خط معين من خطوطها ، وانما عليهـا أن تقـوم بواجب

(١) قرار الحزب الشيوعي في أغسطس سنة ١٩٢٢ .

الدعاية والتفسير والاقناع . وهنا يبرز دور وكالة الأنباء فى اشاعة توجيه معين على كافة الصحف . فاذا انعقد مؤتمر هام ، أعد القادة بيان شامل ، واجابات عن الأسئلة المحتملة ، وكلفوا وكالة الأنباء الرسمية باذاعة هذه المعلومات على الصحف لنشرها بنصها .

وقد ساعد على مركزية التوجيه الاعلامى جهازان : الأول يسمى جهاز الاثارة والدعاية والآخر هو جهاز الجلافيت أى الادارة الخاصة بشئون الآداب والنشر .

ويضم الجهاز الأول فروعا للسيطرة على شئون الصحف المركزية ، وصحف الجمهوريات الاتحادية ، وشئون الصحف المحلية. أما الجهاز الثانى فهو يتبع وزارة التعليم ويضمن سلامة التوجيه المعنوى للرأى العام على نفس الخط الذى يرسمه الحزب .

وفى سنة ١٩١٨ ، صدرت نشرة دورية منتظمة للاثارة والدعاية(١) الحزبية أطلق عليها اسم « أجيت روستا(٢) » ، وكان الغرض منها توجيه فئات الشعب المختلفة من رجال ونساء وشباب وفلاحين وعمال لتحقيق أهداف الحزب وتبصيره بمنجزاته . وكان لا بد لهذه النشرة أن تخوض فى الحملات الحزبية الضارية التى يشنها البلشفيك ضد خصومهم ، وضد الانحرافات الخطيرة - كالهروب من الجندية مثلا - وبدأ عصر جديد من التوجيه والدعاية عن طريق المقالات ورفع الشعارات ، وهو طابع لا زالت الصحافة السوفييتية تتسم به الى حد كبير .

---

(١) Agit - Prop.

(٢) Agit - Rosta.

وكالة تاس السوفييتية :

ولكن وكالة أنباء روستا ـ ومعناها وكالة الأنباء الروسية ـ ما لبثت أن تحولت الى وكالة أكبر من حيث الامكانيات والطاقة على العمل . وهذه الوكالة هي وكالة تاس (وكالة أنباء الاتحاد السوفييتي(١) وهي وكالة رسمية تابعة للحكومة عن طريق مجلس الوزراء . وتعتبر جميع البيانات الصادرة عنها بيانات حكومية رسمية . وفي سنوات الحرب العالمية الثانية ، كانت هذه الوكالة هي الوحيدة في الاتحاد السوفييتي التي وزعت الأخبار والمعلومات عن تطورات الحرب ، وذلك تحت اسم (مكتب الاعلام السوفييتي) وكان المراسلون الخصوصيون في الجيش ينتمون الى وكالة تاس .

وللوكالة مهمتان رئيسيتان : الأولى هي جمع الأخبار داخل الاتحاد السوفييتي ، والثانية جمع الأخبار من الدول الأجنبية في جميع أنحاء العالم ، ومن ثم توزيعها على الصحف والمجلات السوفييتية . وقد كان عدد المراسلين في بادىء الأمر محدودا في عدد من الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وبريطانيا واليابان . ومع توسع نشاط الوكالة تدريجيا ، ولاسيما بعد سنوات الحرب العالمية الثانية ، أخذت شبكة مكاتب الوكالة في الخارج تتوسع تدريجيا حتى بلغت أكثر من ١٠٥ مكتبا خارج الاتحاد السوفييتي .

ومنذ أن حلت وكالة تاس محل وكالة روستا في العاشر من يوليو سنة ١٩٢٥ ، أخذت على عاتقها مهمة التنسيق فيما بينها

---

(١) Telegrafnoie Agenstvo Sovietskovo Soyuza.

وبين الوكالات المحلية فى جمهوريات الاتحــاد السوفييتى · وقد رأينا أن التوجيه الاعلامى يسير على نمط مركزى سواء بالنسبة للأخبار الداخلية أو الأخبار الخارجية ، ولذلك تلعب وكالة تاس دور الموزع الرئيسى ، أو تحويلة التليفون التى تخرج منها كافة الخطوط الفرعية ·

وينهض القسم الخارجى للوكالة ويسمى (اينوتاس) بمهمة اسـتقاء الأخبــار من الدول الأجنبية وحصرها ثم توزيعهـا على الصحف والمجلات وأجهزة الاعــلام الأخرى · وكذلك تستعمل هذه الأخبار التى توزعها الوكالة كمصادر للتعليقات المختلفة ، وينتفع المحللون والمعلقون بنصوص البرقيات التى توزعها تاس ، لتفسير الخط السياسى الذى يراه الحزب الشيوعى ·

وفى المكاتب الكبيرة بالمــدن الرئيسية مثل نيويورك مثلا ، يصل عدد موظفى الوكالة الى الأربعين موظفا ، فليس غريبا أن يتلقى المركز الرئيسى من هذه المكاتب أكثر من مليون كلمة فى الأسبوع · ولكن مدى الاستفادة من هذه الأخبار يخضع لتوجيه دقيق ، كما سبق القول · ولذلك فان الاتصال بين المكاتب الخارجية وموسكو ذو اتجاهين ، وخاصة بالنسبة لمكاتب لندن ونيويورك وبون وباريس وطوكيو ·

وتهتم وكالة تاس اهتماما كبيرا بمنطقة الشرق الأوسط ، فيتم الاتصال منها وبها بواسطة التليفون ، وخاصة مصر وسوريا والجزائر · أما بقية الأجزاء العربية ، فيتم الاتصال بها عن طريق لندن · وقد استحدثت وكالة تاس نظاما جديدا لتوزيع أخبارها باللغة العربية على مشتركيها فى المنطقة ، بعد أن كان التوزيع يجرى باللغتين الانجليزية والفرنسية من قبل · وقد استلزم ذلك

ـ بطبيعة الحال ـ انشاء قسم عربي بالمركز الرئيسى فى موسكو • ويجرى هذا الاتصال على أجهزة المبرقات الكاتبة باللغة العربية فى كل من القاهرة وبيروت ودمشق وبغداد والكويت •

وفى كثير من الدول ، توقع تاس اتفاقيات مع وكالات الأنباء المحلية فى تلك الدولة الأجنبية ، بحيث يصبح للوكالة المحلية امتياز توزيع أنباء تاس مقابل تسهيلات فى ارسال البرقيات والأخبار ، وحتى استعمال الأجهزة بشكل مجانى أو شبه مجانى • وبالاضافة الى ذلك تعطى الوكالة المحلية أخبارا الى تاس بدون مقابل أو على أساس المعاملة بالمثل •

ولوكالة تاس اتفاقيات تبادل مع بعض الوكالات العالمية والمحلية • وبموجب هذه الاتفاقيات ، تستعمل الوكالة أنباء الوكالة الأخرى مع ذكر اسم الوكالة التى صدر عنها الخبر ، وذلك عند نشر الأخبار أو اذاعتها . وتوجد مثل هذه الاتفاقيات مع وكالة رويترز والأسوشيتد برس واليونايتد برس أنترناشونال . والوكالة الفرنسية ، ووكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية •

وتقوم مكاتب تاس فى الخارج بتوزيع الصور التى تصدرها الوكالة على الصحف والمجلات ، وقد جرى اتفاق مع عدد من الصحف والمجلات اللبنانية فى الآونة الأخيرة ليقوم مكتب تاس فى بيروت بتوزيع صور الوكالة عليها ، والتى ترسل من موسكو عن طريق الراديو • كما تم مثل هذا الاتفاق مع مصر أيضا •

ويجرى العمل فى القسم الخارجى لوكالة تاس على أساس تقسيم العالم الى مناطق رئيسية جغرافيا ، فهناك قسم دول أوروبا الاشتراكية ، وهناك قسم الشرق الأوسط والدول العربية .

وكذلك قسم أوروبا الوسطى ، وقسم أوروبا الشمالية • أما محور الاتصال بين موسكو وأمريكا الشمالية والشرق الأقصى ، فيتم عن طريق خط موسكو سان فرانسسكو • وهناك خط آخر يتجه جنوبا الى أمريكا اللاتينية وهو خط موسكو سانتياجو ، وقد أتاح هذا الخط لدول أمريكا اللاتينية استقبال نشرة وكالة تاس السوفييتية.

ولما كانت وكالات الأنباء قد درجت على الدخول فى اتحادات ، كالوكالات الأوروبية، والوكالات الأفريقية، والوكالات الآسيوية، فقد تكون اتحاد بين وكالات الدول الاشتراكية سنة ١٩٥٠ ، وكانت تمثل فيه ألبانيا وبلغاريا وبولندا وألمانيا الديمقراطية ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا والصين الشعبية أيضا • ولا شك أن هذا الاتحاد كان بمثابة الجبهة الاعلامية المتكاملة فى الحرب الباردة التى اشتعل أوراها بعد الحرب العالمية الثانية •

سيوزني تاس :

ولوكالة تاس قسمها الداخلى المسمى (سيوزنى تاس) ، وهو القسم الهام الذى تنتشر مكاتبه فى جميع أجزاء الاتحاد السوفييتى • وتوجد المكاتب الرئيسية فى عواصم جمهوريات الاتحاد السوفييتى ، وهى تمثل وكالات أنباء محلية تخدم هذه الجمهوريات كوكالة أنباء أوكرانيا ، ووكالة أنباء جورجيا ، ووكالة أنباء روسيا البيضاء • وبالاضافة الى المكاتب الرئيسية ، توجد مكاتب فرعية فى المدن الرئيسية بالجمهوريات السوفييتية ، لتغطية الأنباء فى المناطق المحيطة بها •

وتنحصر مهمة القسم الداخلى فى جمع الأخبار بكافة أرجاء الاتحاد السوفييتى وتبويبها وتنسيقها ثم ارسالها الى المركز الرئيسى فى موسكو ليتم توزيعها واذاعتها • واذا كان لبعض

الأنباء صبغة خاصة ، كأن تنطبع مثلا بطابع منطقة أو جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفييتي بحيث يصبح أمر اذاعتها ونشرها لا يهم المركز الرئيسي في موسكو ، فانه يتم توزيعها على الصحف في تلك المنطقة أو على أجهزة الاعلام الأخرى ، ليجرى نشرها أو اذاعتها . هذا ومن الصعب حصر عدد المكاتب ، ولكن يكفى أن يقال أن مثل هذه المكاتب موجودة فى كل المدن الرئيسية وشبه الرئيسية فى البلاد . وتقوم الوكالة الرئيسية فى أكثر الأحيان باستعمال أخبار هذا القسم فى نشراتها الخارجية .

ويعتبر قسم التصوير (فوتوتاس) من أهم أقسام الوكالة السوفييتية ، ومهمته ارسال الصور الاخبارية عن الأحداث فى جميع أصقاع الاتحاد السوفييتي للخارج ، وكذلك استقبال صور الأحداث الخارجية ليتم نشرها فى الصحف المحلية . وتعقد اتفاقيات بين هذا القسم والأقسام المشابهة فى الوكالات العالمية والمحلية الأخرى ، ليتم تبادل الصور بينها ، وتكون العلاقة التى تسود هذه الاتفاقيات تجارية بحتة ، كأن تبيع وكالة تاس صورة معينة لوكالة رويترز ، بحيث تصبح الصورة امتيازا لرويترز لا يحق لغيرها من الوكالات استعمالها حتى فى الصحف داخل بريطانيا ، الا عن طريق الاتفاق مع الوكالة صاحبة الامتياز ، وهى رويترز .

وبالاضافة الى الأقسام الرئيسية السابقة ، توجد فى وكالة تاس أقسام فرعية ، مثل قسم الأنباء الرياضية الذى يعتمد على المراسلين أو المخبرين الخصوصيين . هذا وتعمل عدة محطات للارسال بطريقة مورس وهل وغيرهما ، كما يجرى توزيع الأخبار بعدة لغات مختلفة ، كالانجليزية والفرنسية والألمانية والعربية .

ويتلقى المركز الرئيسى أخبارا هامة يوزعها على مجموعات الصحف النوعية كصحافة الشباب وصحافة المرأة وصحافة الجيش ، ويجرى توزيع افتتاحيات الصحف الكبرى مثل البرافدا والازفستيا على سائر الصحف فى الجمهوريات والأقاليم . والمعروف أنه الى جانب الصحف الكبرى يوجد عدد كبير من صحف الاتحادات والنقابات ، واتحاد الكتاب السوفييت ، والدوائر الحكومية ، والمزارع التعاونية ، والمنشآت الصناعية والمدارس والمعاهد والجامعات والجيش والطيران والبحرية . وفى عبارة واحدة ، لا يوجد حى واحد فى الاتحاد السوفييتى الا وبه صحيفة . ومثال ذلك أن جمهورية أوزبكستان وحدها تملك ٢٥٠ صحيفة ومجلة ، يبلغ توزيعها ٥ مليون نسخة .

هذا ويمكن القول أن عدد الصحف والمجلات التى تصدر فى الاتحاد السوفييتى ، وتتغذى فعلا بالأخبار التى تنقلها اليها وكالة تاس سواء كانت هذه الأخبار محلية أم أجنبية ، حوالى ٦٦٠٠ صحيفة و ٣٨٠٠ مجلة . ويبلغ عدد النسخ التى تستهلك يوميا فى الاتحاد السوفييتى مائة مليون نسخة .

ويلاحظ أن جميع العاملين فى وكالة تاس ـ وعددهم فى المركز الرئيسى وحده حوالى ١٥٠٠ شخص ـ يعتبرون موظفين رسميين فى الدولة . وكذلك يعامل المراسلون فى الخارج معاملة دبلوماسية . ويتولى مجلس وزراء الاتحاد السوفييتى تعيين المدير العام للوكالة وكذلك مساعده . وقد تقدمت وكالة تاس تقدما كبيرا بفضل الخبراء والصحفيين المحترفين ، وغيرهم من المتخصصين فى الشئون الخارجية . أما الوكالات المحلية فى الاتحاد السوفييتى والتى تعتبر تابعة لوكالة تاس ، فانها تختلف باختلاف أهمية المنطقة التى توجد بها .

الأخبار فى الاتحاد السوفييتى :

ومن الثابت أن نظرة وكالة تاس الى الأخبار تختلف تماما عن نظرة الوكالات الغربيــة اليها • يقول لينين : ليس الغرض من الاعلام هو المتاجرة بالأنباء ، وانما الغرض هــو تثقيف جماهير العمال وتنظيمهم وفقا للتوجيه المطلق للحزب الذى يحدد أهداف هذه الثقافة • ومعنى ذلك أن الرســالة الأولى للاعلام هى نشر الأفكار الشيوعية والمبادىء الماركسية اللينينية • فالأنباء هى أداة ينبغى أن تســتغل لخدمة الحزب ، ولا تهم الموضــوعية فى سبيل تحقيق هذا الغرض •

وحتى بالجونوف ـ مــدير وكالة تاس ـ يستنكر اصطباغ الأنباء بالطابع الاخبــارى الموضوعى البحت ، ويطالب بضرورة استغلال الأخبار لغرض معين • وفى محاضرة له ألقاها سنة ١٩٥٦ فى معهد الصحافة بموسكو ، قالها صراحة أن الخبر الصحفى يجب أن يختار وفقا لمعيار واحد ، وهو أن الصحافة ليست أداة لنشر جميع الحقائق ، أو لاذاعة أى أنباء حيثما اتفق ، وانما يجب أن تكون الأخبار ذات مهمة توجيهية وتثقيفية •

فلا بأس من اختيار الأخبار من زاوية واحدة أو جانب واحد مع اهمال الجانب الآخر • ولا بأس أيضا من تأخير اذاعة الأخبار أو حتى التزام الصمت حيالها • وقد يتطلب الأمر تعديل بعض الأخبار . أو حتى خلقها لأغراض دعائية مفيدة • لأن الخبر سلاح يستخدم لمصلحة معينة أو لهدف محدد •

ان خبر استسلام ايطاليا ســنة ١٩٤٣ قد كتم لفترة طويلة من الزمن • وعندما نالت الهنــد استقلالها ، ورضخت بريطانيا

وقالت أنهـا منحت الهنـد ذلك الاسـتقلال ، لم يظهر الخبر فى الصحافة السوفييتية . ولقد جاء نشر خبر وفاة اندريه فيشنسكى سنة ١٩٥٤ متأخرا يومين كاملين ، بعد نشره فى سائر أنحاء العالم .

وعندما غرقت احدى وحدات الأسـطول السـوفييتى قرب سواحل القرم ، سنة ١٩٥٥ ، لم ينشر الخبر رغم أن ضحايا الحادث قد بلغ عـددهم ١٥٠٠ شخص ، ولم تنشر أنباء طرد مولوتوف ومالينكوف وشبيلوف من السلطة الا بعد أربعة أيام من حدوثها . فقد تم الطرد يوم ٢٩ يونيو ولم يذع الخبر سـوى يوم ٣ يوليو سنة ١٩٥٥ .

وعندما حدثت اضطرابات فى برلين الشرقية وبعض مناطق ألمانيا الديمقراطية فى ١٧ يونيو سنة ١٩٥٣ ولمدة خمسة أيام متتالية ، كان موقف الصحافة السـوفييتية هو التزام الصمت . وعندما نشرت أنباء هذه الاضطرابات وصفت بأنها تمرد فاشى دبر على مضى الزمن بأيدى عملاء حى المال فى نيويورك ، وأن الجيش الأحمر اضطر الى البطش بهؤلاء العملاء لانقاذ جمهورية ألمانيا الديمقراطية .

ونشرت أخبار اضطرابات المجر فى الصحافة السوفييتية على أنها محاولات لاسترجاع نفوذ ديكتاتورية الاميرال هورتى . ولم تشأ الصحافة السوفييتية أن تنشر أخبار المعونة الأمريكية لبولندا لأن مثل هذا الخبر لا يفيـد شيئا . والخبر هـو ذلك الشىء الذى « يخدم مصالحنا » .

ولقد أكد لينين وستالين مرارا وتكرارا أن أحدا لا يستطيع أن يضع الثورة بمرسوم أو قانون ، ولا أن يحدث تغييرا اجتماعيا

أساسيا بإعطاء الأوامر الى الجماهير • فأول خطوة فى البرنامج البلشفى هى العمل على السيطرة على أذهان الطبقة العاملة وكسبها الى جانب الماركسية • والأخبار الموجهة أقوى تأثيرا من المقالات التلقينية والمواعظ المباشرة •

مرحلة ما بعد ستالين :

غير أن الصحافة السوفييتية قد طرأ عليها تغيير ملموس خلال المرحلة التالية لوفاة ستالين ، وخاصة بين سنة ١٩٥٥ وسنة ١٩٥٧ • وهنا نجد أن تأثير الوكالات والصحف الغربية على وكالة تاس والصحف السوفييتية قد أصبح واضحا ملموسا • بل ان الكثير من كبار الصحفيين وقادة السوفييت البارزين قد أخذوا ينددون بما كانت تعانيه الصحافة من عيوب تحت حكم ستالين •

ويشهد عام ١٩٥٣ ــ عند نهايته ــ مؤتمرا كبيرا ، دعت اليه اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، ودعى اليه رؤساء تحرير الصحف ، وكان خروشوف يتصدر قائمة المتحدثين ، وكان هذا الحدث الهام ايذانا بتحول جذرى وكامل فى سياسة الحكومة السوفييتية الاعلامية • وقد دعا المتحدثون الى ضرورة نبذ الأساليب التقليدية المملة ، والتكرار الرتيب السخيف الذى يجعل كافة الصحف نسخا متشابهة •

وكان هذا الخطاب الهام للسكرتير الأول للحزب الشيوعى كالشرارة التى انطلقت ، وتحولت الى موجات من اللهيب النارى الذى وجه فى صورة من النقد المرير الى جمود الصحافة السوفييتية • ومثال ذلك المقال الذى نشرته مجلة الحزب « كوميونست » بقلم ستربيوكهوف وهو من كبار المسئولين فى

ادارة الاعلام والدعاية باللجنة المركزية للحزب الشيوعى فقد قال : ان الصحف السوفييتية جامدة مملة ، ذات طابع واحد وسطحية وضعيفة من وجهة النظر الايديولوجية . واننا لو نظرنا الى مجموعة من الصحف والمجلات الصادرة لما أمكن التفريق بينها الا بالنظر الى أسمائها .

وتطالعنا صحيفة البرافدا فى الخامس من مايو سنة ١٩٥٦ ـ وهو يوم الصحافة السوفييتية ـ بمقال جاء فيه : « ان تقرير اللجنة المركزية الى المؤتمر العشرين أبرز أهمية خاصة حول تدعيم دور الصحافة فى جميع الميادين السياسية والتنظيمية والايديولوجية . وعلى ذلك يجب ادخال تحسينات جوهرية على طريقة تحرير الصحف وازالة الأخطاء التى جعلت من الصحافة شيئا غير مستساغ ، وتعالج مواضيع مكررة لا معنى لها » .

ولقد حاول الصحفيون السوفييت أن يفعلوا شيئا لتغيير هذا الوضع الذى ندد به المسئولون فى الحزب بشدة ، فقام بولن ـ مساعد رئيس تحرير الازفستيا ـ باجراء تغيير شامل فى مظهر الجريدة ، وطالب زملاءه أن يحذوا حذوه . وكان ذلك فى مقال نشره فى جريدة سوفستكايا بيچان ـ لسان حال نقابة الصحفيين . وقد امتدح بولن الصحافة الغربية ، ونصح الصحفيين بمحاولة ارضاء أذواق القراء ، وهو المذهب الذى لم يذهب اليه أحد ، حتى ذلك الوقت .

ولقد أثمرت هذه الحملات ، وأصبحت صحف الاتحاد السوفييتى أكثر حيوية ونشاطا على وجه العموم ، كما تنوعت المحتويات التى كانت تطالعنا بها الصحف السوفييتية ، وصارت الصحف الاقليمية صاحبة مقالات خاصة بها ، بعد أن كانت تنقل

المقالات الرئيسية من جريدة البرافدا ، وتنشر المراسيم الحكومية والبيانات الرسمية كاملة بنفس البنط الذى تنشره الصحف الكبرى وفى نفس المكان •

وبعد أن كانت الصحف تقليدية جامدة تنشر برقيات التهنئة المرسلة الى ستالين بمناسبة عيد ميلاده السبعين لمدة اثنين وعشرين شهرا بعد عيد ميلاده فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ، فاننا نجدها اليوم محتوية على القصص المسلسلة والمقالات الخفيفة ، والنبذ الفكاهية • كما أنها تنشر أحيانا بعض أخبار الجرائم فى نطاق هادف لمحاربة الرذيلة فى المجتمع ، فضلا عن الخطابات التى ترد الى المحرر من العاملين فى المصانع والمنظمات الزراعية الجماعية وغيرها •

أما سياسة نشر الأخبار الخارجية فلا تزال قائمة على الحرص الشديد والدقة التامة ، فلا يسمح بنشر خبر من الأخبار الا اذا كان فى اطار من الخطة الاعلامية المرسومة • فخبر انتخاب نيكسون رئيسا للولايات المتحدة لم ينشر فى الصحف السوفييتية الا بعد فترة وفى ذيل عمود فى آخر الصفحات • بل ان أخبار الوصول الى القمر ورحلات أبوللو ١٢ و ١٣ و ١٤ لم تظفر بالنشر المناسب • وخبر وفاة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لم ينشر الا بعد يومين من وقوعه وذلك « خوفا من صدمة هذا الشعب فى وفاة الزعيم الصديق » •

الدعاية والاعلام الثقافى :

والواقع أن دراسات الاعلام الحديثة قد أوضحت أهمية التيار المتدفق من الأنباء والمعلومات التى تنقله أجهزة الاعلام على الرأى

العام • وقد وجد أيضا أن الاعلام المباشر عن طريق الأخبار الرسمية أضعف تأثيرا من الاعلام الثقافى عن طريق الكلمة والصورة واللوحة الفنية والمسرحية والفرق الرياضية والأفلام والأغانى وغيرها • ومن الممكن أن تلعب الوكالات دورا هاما بين الشعوب والدول المختلفة بما تعبر عنه وتعكسه من مواد ثقافية تنقل الآراء والقيم والمعتقدات •

ويرجع انشاء وكالة نوفوستى سنة ١٩٦١ الى التيار الحديث للاعلام الذى لا يعتمد على الأخبار السياسية والاجتماعية وحدها ، وانما يعتمد على الجوانب الثقافية من نشرات وكتب ومؤلفات وانجازات علمية وفنية ورياضية • واذا كانت وكالات الأنباء السوفييتية لا تخفى مظهرها تحت بريق كلمات الحيدة والنزاهة التى تتشدق بها وكالات الأنباء الغربية ، فان هذه الوكالات السوفييتية تحاول من خلال الاعلام الخارجى توضيح حقيقة الأمة السوفييتية ومنجزاتها العلمية والثقافية •

ومهما ادعت الوكالات الغربية من ضوابط الموضوعية والحياد ، فلا يمكن أن نغفل عصر الاحتكارية الصناعية الرأسمالية ومحاولاتها تنفيذ مخططاتها بشكل أو بآخر مستخدمة فى ذلك كل الوسائل التى تتيحها سيطرتها المالية على أغلب وسائل الاعلام ، مما يجعلها فى موقف المتحكم فى اتجاهات الرأى محليا وعالميا بما يحقق مصالحها وسيطرتها • خاصة ونحن نعرف حجم الانفاقات التى يتطلبها العمل والتى تؤكد أن الظروف المالية عامل مسيطر بطريقة لا يمكن اغفالها فى عصرنا الحاضر •

ومن هنا نخلص الى أن وكالات الانباء العالمية تلعب دورا هاما فى تأكيد المخطط السياسى للدولة وتعميقه بما يتلاءم وظروف

المجتمع داخليا والأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية داخليا وخارجيا ، ومهما ادعت لنفسها الموضوعية والحياد ، فانها - بشكل أو بآخر - لا تستطيع أن تمنع نفسها من التعبير عن سياسة أو مصلحة ما ، خاصة وأن تقدم الوسائل العلمية والأبحاث النفسية أتاح لها صياغة الأخبار والأفكار والمعلومات بصورة تكفل لها التغلب على كثير من أشكال المقاومة الفكرية والنفسية عند الجماهير •

واذا كنا نتحدث عن الدور الاعلامى لوكالات الأنباء موضحين دورها كوسيلة من وسائل الاعلام التى تسهم فى تكوين الرأى العام الذى يشكل قوة ضاغطة على السياسة العالمية ، فاننا لا يمكن أن نغفل أن الرأى العام - خارجيا وداخليا - هدف من أهداف الدعاية السياسية ، وهذا يضيف بعدا جديدا هاما وخطيرا للدور الذى تلعبه وسائل الاعلام •

ومجال الدعاية دائما هو الانسان فى محاولة التأثير على فكره وسلوكه ، وهو لا يستطيع تجنبها ، فهى تسرى من خلال الهواء ومن فوقه ، فى شكل موجات اذاعية تحمل الصوت والصورة ، وليس هناك ما يقينا صوتها المتردد فى اصرار وعناد ، وخاصة بعد توصل الانسان الى اطلاق الأقمار الصناعية واستخدامها فى الاتصالات التليفزيونية •

ولكن الدعاية فى العصر الحديث لم تعد دعاية سافرة ومباشرة ، فهذه قد ولت أيامها ، ويسهل مواجهتها وتجنبها ، وانما أصبحت الدعاية فن يستخدم كل الأدوات المتاحة ، ويتوغل فى جميع مظاهر الحياة ، ويغزو كل مظاهر الفكر والعمل ، وينسج حول الأفراد والشعوب شباكا من الضغوط النفسية

والاجتماعية بأشكالها المختلفة . فقد تظهر الدعاية على غلاف صندوق سجائر أو علبة كبريت ، أو فى كلام يكتب على الجدران ، وقد تكمن فى رحلة طيران أو سباق لغزو الفضاء ، أو فى محاكمة علنية ، أو فى حفلة تتويج ، أو فى خطبة زعيم سياسى تخرج اخراجا فنيا بالموسيقى والأضواء وهتافات الجماهير أنفسهم .

ان الدعاية الحديثة تتخذ شكل الاعلام الثقافى الذى يتلاءم مع روح العصر وتطوره ، وهو اعلام يستغل الاتصال المتزايد الأهمية والفاعلية بين الجماعات المتباعدة ، والانتشار الشامل والسريع للثقافة الشعبية ، مما أدى الى زيادة اهتمامات الفرد واتساع أفقه ، وبالتالى تطعيم كل ألوان هذه الاهتمامات الثقافية بجرعات من الدعاية . وقد اتخذت الحرب الايديولوجية الدائرة بين الشرق والغرب شكلا ثقافيا ، تلعب فيه أجهزة الثقافة دورا رئيسيا ، كما يقوم الاتصال الشعبى بدور الدعاية الجماهيرية فى نطاق تقدم العلم والتكنولوجيا والفن والأدب والرياضة وغيرها من أوجه النشاط الثقافى الجذابة .

وكالة نوفوستى :

فليس غريبا ـ اذن ـ أن تحمل وكالة نوفوستى ، منذ انشائها فى فبراير سنة ١٩٦١ شعارا جماهيريا هو : «الاعلام من أجل السلام . ومن أجل خير الشعوب» ووكالة نوفوستى ـ ومعناها باللغة الروسية : « الجديدة » ـ هيئة مستقلة استقلالا تاما ، وتتعاون مع ادارات الاعلام الرسمية ولكنها غير ملحقة بها .

وقد جاء فى قانون انشاء وكالة نوفوستى « أنها وكالة معلومات تابعة للمؤسسات العامة السوفييتية ، وتعمل بموجب

المادتين ١٢٥ و ١٢٦ من دستور اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية وتستهدف العمل بكل سبيل من أجل تعزيز ودعم التفاهم والثقة والصداقة الدولية عن طريق نشر المعلومات الحقيقية عن الاتحاد السوفييتي على نطاق واسع ، فضلا عن تعريف الجمهور السوفييتي بحياة غيره من الشعوب(١) » •

واذا كانت وكالة تاس تمثل الجانب الرسمي للدولة ، فان وكالة نوفوستي تمثل الجانب الشعبي لها • وقد نبعت فكرة اصدارها من مؤتمر شعبي يضم ممثلين عن اتحاد الصحفيين السوفييت الذى يضم في صفوفه أكثر من أربعين ألف عضو ، واتحاد الكتاب السوفييت ويضم خمسة آلاف كاتب ، واتحاد الجمعيات السوفييتية للصداقة والعلاقات الثقافية وبعض المناطق السوفييتية وجمعيات صداقة في ٨٧ دولة أجنبية ، وجمعية زنانيي ــ أى المعرفة ــ لجميع الاتحاد السوفييتي ولها أربعة آلاف فرع وتضم مليون عضو •

ويعتبر هذا المؤتمر الشعبي مؤتمرا تأسيسيا ، وهو يدعى للانعقاد كل أربعة سنوات على الأقل ، ويقرر طريقة انتخاب أعضائه ومعدلات التمثيل فيه • ويستمع المؤتمر التأسيسي الى تقارير مجلس الوكالة فيما يختص بأحوال العمل وأوجه النشاط بالوكالة ، وله أن يعدل قوانين الوكالة ويصدق عليها ، كما أنه مسئول عن انتخاب مجلس المؤسسين ومجلس الوكالة •

أما مجلس المؤسسين فيتولى مباشرة كل وجوه نشاط الوكالة ويصدق على انتخاب مجلس الوكالة والتقارير التي يرفعها اليه ،

---

(١) Novosti Press Agency Publishing House, p. 3.

ويقرر المهام الأخرى للوكالة كالنشاط المالى والتجارى • وينعقد هذا المجلس مرة واحدة فى السنة على الأقل •

أما مجلس الوكالة فهو بمثابة مجلس الادارة الذى يتولى مباشرة أوجه النشاط اليومى ، ويمثلها فى كل مجال ، ويضم هذا المجلس عشرة من أعضاء الحزب ، يتولون التخطيط الايديولوجى لنشاط الوكالة ، ومراقبة الاتجاهات السياسية بما يخدم أهداف المجتمع السوفييتى من خلال الاطار العام لسياسة الحزب الشيوعى السوفييتى •

وتتمتع الوكالة بكافة حقوق الشخصية الاعتبارية ، ولها حق فتح الاعتمادات المالية الجارية وغيرها من الاعتمادات المستقلة فى بنك الدولة وغيرها من البنوك فى الاتحاد السوفييتى والخارج • كما أن لها الحق فى امتلاك العقارات وفقا للاجراءات المتبعة والتصرف فيها • وتمنح سلطات التقاضى وتطبق عليها العقوبات وتتلقى القروض وتبرم الاتفاقيات والعقود ، وتدخل فى أى نشاط تجارى آخر يستلزمه تحقيق الأهداف المنصوص عليها فى قانون انشاء الوكالة •

وتستمد الوكالة ايراداتها من عائد المواد الاعلامية ، ومن الدخل الناتج عن أنشطة النشر ، فضلا عن الاعانات التى تقدمها المؤسسات السوفييتية العامة ، بالاضافة الى الدعم المالى الذى يوجهه الحزب للوكالة ، ولا تتحمل الدولة السوفييتية بأجهزتها المختلفة مسئولية أوجه النشاط التجارية التىتقوم بها الوكالة أو الالتزامات المالية التى تتعهد بها • كما أن الوكالة لا تتحمل مسئولية أية دعاوى تقام ضد الدولة السوفييتية أو ضد أى مؤسسة من مؤسساتها •

ولما كانت الوكالة مشكلة بناء على اتفاق الهيئات المشار اليها آنفا ، والتى تكون المؤتمر التأسيسى ، فانه يجوز لهـذه الهيئات اتخاذ قرار مشترك يحلها اذا دعت الضرورة الى ذلك • ومن هذا يتضح أن الوكالة لا تشبه الوكالات الوطنية الموجودة فى العالم ولا تشبه الوكالات الحكومية كوكالة تاس ، ولا تشبه الاتحادات التعاونية كالأسوشيتد برس ولا الشركات الخاصة كاليونيتد برس انترناشيونال •

ذلك أن الغرض الأساسى من انشـاء وكالة نوفوستى هـو الدعاية والاعلام الثقافى عن انجازات المجتمع السوفييتى فى جميع الميادين السياسية والثقافية والعلمية، مع ابراز دور الايديولوجية الشيوعية وحكم طبقة البروليتاريا السوفييتية فى هذه الانجازات . وفى مقابل ذلك تسعى الوكالة الى التعرف على بقيـة الشـعوب وخاصة شعوب الدول النامية ، وذلك بهدف دعم علاقات الصداقة والتعاون بين شعوب الاتحاد السوفييتى وشعوب العالم ، وتحقيقا للشعار الذى أعلنته الوكالة وهو « الاعلام من أجل السلام . ومن أجل خير الشعوب » •

الدور الدعائى لوكالة نوفوستى :

وتقوم وكالة نوفوستى بأعمال اعلامية متعددة • فهى مسئولة عن انتاج المقالات والتعليقات والأحاديث والتحقيقات والمراجع والمواد المصورة، وغيرها من المواد الاعلامية الخاصة بقضايا السياسة الداخلية والخارجية فى الاتحاد السوفييتى ، وبالحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فيها ، وتقدم الوكالة انتاجهـا للصـحف ووكالات الأنباء ودور النشر والاذاعات وهيئات التليفزيون ، وكذلك للجمعيات والهيئات الأجنبية • وتتولى الوكالة أيضا مهمة

اعداد المواد الصحفية التى تعكس اتجاهات الرأى العام السوفييتى حول أهم أحداث الحياة الداخلية والخارجية ·

وتمد وكالة نوفوستى الصحافة والاذاعة والتليفزيون فى الاتحاد السوفييتى بالمقالات والتعليقات والمراجع والتحقيقات الصحفية والمواد المصورة الخاصة بالقضايا السياسية وبالحياة الاجتماعية والاقتصادية وبالعلم والثقافة فى البلاد الأجنبية ·

ومن ناحية أخرى تقوم الوكالة بالاتصال بالوكالات الأجنبية والمجلات والصحف والاذاعات وهيئات التليفزيون فى البلاد الأجنبية ، وتستطلع احتياجاتها من مختلف المواد الاعلامية ، وتمدها بالكتب والنشرات والصور والشرائح الملونة وغير ذلك من مواد تدور حول الحياة داخل الاتحاد السوفييتى وفى الخارج ، وهكذا تتولى الوكالة نشر الصحف والمجلات والكتيبات والنشرات وغيرها من المطبوعات فى الاتحاد السوفييتى والدول الأجنبية بما يتفق والنظم التشريعية والقوانين الخاصة بكل منها ·

وفضلا عن ذلك ، تقوم وكالة نوفوستى بمفردها ، أو بالتعاون مع شركات الأفلام والتليفزيون الأجنبية باعداد أفلام طويلة وقصيرة ، تصور نواحى الحياة المختلفة لدى شعوب الاتحادالسوفييتى موضحة انجازات الدولة السوفييتية فى مضمار تطوير الاقتصاد والعلم والثقافة والتعليم الاشتراكى واشاعة روح السلام والصداقة والتعاون بين الشعب السوفييتى وشعوب دول العالم المختلفة ·

وهكذا يتضح لنا أن الغرض من انشاء وكالة نوفوستى دعائى بالدرجة الأولى ، كما أنه يكمل عمل وكالة تاس الحكومية من حيث الاهتمام بتفسير الخبر والتعليق عليه ومدى تقبل الرأى العام له

أو اعتراضه عليه ، وذلك بما يتفق ونظريات الاعلام الحديثة التى تهتم بتأثير الحدث وتفسيره أكثر من الاهتمام بتفاصيله كواقع ٠

ويلاحظ أن نوفوستى قد انشئت باتفــاق الهيئات الثقافية السوفييتية التى تهتم بقضايا السياسة والفكر والأدب ، لا فى الاتحاد السوفييتى فقط وانما فى العالم كله ، ولذلك فانها جاءت تأكيدا لنظرية الانفتاح الجديد على العالم التى اتخذتها القيــادة السياسية وغيرها من القيادات الثقافية والاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى شعارا لها فى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ٠ فاذا كانت وكالة تاس هى وكالة أنباء رسمية ، فان وكالة نوفوستى وكالة شعبية أو ثقافية ، أو هى ــ على حد تعبير السوفييت ــ وكالة رأى عام ٠

ويقع المركز الرئيسى للوكالة فى موسكو ، كمــا أن لها مكاتب متعددة فى لندن وباريس ومونتفيديو وريودى جانيرو ونيودلهى ورانجون وجاكرتا والدول الاشتراكية فى آسيا وأوروبا ، وكذلك فى طوكيو وبرلين والقاهرة وغيرها من العــواصم التى تمارس الوكالة عملها فيها ٠ وينتشر مراسلو هذه الوكالة فى أكثر من سبعين دولة بجميع أنحاء العالم ومنها دول الشرق الأوسط ٠

وتستخدم الوكالة امكانيات الترجمة وغيرها من الامكانيات التى تتيحها السفارات السوفييتية المحلية ، لأنها تنشر ٣٠ مجلة فى الخارج من بينها ١٤ مجلة تنشر فى الهند وحدها بأربع عشرة لغــة ٠

ولا يقتصر نشاط نوفوستى على خارج الاتحاد السوفييتى ، بل تقوم باصدار عدة نشرات داخل الاتحاد بجميع جمهورياته ٠

وتتضمن النشرات الاعلامية معلومات داخلية وخارجية ، وتتخذ أشكالا مختلفة ، تتراوح بين نصف الصفحة والأربع صفحات . كما ترسل بالبريد نشرتين دوريتين - غير يوميتين - تختص الأولى بالأحداث الثقافية والثانية بالرياضة . ويشترك فيها عدد ضخم من الصحف اليومية وغير اليومية من مستوى البرافدا والازفستيا حتى مستوى صحف الأحياء الصغيرة .

وكالة نوفوستى والعالم العربى :

وترتبط وكالة نوفوستى مع العديد من الوكالات والصحف ودور النشر والاذاعة والتليفزيون وغيرها من المؤسسات الاعلامية بعقود واتفاقيات ، كتلك التى أبرمتها الوكالة مع وكالات رويترز والأسوشيتد برس واليونيتد برس والأنبـاء الفرنسـية . وقد وقعت هذه الوكالة السـوفييتية اتفـاقا مع وكالة أنبـاء الشرق الأوسط المصرية لتبادل المعلومات ، كما قامت بعقد اتفاقات مماثلة مع دور الصحف العربية كالأهرام والأخبار والجمهورية ، ويتم تبادل المواد الاعلامية بالمبرقات الكاتبة وبالبريد .

وتهتم وكالة نوفوستى باعطاء القارىء العربى فكرة واضحة عن الحياة فى الاتحاد السـوفييتى بمختلف جوانبهـا ، كما تقوم بالكتابة للصحف السوفييتية عن انجازات جمهورية مصر العربية وغيرها من دول العـالم العربى فى شتى الميـادين السياسـية والاجتماعية والثقافية . وهكذا تلعب الوكالة دورا رئيسيا فى دعم العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والعالم العربى .

فاذا أخـذنا مكتب وكالة نوفوستى فى القـاهرة كمثال يبين طريقة العمل ، وجـدنا أنه ملحق بمكتب الصحافة السوفييتى ،

ومزود بجهاز مبرق كاتب(١) مباشر يتصل بموسكو ، وفى نفس الوقت يتصل بجهاز آخر بوكالة أنباء الشرق الأوسط ، التى تتلقى خدمات اعلامية من وكالتى تاس ونوفوستى .

ويستعين مدير الوكالة بالقاهرة بعدد من المترجمين العرب . كما يقوم المكتب بطبع وتوزيع كافة المطبوعات السوفييتية التى توزع بالمركز الثقافى السوفييتى وبمكتب الصحافة التابع للسفارة السوفييتية بالقاهرة . وتتناول هذه المطبوعات التى تشمل النشرات الصحفية والكتيبات والمجلات المصورة والكتب العلمية كافة جوانب الحياة فى الاتحاد السوفييتى ، وتركز بصفة خاصة على انجازات ثورة البروليتاريا هناك ، وعلى نجاح النظام الشيوعى فى تحقيق حياة أفضل لملايين الناس فى الاتحاد السوفييتى .

وتطبق هذه المطبوعات بطريقة عملية المبادىء التى نادى بها لينين وتعريفه لأجهزة الصحافة والنشر بأنها « أجهزة جهاد وكفاح ، تمد القارىء بأخبار منظمة وصادقة ، وتقوم بتحليل هذه الأخبار ودراستها دراسة عقلية لكى تصل آخر الأمر الى نتائج صحيحة فيما يختص بالحركة العمالية ، وعليها كذلك أن تسهر على مراعاة المبادىء الشيوعية فى مجالات العلوم والفنون والآداب . وأن تشرح على ضوء الاشتراكية العلمية جميع الأحداث التى يمكن أن تقع فى حياة العمال(٢) » .

---

(١) Teleprinter.

(٢) د. عبد اللطيف حمزه ـ الاعلام له تاريخه ومذاهبه ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٦٥ صفحة ١٨٠ ـ ١٨١ .

وتنشر هذه المطبوعات باللغات الروسية والانجليزية والفرنسية والعربية ، ويوزع أغلبها مجانا . وهى تمتاز بطباعتها الفاخرة واخراجها الذى يغلب عليه اللون الأحمر • وهى تمثل فى مجموعها حصيلة معلومات هائلة عن الاتحاد السوفييتى بكل انجازاته العلمية والاقتصادية فى مجالات الصناعة والزراعة والكهرباء والصحة والتعليم والضمان الاجتماعى وغيرها •

وتتحدث بعض هذه المطبوعات عن الخطط الخمسية فى الاتحاد السوفييتى ، وزيادة الانتاج ، والجهود التى يبذلها الشعب لانجاح تلك الخطط ، ويتحدث بعضها الآخر عن التعاونيات الزراعية لتحقيق الاشتراكية ، وابراز المبدأ القائل أن الأرض لمن يفلحها ، لأن هدف هذه المطبوعات هو اعطاء فكرة مشرقة عن جهود شعوب الاتحاد السوفييتى فى شتى الميادين ، والتأكيد على أن الاشتراكية هى الدافع الأول وراء هذه الانجازات ونجاحها •

ويتجاوز اهتمام المواد الاعلامية الى الدول الاشتراكية خارج الاتحاد السوفييتى مثل بلغاريا وبولندا والمجر وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وغيرها ، وتخصص نشرات ومطبوعات لبيان انجازات تلك الدول ودور الاشتراكية فى رقيها ونهضتها •

ويصدر مكتب وكالة نوفوستى فى القاهرة نشرة باسم « آخر الأنباء » ، وهى تتراوح بين أربع صفحات وعشرين صفحة ، تتضمن محتوياتها أخبار وموضوعات سياسية وتعليقات بأقلام بعض الكتاب والصحفيين السوفييت ، تتناول علاقات الاتحاد السوفييتى بالعالم العربى ، والموضوعات ذات الطابع الاقتصادى

الى جانب بعض القضايا السياسية العامة التى تهم القارىء العربى كقضايا التحرر والمخططات الاستعمارية وغيرها ٠

واستكمالا لهذه النشرات ، تقوم الوكالة بنشر كتيبات سياسية ، تتناول أحداث العالم من وجهة نظر الرأى العام السوفييتى ، وتعكس فيها موقف الحكومة وخط الحزب الشيوعى ٠ وعلى سبيل المثال ، أصدرت الوكالة بعض الكتيبات التى تتناول قضية العدوان الأمريكى الاستعمارى فى فيتنام ، وقضية العدوان الاسرائيلى على الأراضى العربية ، والنزاع السوفييتى الصينى ، بالاضافة الى البيانات التى تصدرها الحكومة واللجنة المركزية للحزب ٠

وتقوم وكالة نوفوستى أيضا باصدار المجلات المصورة التى تعبر عن جوانب الحياة والفكر والثقافة فى الاتحاد السوفييتى ٠ ولعل مجلة المدار التى تصدر نصف شهرية باللغة العربية فى بيروت وتوزع فى سوريا والمغرب والسودان وتونس والجزائر مثال واضح للاعلام السوفييتى فى العالم العربى ٠ ولما كانت بيروت تمثل مركز ثقل للدعاية الأمريكية ، وتنتشر فيها مختلف التيارات الفكرية ، وتعمد الدعاية الغربية الى غمر أسواقها بالمطبوعات عن طريق وكلائها فى لبنان ، ولما كانت هذه المطبوعات تمتاز بالاخراج الرائع الجذاب والسعر الزهيد الرمزى من أجل انتشارها على أوسع نطاق ، فقد اهتمت الدوائر السوفييتية باصدار هذه المجلة فى ثوب فاخر قشيب ، تلعب فيه الصورة دورا بارزا ، وتباع بسعر زهيد للغاية ، فتبلغ قيمة الاشتراك السنوى فى هذه المجلة ست ليرات نظير ٢٤ عددا ٠

وتهدف مجلة المدار الى الدعاية للقضية الشيوعية وانجازات المجتمعات الاشتراكية ، فنجد أنها تهتم بسيرة لينين وأعماله ، وتبين جوانب النشاط الاقتصادى والعلمى للاتحاد السوفييتى ، وتقدم الأجهزة الالكترونية ، ودور الآلات الحاسبة والميكنة الذاتية فى المجتمع السوفييتى وفى التعليم بجميع مراحله • وبهذا يمكن القول أن المجلة تقوم بتغطية صحفية شاملة لكل ما يمكن أن يكون موضع اهتمام من القارىء أيا كان مستواه الثقافى وميوله واهتماماته • ومن الطريف أن هذه المجلة تهتم بتشجيع تعلم اللغة الروسية فى دروس تفصيلية مسلسلة ، تضارع تلك الدروس التى تنشرها مجلة المستمع العربى البريطانية بعنوان « تعلم الانجليزية بالراديو » •

ولا يقتصر نشاط وكالة نوفوستى على المطبوعات ، اذ أنها تهتم كذلك باعداد الأفلام وتوزيعها وتبادلها مع المؤسسات الثقافية العربية • فالأفلام التعليمية تتناول الجوانب المتخصصة من التطبيقات العلمية والفنية فى مجالات الصناعة والزراعة وأبحاث الفضاء والبحار وغيرها • وهى تهتم بابراز نواحى التفوق التكنولوجى فى العلوم البحتة والتطبيقية فى الاتحاد السوفييتى •

والى جانب ذلك توزع الوكالة أفلاما تسجيلية عن انجازات الحزب الشيوعى فى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، فضلا عن الأفلام الدعائية التى تصور مدى تقدم القوات المسلحة السوفييتية ، وأوجه النشاط الأخرى كالرياضة والفنون والباليه والآداب والمسرح والسينما وغيرها •

وهكذا نرى أن وكالة نوفوستى هى وكالة دعاية وثقافة بالدرجة الأولى ، وهى وكالة شعبية تترك المجال الاخبارى

والرسمى لوكالة تاس الحكومية . وهى تعمل من خلال خطة الاعلام السوفييتية وأهدافه لخدمة القضية الشـيوعية العالمية ، وابراز انجازات الدول الاشتراكية علميا واقتصاديا وثقافيا .

وتركز وكالة نوفوستى معظم نشاطهـا فى الدول النـامية ، وتقاوم الدعاية الغربية فيها ، وتسعى لتوطيد الصداقة بين شعوب الاتحاد السوفييتى وشعوب آسيا وأفريقيا ومنطقة العالم العربى . فوكالة نوفوستى هى وكالة معلومات وثقافة ودعاية أكثر منهـا وكالة أنباء ، ولذلك فانها تكمل دور وكالة تاس وتدعمه .

الباب السابع

وكالة أنباء الشرق الاوسط والوكالات المحلية

رأينا فى الأبواب السابقة أن فى عالمنا المعاصر خمس وكالات كبرى ، تستخدم عددا كبيرا من المراسلين لجمع الأنباء فى معظم عواصم العالم ، وهذه الأخبار ترسل الى المراكز الرئيسية للوكالات ، حيث يتم تحريرها وصياغتها توطئة لتوزيعها على صحف العالم واذاعاته ودور التليفزيون وغيرها من المؤسسات الاعلامية خارج البلاد(١) • فقد رأينا أيضا أن ظروف التحضر والتقدم الاقتصادى قد هيأت الفرصة لظهور هذه الوكالات الاعلامية فى الفترة من سنة ١٨٣٥ الى سنة ١٩١٨ •

غير أن خطورة هذه الوكالات العالمية تكمن فى اتساع نطاق نفوذها ، والمدى البعيد الذى يمتد اليه توزيعها ، والآثار العميقة التى تحدثها فى الرأى العام •• وسواء كانت هذه الوكالات تقع تحت سيطرة الحكومات أو تحت نفوذ الاحتكارات الاقتصادية ، فانه مما لا شك فيه أنها تمارس احتكارا اعلاميا وفكريا بعيد المدى على عقول مئات الملايين من البشر الذين يتلقون أخبار الوكالات من خلال الصحف والاذاعات وغيرها •

---

(١) Pierre Denoyer, La Presse Moderne, Chapitre 3, p. 32.

والحقيقة أن الوكالات العالميــة تعمل فى خــدمة السياســة والاقتصاد بالدول الكبرى، وتتجاهل أنباء الدول الصغيرة ، حديثة الاستقلال ، التى وجدت أن الوكالات العالمية تشكل خطرا كبيرا على حرية التعبير والصحافة ، ولذا رأت هذه الدول أن تقــوم بانشاء وكالات محلية تكون لها القدرة على خدمتها ، والتعبير عن رأيها فى الداخل والخارج ٠

والوكالة المحلية تقوم بنشاطهــا على نطاق أضيق بكثير من الوكالة الدولية ، نظرا لضعف امكانياتها ٠ وبعض هذه الوكالات المحلية قد نجح نجاحا كبــيرا كالوكالة الألمانية ــ دويتشى بريسى آجنتور(١) والوكالة الايطالية أنسا(٢) ، فالأولى ترسل أخبارها الى أمريكا الجنوبية ، والثانيــة تذيع بعض أخبــارها فى أمريكا الشمالية ٠

غير أن معظم الوكالات المحلية تنشر خدماتها الصحفية بطريقة تكمل بها الأنبــاء العالميــة التى تتلقاها من الوكالات الكبرى ٠ والحقيقة أن كثيرا من الوكالات العالمية تســتغل الوكالات المحلية لصالحها ، وتحتويها للقيام بالدعاية لنشراتهــا ٠ وتحت ســتار التوزيع الحر للأنباء ، نجد أنها تسخر امكانيات الوكالات المحلية لتحقيق أغراضها ، حتى صارت الوكالات الصغيرة أبواقا للوكالات الكبيرة ، ومن السخرية أن تصبح الوكالات المحلية عونا للوكالات العالمية لنشر أخبارها ٠

وتسمح الوكالات الكبيرة للوكالات الصغيرة بأن تنشر أخبارها بأسمها المحلى ، وهى لا تمــانع فى ذلك لأنها تريد لأخبــارها أن

---

(١) Deutsche Presse Agentur.

(٢) Agenzia Nazionale Stampa Associata.

تنتشر على أوسع نطاق ممكن ، حاملة دعاية الدولة سياسيا واقتصاديا وأيديولوجيا · ويبلغ عدد الوكالات المحلية نحو المائتين ، ولكن العدد الأكبر منها قد أنشىء فى الخمسينات والستينات من هذا القرن ، وهى مراحل استقلال معظم الدول الأفريقية والآسيوية ·

فمنذ سنة ١٩٥١ حتى الآن نشأ عدد كبير من الوكالات فى الدول حديثة الاستقلال ، وخاصة فى أفريقيا · وتتخذ غالبية هذه الوكالات شكل جميعات تعاونية للصحف ، أو شركات تجارية تشترك الصحف فى نشراتها ، ونادرا ما تتخذ هذه الوكالات شكل المؤسسات أو الهيئات التابعة للدولة مباشرة ، وان كانت فى حقيقة الأمر لها علاقات وثيقة بالسلطة السياسية ، ولكنها لا تعترف بذلك صراحة ·

ويلاحظ أن الوكالات المحلية فى أوروبا تتخذ شكل اتحاد يطلق عليه اسم « الرابطة الأوروبية لوكالات الأنباء(١) » · وقد أنشئت هذه الرابطة فى مدينة ستراسبورج التى تعتبر مقر المجلس الأوروبى والبرلمان الأوروبى والأمل فى وحدة أوروبا الغربية · وكان انشاء هذه الرابطة فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٧ وتضم وكالات ألمانيا الغربية(٢) والنمسا(٣) وبلجيكا(٤)

---

(١) L'Alliance Europeenne des Agences de Presse.

(٢) Deutsche Presse Agentur (D. P. A.).

(٣) Austria Presse Agentur (A. P. A.).

(٤) BELGA.

والدانيمـــارك(١) وأسبانيـــا(٢) وفنلنـــدا(٣) وفرنســـا(٤) واليـــونان(٥) وايطاليـــا(٦) والنرويج(٧) وهولنـــــدا(٨) والبرتغـــال(٩) والســـويد(١٠) وسويسرا(١١) وتركيـــا(١٢) ويوغوسلافيا(١٣) .

ونلاحظ أن وكالة رويترز لم تنضم الى هذه الرابطة ، بحكم أنها تتكون من مجموعة من الوكالات المحلية ، بعضها فى الكومنولث البريطانى ، فى حين أن وكالة الأنباء الفرنســية قد انضمت الى الرابطة تضامنا مع القارة الأوروبية . ولا شك أن هذين الاتجاهين يعكسان تماما الموقف السياسى والاقتصـــادى لكل من بريطانيـــا وفرنسا تجاه القارة . ففرنسا تتزعم حركة الاستقلال الأوروبى وتعتبر نفسهـــا زعيمه لها ، وخاصة فى عهـــد الرئيس الراحل

---

(١) Ritzaus Bureau (R. I. T. - BUR).

(٢) Agencia Efe (E. F. E.).

(٣) Suomen Tietotoimisto - Finska Notisbyrau (S. T. T. - F. N. B.).

(٤) Agence France Presse (A. F. P.).

(٥) Agence d'Athenes (A. A.).

(٦) Agenzia Nazionale Stampa Associata (A. N. S. A.).

(٧) Norsk Télégrambyra (N. T. B.).

(٨) Algemeen Nederlandsch Persbureau (A. N. P.).

(٩) Agencia de Noticias e de Informacoes.

(١٠) Tidningarnas Téeégrambyra.

(١١) Agence Télégraphique Suisse.

(١٢) Anadolu Ajansi (A. A.).

(١٣) Télégrafaska Agenciya Nova Jugoslavīya (T.A.N.U.G.).

ديجول ، ولكن بريطانيا كانت تقف من أوروبا ومن السوق المشتركة موقفا متحفظا بحكم علاقاتها بأمريكا وبالكومنولث ٠ ولعل تغير موقف بريطانيا الأخير على الصعيدين السياسى والاقتصادى يؤثر كذلك فى موقفها من الرابطة الأوروبية لوكالات الأنباء ٠

والحقيقة أن الوكالات الأوروبية ذات تاريخ طويل ، فالوكالة الألمانية قد خلفت وكالة ولف القديمة سنة ١٩٤٩ ، كما أن الوكالة البلجيكية أنشئت سنة ١٩٢٠ ٠ وخلفت وكالة آنسا الايطالية وكالة ستيفانى القديمة التى كانت تعمل منذ سنة ١٨٥٣ ثم خلفتها آنسا سنة ١٩٤٥ ٠ وفى سويسرا وكالة أنباء على جانب كبير من الأهمية هى الوكالة التلغرافية السويسرية(١) التى تأسست سنة ١٨٩٤ ٠

الوكالات المحلية فى آسيا وأمريكا اللاتينية :

وفى آسيا عدد كبير من الوكالات المحلية منها وكالة باختر(٢) الأفغانية التى أنشئت فى كابول سنة ١٩٣٩ ، وهى وكالة تابعة للدولة وتمثل أحد الأقسام الأربعة لوزارة الاعلام الافغانية ٠ وتقوم هذه الوكالة بتوزيع أخبارها على الصحف بدون مقابل باللغتين الفارسية والبوشتو ٠ ولها مندوبون فى احدى عشرة مدينة ، فضلا عن ارتباطها باتفاقيات التبادل مع وكالات الأنباء الفرنسية واليونيتد برس والوكالة الهندية وانتارا الأندونيسية ووكالة الصين الشعبية وتاس وغيرها ٠

---

(١) Agence Télégraphique Suisse.

(٢) Bakhtar.

وفى الصين الشعبية وكالة الصين الجديدة للأنباء (صينهوا) التى أنشئت فى يناير سنة ١٩٤٤ ، كما أن للصين الوطنية وكالة رئيسية(١) أنشئت فى كانتون سنة ١٩٢٤ ، فضلا عن ست وكالات أخرى صغيرة · وفى الهند وكالتان للأنباء ، وهما بريس ترست أوف انديا ، المؤسسة سـنة ١٩٠٥ وقد اشترتها رويترز سـنة ١٩١٥ ، ووكالة يونيتد برس أوف انديا ، التى أسست فى كلكتا سنة ١٩٣٣ · فضـلا عن وكالة الأسوشيتد برس أوف انديا التى أنشئت سنة ١٩١٠ واشترتها رويترز سنة ١٩٣١ ·

وتوجد فى أندونيسيا وكالتان هما انتارا ، المؤسسة سـنة ١٩٣٧ ، وأنيتا التى أنشئت سـنة ١٩١٧ · وفى ايران وكالة بارس المنشأة سنة ١٩٣٤ · أما فى اليابان فتوجد ثلاث وكالات للأنباء وهى : جيجى برس(٢) وتأسست فى طوكيو سنة ١٩٤٥ ، ووكالة كيودو(٣) التى خلفت وكالة دوماى سنة ١٩٤٥ ، وكذلك وكالة راديو برس(٤) المؤسسة سنة ١٩٤٥ أيضا ·

أما وكالة اسـوشيتد برس الباكسـتانية فقد أنشئت سـنة ١٩٤٩ · وفى الفيلبين وكالة أنباء تأسست سنة ١٩٥٠ · وهناك وكالتان فى تركيا هما وكالة الأناضول(٥) التى بدأت عملهـا فى أنقرة سنة ١٩٢٠ ووكالة ترك(٦) التى أنشئت سـنة ١٩٥٠ ·

---

(١) Central News Agency (C. N. A.).

(٢) Jigi Press, Ltd (J. P.).

(٣) Kyodo News Service.

(٤) Radio press.

(٥) Anadolu Ajansi (A.A.)

(٦) Turk Havadis Ajansı.

وفى بورما وكالة(١) تأسست سنة ١٩٤٧ . وفى فيتنام(٢) وكالة أنشئت سنة ١٩٥١ ، كما أن فى كوريا وكالة أنشئت سنة ١٩٤٥ .

وفى اسرائيل وكالتان للأنباء ، أما الوكالة الأولى فهى وكالة « اتيم(٣) » ذات الطابع التعاونى ، ويتجه نشاطها على أساس أنها وكالة محلية ، ويقع مركزها الرئيسى فى تل أبيب ، ولها مكاتب فى القدس واللد وحيفا ، ولها مكاتب فى أكرا ورانجون . وتستخدم فى نشراتها اللغات العبرية والانجليزية والفرنسية ، ولها خدمة اقتصادية خاصة من نوع « الكومتيل » ، كما تقوم باصدار نشرات أسبوعية توزع بالبريد الجوى وتتبادلها مع الوكالات الأفريقية والآسيوية فى أكثر من ٤٢ قطرا .

أما الوكالة الاسرائيلية الأخرى فهى وكالة أنباء اسرائيل(٤)، وتقع فى تل أبيب أيضا وهى شركة عامة تساهم فيها عدة هيئات يهودية مثل وكالة أنباء تلجراف اليهودية فى نيويورك ووكالة تلجراف اليهودية فى لندن وهيئة الاذاعة الاسرائيلية ، فضلا عن الكثير من الصحف المحلية والخارجية . ولهذه الوكالة مراسلون فى لندن ونيويورك وواشنطن وغيرها من العواصم الكبرى ، كما تتبادل النشرات مع الوكالات العالمية الخمس .

وقد أنشئت وكالة الأنباء العراقية فى سنة ١٩٥٩ ، وهى مؤسسة رسمية ترتبط بوزارة الاعلام ، ولها ميزانية حكومية خاصة بها . وبدأت الوكالة بأربعة أقسام رئيسية هى : قسم الأخبار الداخلية وقسم الأخبار الخارجية ، وقسم المعلومات والقسم

---

(١) Burma Press Syndicate Ltd.

(٢) Viet - Nam Presse (V. P.).

(٣) I. T. I. M.

(٤) I. N. A.

الفنى ، ويعتبر موظف الوكالة بالخارج دبلوماسيا ، يتمتع بحصانة الموظفين الدبلوماسيين . وللوكالة مكاتب رئيسية فى بيروت وعمان والكويت ، كما أن لها مكاتب محلية فى البصرة والموصل وكركوك. وقد وقعت الوكالة العراقية اتفاقية تبادل أنباء وصور مع ألمانيا الشرقية سنة ١٩٦١ .

وفى أمريكا اللاتينية عـدة وكالات محليـة أقدمهـا وكالة نوتيسيوزا سابوريتى(١) التى تأسست فى بيونس أيرس عاصمة الأخبار الخارجية ، وقسم المعلومات والقسم الفنى . ويعتبر موظفه الأرجنتين سـنة ١٩٠٠ . وفى بيونس أيرس وكالة أخرى هى تيلنوتسيوزا الأمريكية التى يعود انشاؤها الى سنة ١٩٤٦ . وفى البرازيل وكالة أنباء واحدة هى ميريديونال(٢) التى أنشئت فى ريودى جانيرو سنة ١٩١٣ وهى تخدم عشرين جريدة وثمـانى عشرة محطة اذاعة .

وفى جمهورية شـيلى وكالتان للأنبـاء تعرف الأولى باسـم نوتيسيورا كوبوراسيون دى بيريوديستاس(٣) وقد تأسست سنة ١٩٤٨ والثانية نوتيسيوزا برنسا(٤) وقد أنشئت سنة ١٩٤٥ . وفى أورجواى ، توجد وكالة ناسيول دى انفورماسيونيز المنشأة فى مونتفيـديو سـنة ١٩٤٥ ، وفى فنزويلا وكالة برنسـا فنزويلانا(٣) التى تأسست فى كراكاس سنة ١٩٤٠ .

---

(١) Agencia Naticiosa Saporiti (A. N. S.).

(٢) Agencia Meridional Ltd.

(٣) Agencia Noticiosa Corporation de Periodistas.

(٤) Agencia Noticiosa Prensa, Rdio Y Cine.

(٥) Prensa Venezolana.

ويوجد فى كولومبيا خمس وكالات للأنباء أنشئت سنة ١٩٥٥ فى العاصمة بوجوتا ، وكان استخدام خدمات التلكس من المراكز الرئيسية فى كولومبيا تعبيرا عن تطور هذه الوكالات . كما توجد فى كوبا وكالة أنباء « برنسا لاتينا » ولها ارتباطات بعدة وكالات عالمية ومحلية .

وكالات الأنباء الأفريقية :

وفى أفريقيا عـدد كبير من الوكالات المحلية ، أقدمها وكالة ساوث أفريكان بريس أسوسيشن(١) التى أنشئت فى جوهانسبرج باتحاد جنوب أفريقيا سنة ١٩٣٨ . ومعظم الوكالات الأفريقية المحلية قد نشأت بعد الاستقلال فى الستينات ، مثل وكالة أنبـاء الكميرون (١٩٦٠ (٢)) ووكالة أنبـاء الكونغو(٣) (زائيرى) التى أنشئت سنة ١٩٦٠ . ووكالة داهومى(٤) (١٩٦١) ووكالة جابون(٥) التى أنشئت سنة ١٩٦١ أيضا ، ووكالة أنباء غبنيا(٦) التى تأسست فى كوناكرى سنة ١٩٦٠ .

وهناك وكالة أنبـاء فى كينيا أنشأتهـا الدولة سنة ١٩٦٣ بالعاصمة نيروبى . كما أنشئت وكالة أنباء السنغال(٧) سـنة ١٩٥٩ بالعاصمة داكار بناء على قرار من الحكومة . وفى الصومال وكالة أنباء يرجع تاريخ تأسيسها الى سنة ١٩٥٥ . وفى غانا(٨) وكالة أنباء أنشئت سنة ١٩٥٧ كجزء من وزارة الاعـلام ، ثم

---

(١) S. A. P. A.
(٢) A. C. P.
(٣) A. C. P.
(٤) A. D. P.
(٥) A. G. I.
(٦) A. G. P.
(٧) A. P. S.
(٨) G. N. A.

اتخذت شكلا تعاونيا ابتداء من سـنة ١٩٦٠ واختير لها مجلس ادارة تمثل فيه الصحف والحكومة · أما فى أثيوبيا فقد تأسست وكالة الأنباء الدولية(١) سنة ١٩٦١ بمساعدة وزارة الاعلام · وقد أقامت جمهورية وسط أفريقيا وكالة تحمل اسمها سنة ١٩٦١ وتشرف عليها الدولة ·

ولم تتخلف الدول العربية فى أفريقيا عن الركب ، فقد نشأت فى المغرب(٢) وكالة سـنة ١٩٥٩ ، وفى الجزائر(٣) وتونس(٤) وكالتان يرجع تاريخ تأسيسهما الى سنة ١٩٦١ ، وفى السودان وكالة أنباء بدأت العمل سـنة ١٩٦٠ . كمـا أن فى ليبيا وكالة أنشئت سنة ١٩٦٥ · غير أن أقدم هذه الوكالات العربية جميعا هى وكالة أنبـاء الشرق الأوسط . وسنتحدث عنهـا بشىء من التفصيل ·

والحقيقة أن مصر قد تنبهت الى أهمية وكالات الأنباء منـذ زمن طويل . كما أدركت أن دور هذه الوكالات فى التوعية الداخلية والاعلام الخارجى دور خطير لنشر المعـلومات الصحيحة الوافية ، وتصحيح الأخطاء التى تنشر عمدا أو عن غير قصد للنيل من كفاح الأمة فى صراعها الطويل من أجل التحرر والتقدم والتنمية ·

وقد طالب الدكتور محمد حسين هيكل منذ العقد الثالث من هذا القرن بضرورة انشـاء وكالة أنباء مصرية لمقاومة الدعاية الاستعمارية ، ولمكافحة الأوضـاع الاحتكارية لوكالات الأنبـاء العالمية · ولعل أول محاولة لانشاء وكالة مصرية للأنباء قد تحققت

---

(١) I. P. A   (٢) M. A. P

(٣) A. P. S.   (٤) T. A. P.

سنة ١٩٥٠ ، عندما أنشأ الدكتور حسنى خليفة وكالة الأنباء المصرية التى كانت تنشر نشرة صباحية باللغة الانجليزية تلخص الأخبار والآراء التى تنشرها الصحف المصرية ، والواقع أن خدمات هذه الوكالة كانت موجهة لخدمة السفارات والهيئات الأجنبية التى تريد أن تعرف الكثير عما تنشره الصحافة المصرية ٠

وأصدرت وكالة الأنباء المصرية أيضا نشرة أسبوعية لنفس الغرض ، اذ أنهـا كانت تحتـوى على عرض أسـبوعى باللغـة الانجليزية للأخبـار والتحقيقات والمقالات ، فضـلا عن تحليل لاتجاهات تلك الصحف ٠ ثم وسعت الوكالة من نشاطها ، واهتمت بالسودان ، حيث كانت تنشر فى الخرطوم نشرتين يوميتين تتضمنان أنباء مصر ، ومن ناحية أخرى كانت تصـدر فى القـاهرة نشرة أخرى عن أخبار السودان ٠

ومع أن هذه الوكالة كانت تتلقى اعانات ماليـة من وزارة الارشاد القومى المصرية ، فانها كانت تريد أن تحقق أكبر ربح يمكن من جميع الأطراف المعنية بأخبارها ، وأخذت تنشر أخبارا غير دقيقة وخاصة عن السودان ، مما اضطر الحكومة المصرية الى حجب الاعانة عنهـا ، وسحب رخصتهـا فى منتصف أكتـوبر سنة ١٩٥٤ ٠

وهناك محاولة أخرى لانشـاء وكالة أنبـاء مصرية قام بها عبـد المنعم الصـاوى سنة ١٩٥٣ ، عنـدما أسس « مكتب مصر للصحافة » ، وكان يوزع أخبـارا بالعربيـة والانجليزية ثلاث مرات فى الأسبوع ٠ ولكن خدمات هذه الوكالة كانت شبيهة بوكالة الأنباء المصرية سابقة الذكر لأنها اعتمدت على التلخيص والترجمة

فى بداية الأمر · وليس هذا غريبـا ، فقد رأينـا أن الوكالات العالمية نفسها ـ مثل رويترز وهافاس وولف ـ قد بدأت باقتباس النبذ الاخبارية من الصحافة وترجمتها ·

وقد تطور العمل فى هذه الوكالة التى أصبح اسمها « وكالة مصر » فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ ، وأصبحت توزع نشراتها مرتين أو ثلاثة فى اليوم ، ووجهت الأنظار الى أهم حدث تاريخى فى تلك الفترة وهو جلاء القوات البريطانية عن مصر ، وما كادت تنتهى من تغطية أخبار هذا الحدث وتطوراته ، حتى وجدت أنها قد لفتت اليها أنظار الرأى العام الداخلى والخارجى على السواء ، حتى أن بعض المراسلين الأجانب كانوا ينقلون الأخبار عنها · واتضح على الفور أن الظروف السياسية والاقتصادية الجديدة التى تمر بها مصر والعالم العربى تحتم انشاء وكالة جديدة للأنباء ذات نشاط كبير ، يتناسب مع هذه التطورات الضخمة للسياسة العربية ·

وكالة أنباء الشرق الأوسط :

وفى شهر يناير سـنة ١٩٥٦ ، صدر قانون بانشاء شركة وكالة أنباء الشرق الأوسط ، وهى شركة مساهمة رأس مالهـا عشرون ألف جنيه ، وقد ساهمت صحف الأهرام ودار أخبار اليوم ودار الهلال ودار التحرير فى انشائها ، وكان مجلس ادارتهـا يتكون من أعضاء يمثلون هذه الصحف وهم : جلال الدين الحمامصى وأحمد قاسم جودة وأمين أبو العينين عن دار التحرير وبشارة تقلا عن الأهرام ومصطفى أمين عن أخبار اليوم وشكرى زيدان عن دار الهلال ·

وكانت وكالة أنباء الشرق الأوسط مؤسسة فردية فى سنة ١٩٦٢ . عندما تنازل عنها أصحابها بما لها وما عليها فى ٤ ابريل سنة ١٩٦٢ دون مقابل اعتبارا من أول يناير سنة ١٩٦٢ . ثم صدر قرار مجلس ادارة المؤسسة العامة للأنباء والتوزيع فى ٢٨ مايو سنة ١٩٦٢ ، وكان من بين مهام هذه المؤسسة الاشراف على وكالة أنباء الشرق الأوسط . وفى العاشر من فبراير سنة١٩٦٤ ، صدر قرار مجلس ادارة المؤسسة رقم ٦ بالترخيص لوكالة أنباء الشرق الأوسط بالاستمرار فى العمل كشركة مساهمة متمتعة بجنسية الجمهورية العربية المتحدة باسم « شركة وكالة أنباء الشرق الأوسط » .

وقضت المادة الثالثة من القرار المذكور على أن غرض الشركة هو « نشر جميع الأخبار فى البلاد المختلفة عن طريق مكاتبها فى الخارج والموجودة فى مختلف البلاد العربية والأجنبية ، وذلك بواسطة الأجهزة المركبة فى مركزها الرئيسى وفى مكاتبها فى الخارج لارسال واستقبال الأخبار الصحيحة ، وكذلك تنوير الرأى العام بالجمهورية العربية المتحدة بالأنباء الداخلية والخارجية لايقافه على مختلف التيارات العالمية ومحاربة الأخبار المدسوسة والمغرضة ضد الجمهورية العربية المتحدة والعالم العربى ، كما تقوم بطبع واصدار الصور والأفلام عن الأحداث العالمية وتوزيعها بواسطة مكاتبها » .

والذى يستلفت النظر هو أن الوكالة عاشت فترة غير قصيرة تعمل فى كنف القطاع الخاص ، ومع ذلك فان الدولة لم يفتر اهتمامها بها . بل امتدت العناية بها حتى مطلع سنة ١٩٦٢ . وكانت الدولة تعبر عن هذا الاهتمام فى صورة اعانة تؤديها الى

الوكالة ، غير أن الدولة قد رأت فيما بعد ـ لاعتبارات قومية ـ أن تمد يدها الى هـذه الشركة باشراف ورقابة أشـمل فألحقتها بالقطاع العام منذ بداية سنة ١٩٦٢ .

وقد بلغت هـذه الوكالة أوج نشاطهـا وعنفوان مجدها فى الفترة الواقعة بين سنتى ١٩٦٤ وسنة ١٩٦٦ ، وفى ذلك الوقت كانت تغطى معظم الأخبار العربية والافريقية وخاصـة أخبار المؤتمرات الدولية التى عقدت فى تلك الفترة بالذات . ثم جاءت ظروف العدوان الغاشم سنة ١٩٦٧ ، وبدأ مركز الوكالة يهـتز بعنف حتى صدر قرار بتصفيتها ، وانشاء وكالة جديدة أطلق عنيها « الصحافة العربية المتحدة » تشترك فيها مؤسسة الأهرام ومؤسسة أخبار اليوم ودار المعارف والوكالة المزمع انشاؤها لتكون فيما بينها هيئة واحدة أو مؤسسة يطلق عليها اسم الصحافة العربية المتحدة ـ ص.ع.م .

الا أن هذا الاتجاه لم يكتب له البقاء ، اذ سرعان ما عادت الدولة بعد شهور قليلة الى وقف تصفية الوكالة ، ومهدت لاعادة تنظيمها ، وتوفير الجـو المناسب لتحقيق أغراضهـا ، لأن وكالة الأنباء المحلية تبذل جهدا أساسيا فى نقل وجهة نظر الدولة الى المؤسسات الاعلامية المحلية والدولية . وكان اهتمام الدولة بوكالة أنباء الشرق الأوسط انعكاسا لادراك الدولة مدى الأهمية التى تعلقها الدول الحديثة على وكالات الأنباء .

وقد رأينا أن الوكالة كانت شركة من شركات القطاع العام تابعة للمؤسسة العامة للأنباء والتوزيع ، جنبا الى جنب مع شركة الدار القومية للطباعة والنشر ، والشركة المصرية العامة للتوزيع .

غير أنه رؤى فى سنة ١٩٦٥ أن تكون مستقلة عن المؤسسة بعد تبعيتها لوزارة الثقافة ، بحيث تصبح الوكالة جهازا مستقلا تابعا لوزير الارشاد القومى مباشرة • وفى التنظيم الأخير لوزارة الاعلام ، وهو التنظيم الصادر سنة ١٩٧١ ، أصبحت وكالة أنباء الشرق الأوسط تابعة لاتحاد الاذاعة والتليفزيون •

ولا يفوتنا أن ننوه هنا بأمر جدير بالاعتبار هو أن وكالة أنباء الشرق الأوسط ، فى كل ما تقوم به من أعمال ، انما تقوم به منفردة ، اذ هى الوكالة الوطنية الوحيدة ، بشكل جعل النظر يتجه اليها فى المجال العالمى على أنها وكالة الأنباء الرسمية لجمهورية مصر العربية ، نظرا لامتلاك الدولة كامل رأسمالها • كما لاحظنا من قبل أن معظم الوكالات المحلية الناشئة فى الدول حديثة الاستقلال — وخاصة فى أفريقيا — لها علاقات وثيقة بالدولة •

أهداف وكالة أنباء الشرق الأوسط :

وتستهدف وكالة أنباء الشرق الأوسط الى تحقيق الأهداف التالية :

أولا — الحصول على الأنباء من مختلف المصادر الداخلية والخارجية واعادة تسويقها محليا وعالميا •

ثانيا — الحصول على الأنباء العالمية والمحلية وتصنيفها واصدارها وتوزيعها بما يضمن سرعة وصولها صادقة وكاملة الى من يحتاج الى هذه الخدمة •

ثالثا ـ تحليل الأنباء والمعلومات واعداد التعليقات والدراسات بما يهم الرأى العام المحلى والعالمى ، واصدارها وتسويقها بشتى الوسائل •

رابعا ـ استخلاص اتجاهات الرأى العام من مختلف المصادر •

خامسا ـ اصدار النشرات النوعية بلغات مختلفة ، بغرض اطلاع الرأى العام المحلى والعالمى على مختلف الاتجاهات ، على أن تتخذ هذه النشرات شكلا صالحا للتوزيع والتسويق •

سادسا ـ القيام بالتحقيقات الصحفية لتغطية الموضوعات التى تهم الرأى العام وتسويقها •

سابعا ـ تطوير الأحداث المحلية والعالمية واعدادها للتوزيع بأسرع وسيلة ممكنة ، لضمان وصولها فى الوقت المناسب •

ثامنا ـ اعداد وتسويق الأفلام التليفزيونية الاخبارية عن الأحداث المحلية والعالمية •

تاسعا ـ تبادل خدمات الوكالة مع أجهزة الاعلام المحلية والعالمية ، وذلك عن طريق عقد اتفاقيات التبادل والاشتراك والنقل والتسويق •

عاشرا ـ القيام بخدمات لأجهزة الدولة والوزارات وذلك عن طريق مكاتبها ومراسليها فى الداخل والخارج •

وبالفعل تم الاتفاق مع كثير من الوكالات العالمية والمحلية على تبادل الأنباء والصور والأفلام والنشرات • فهناك اتفاقات مع

وكالات تاس ونوفوستى بالاتحاد السوفييتى ، ونورسك بالنرويج وانترفوتو بالمجر وكاف ببولندا وسيفوا بأسبانيا ونوردسك بالدانمرك وآجر برس برومانيا وتشيتكا بتشيوكوسلوفاكيا وكيودا باليابان وتانيوج بيوغوسلافيا .

كما تم الاتفاق مع كثير من الوكالات العربية لامدادها بنشرة الوكالة وتبادل الأخبار والصور والأفلام ، وفيها وكالة الأنباء الليبية والوكالة العراقية ووكالة الأنباء السورية ، كما عقدت اتفاقيات مماثلة مع محطات التليفزيون بالعراق والكويت وسوريا ولبنان وهامبورج بألمانيا الغربية .

هذا وقد تم التعاقد مع وكالة الأنباء الفرنسية ووكالة رويترز ووكالة أنباء ألمانيا الغربية لاستقبال نشراتها وترجمتها وتوزيعها نظير مبالغ تدفعها هذه الوكالات . والحقيقة أن هذا النشاط سلاح ذو حدين . فهو يدر على الوكالة ايرادا من العملة الصعبة فى بعض الأحيان ، ولكنه فى مقابل ذلك يضع كل امكانيات الوكالة المادية والهندسية والبشرية فى خدمة هذه الوكالات الأجنبية للاستقبال والتعريب والتوزيع ، وهكذا يعمل الفنيون والصحفيون والاداريون جميعا لتحقيق أغراض وكالات أجنبية . كثيرا ما تكون نشراتها دعائية فى مجموعها ، بل ان دعايتها ــ فى أغلب الأحيان ــ لا تتفق مع المصالح العربية .

فهل تسخر الوكالة العربية الناشئة امكانياتها جميعا لخدمة وكالات أجنبية ؟ وهل هذا هو السبب الحقيقى الذى من أجله أنشئت الوكالات المحلية القومية ؟ ان العكس هو الصحيح ، وقد

بذلت الوكالات العالمية ـ ولا تزال تبذل ـ جهودا جبارة لتحويل الوكالات المحلية الى أبواق لها ، اما عن طريق الاحتواء أو عن طريق الاستمالة بالمال ، خاصة وأن معظم الدول حديثة الاستقلال تعانى من ندرة العملة الصعبة ٠

غير أننا نرى أن النقد الأجنبى ـ على أهميته وندرته ـ لا يساوى ترك هذه الوكالات الأجنبية تصول وتجول فى ميادين الاعلام ، ومن الخطر أن نعمل على تسهيل الأمور لها ، فى حين أن واجبنا هو اعطاء المعلومات الصحيحة والصادقة الدقيقة عن بلادنا وانجازاتنا ٠ ولا ينبغى لنا أن نستسلم للطعم الخبيث الذى تضعه الوكالات الأجنبية لاصطيادنا ٠

وثمة خطر آخر ينجم عن السماح لمراسلى الوكالات الأجنبية باستخدام شبكات وكالتنا القومية المحلية ٠ فكثيرا ما يقوم هؤلاء المراسلون بنشر الأخبار التى تؤكد وجهات نظر صحفهم ، ونحن نعلم أن الصحفى مقيد بسياسة صحيفته ، كما هو مقيد بسياسة بلده ووكالته ٠ فهل نسمح باستخدام شبكاتنا المصرية لنقل الدعاية الأجنبية المعادية لنا ؟ اننا لا نعادى حرية الاعلام ، ولكننا نضع مصالحنا القومية فوق كل اعتبار ، وهكذا يفعل الأوربيون والأمريكيون أنفسهم ، كما اتضح لنا من دراسة الوكالات فى بلادهم ٠

اتفاقيات الوكالة وانجازاتها :

ان وكالة أنباء الشرق الأوسط بحكم موقعها فى القاهرة تستطيع أن تقوم بعمل ايجابى اعلامى له شخصيته المتميزة

تماما عن سائر الوكالات ، وهو تغطية أخبار الشرق الأوسط والعالم العربي والأفريقي ، خاصة بعد أن كافحت هذه الوكالة ونجحت في توفير المقومات الهندسية والمعدات الفنية والكوادر الصحفية اللازمة لعمل الوكالات الحديثة .

لقد شقت الوكالة طريقها عندما افتتحت مكاتبها في العالم العربي ، فأنشأت في عمان وبيروت ودمشق وبغداد والخرطوم وطرابلس والجزائر والرباط وصنعاء والكويت مكاتب ناجحة ، كما اشتركت صحف هذه البلاد واذاعاتها في نشرات الوكالة . وقد كانت مديرية الاذاعة والصحافة والنشر بالمملكة العربية السعودية تقوم باستقبال نشرات الوكالة وتوزيعها على الصحف هناك ، غير أنه يرجى بعد أن أنشئت وكالة الأنباء السعودية في هذا العام أن تتبادل نشراتها مع وكالة الأنباء المصرية .

ولما كان عصب الحياة بالنسبة لوكالة الأنباء هو شبكة مواصلاتها السلكية واللاسلكية ، فقد نشطت وكالة أنباء الشرق الأوسط في بناء شبكتها الخاصة بها بعد أن كانت تعتمد على هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية . ومنذ سنة ١٩٦٢ ، بدأ التوسع الحقيقي لمد شبكة الوكالة في أوروبا وفي أفريقيا . وأصبح للوكالة خط أوروبي يمتد من القاهرة الى روما ثم ميلانو وبون وهامبورج . فضلا عن خط آخر يربط بين القاهرة والجزائر وباريس ، بالاضافة الى خطوط الاتصال بالعالم العربي .

غير أن نفقات هذه الشبكات المستأجرة كانت باهظة للغاية ، تنوء بحملها الوكالة . وفي سنة ١٩٦٤ ، أخذت وكالة أنباء الشرق الأوسط تسير على هدى خطة اعلامية على أسس موضوعية علمية .

فتقرر تنفيذ مشروع جديد يجعل طابع الوكالة عربيا أفريقيا ، ويخلق لها شخصية متميزة فى العالم • والفكرة وراء هذا المشروع تقوم على أساس دراسة الامكانيات ، واستحالة منافسة الوكالات العالمية فى عقر دارها ، فضلا عن التسهيلات العربية والافريقية التى يمكن أن تمنح لوكالة أنباء الشرق الأوسط بحكم وضعها السياسى والجغرافى •

وبالفعل ، نشطت الوكالة فى تنفيذ سياستها الجديدة ، وعقدت اتفاقيات تبادل مع الوكالات العالمية مثل تاس وتوفوستى وصينهوا وتانيوج ورويترز والأنباء الفرنسية وغيرها ، وأخذت تقصر خطوطها فى أوربا لتوفير النفقات الباهظة ، ثم بدأت تفتح مكاتب جديدة فى أفريقيا ، مع تعزيز مكاتبها فى العالم العربى ، وخاصة مكتب بيروت •

ويبدو أن نشاط الوكالة قد لفت أنظار العالم بعد أن تعددت النشرات الاخبارية وبلغ عدد ساعات ارسالها أكثر من ١٦ ساعة فى المتوسط ، ومع نهاية سنة ١٩٦٣ كانت الوكالة تملك شبكة خاصة لارسال الصور واستقبالها بالراديو ، وادراكا للأمكانيات الضخمة لهذه الوكالة العربية ، قرر مؤتمر وكالات الأنباء الافريقية الذى عقد فى تونس سنة ١٩٦٣ ، أن يعهد الى وكالة أنباء الشرق الأوسط دراسة امكانية انشاء وكالة أنباء أفريقية ، ومساعدة الوكالات الافريقية الناشئة على القيام بعملها • وقد قامت الوكالة بمهمتها وقدمت تقاريرها للمؤتمرات التى عقدت فى الجزائر والرباط وأكرا والكميرون على التوالى • وفى نفس الوقت تقدمت العراق بمشروع لانشاء وكالة أنباء للعالم العربى ، وقامت

وكالة أنباء الشرق الأوسط بدراسته فنيا وقدمت تقريرا عنه الى الجامعة العربية ·

وقد استطاعت وكالة أنباء الشرق الأوسط أن تلفت الأنظار اليها عندما نقلت نبأ اعتزام داج همرشلد زيارة الشرق الأوسط والقاهرة سنة ١٩٥٦ ، بعد زيارته لموسكو ، مما جعل السكرتير العام للأمم المتحدة يطلب تقريرا برقيا عن هذه الوكالة المصرية ، وقد أرسل له التقرير فى ألف كلمة · وسبقت الوكالة أيضا فى نشر اعتراف مصر بالصين الشعبية سنة ١٩٥٦ · وعندما قام يوثانت بزيارة القاهرة سنة ١٩٦٥ ، حرص على مقابلة رئيس مجلس ادارة الوكالة فى مقر الأمم المتحدة بالقاهرة . وناقشه حول دور وكالة أنباء الشرق الأوسط فى الاعلام الدولى ·

وكان يوثانت يعتبر وكالة أنباء الشرق الأوسط ، وكالة دولية لأنها تخدم منطقة جغرافية كبيرة هى العالم العربى وأفريقيا ، وكان يشجع على قيام هذه الوكالات الاقليمية الدولية ، حرصا على التعبير عن الدول حديثة الاستقلال ، فى مواجهة الضغط الاحتكارى للوكالات العالمية التابعة للدول الكبرى · فوكالة أنباء الهند مثلا ، يمكن أن تغطى أخبار شبه القارة الهندية والدول المحيطة بها ، وتستطيع وكالة أنباء انتارا الاندونيسية أن تتخصص فى تغطية أخبار منطقة جنوب شرق آسيا ، فى حين أن وكالة كيودا اليابانية تتوفر على خدمة منطقة الشرق الأقصى ·

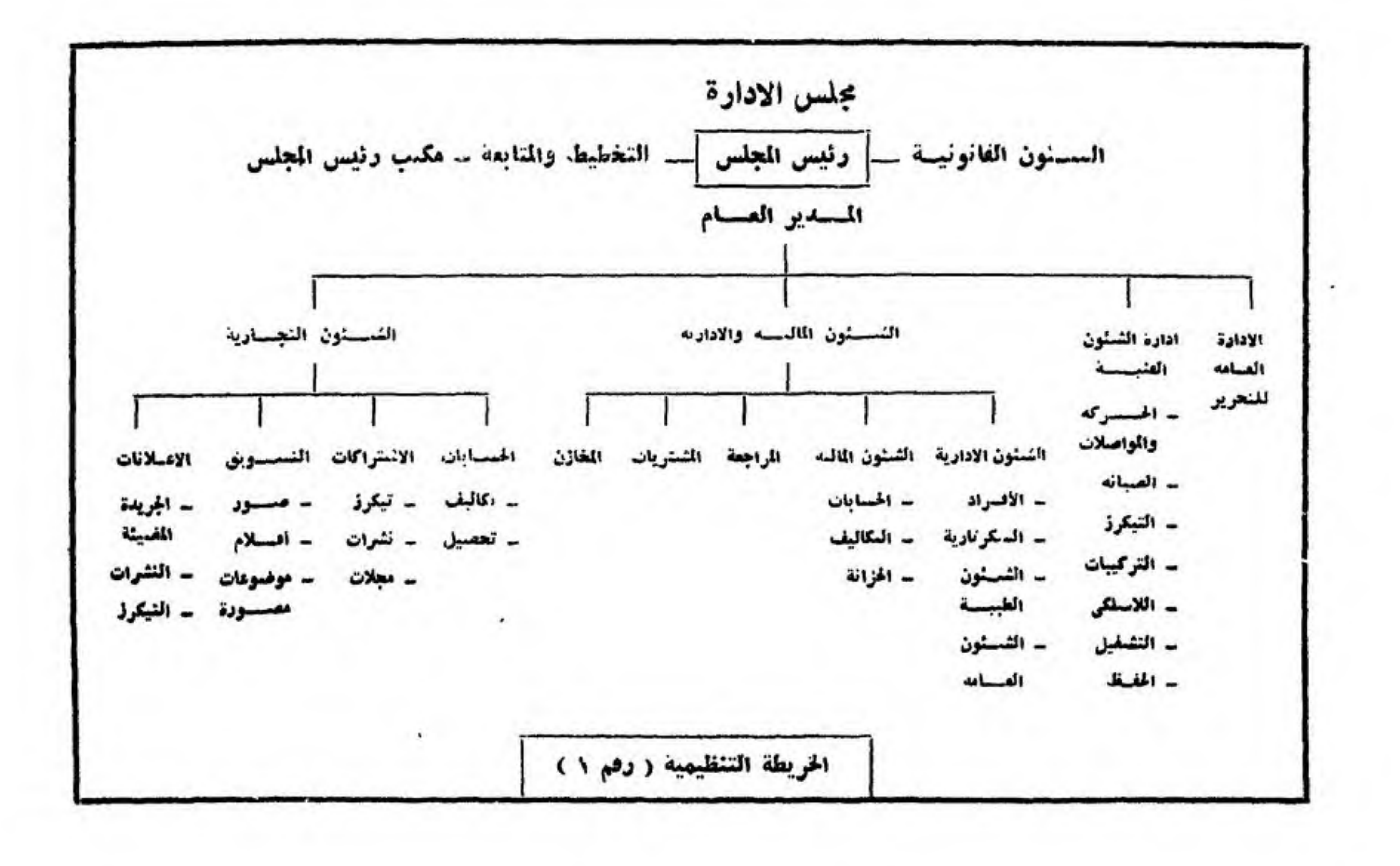
ويلاحظ أن كثيرا من دول العالم فى الشرق والغرب على السواء ، تجعل مهمة وكالة الأنباء القومية استقبال الأخبار الأجنبية وتوزيعها على الصحف والاذاعات المحلية ، ولا يسمح

للوكالات الأجنبية بتوزيع نشراتها مباشرة على الصحف • ففى المغرب والنرويج ويوغوسلافيا ومعظم الدول الافريقية ، يحظر القانون اتصال وكالات الأنباء الأجنبية بالصحف المحلية مباشرة ، ولعل السبب فى ذلك هو حرص الدول على حماية الرأى العام من أى تضليل أو دعاية مغرضة ، فضلا عن الجوانب الاقتصادية التى يمكن أن تستفيد منها الوكالات المحلية • ولا شك أن المسئولين فى مصر يدرسون هذه المشكلة ويضعونها نصب أعينهم •

تنظيم وكالة أنباء الشرق الأوسط :

واذا نظرنا الى الخريطة التنظيمية لوكالة أنباء الشرق الاوسط وجدنا أنها تنقسم الى أربعة ادارات رئيسية هى : الادارة العامة للتحرير ، وادارة الشئون الفنية ، وادارة الشئون التجارية ، وادارة الشئون المالية والادارية • أما السلطة الادارية العليا للوكالة فهو مجلس الادارة الذى يرأسه رئيس مجلس الادارة بمعاونة الشئون القانونية والتخطيط والمتابعة • كما أن للوكالة مدير عام هو ـ عادة ـ مدير التحرير ، الذى يرأس بحكم منصبه الادارة العامة للتحرير •

ويلاحظ أن الخريطة التنظيمية للوكالة تشبه الى حد كبير الخريطة التنظيمية لمعظم المنشآت الصحفية : فالمدير العام فى الوكالة يشبه رئيس التحرير ، وادارة الشئون الفنية تشبه المطابع ، وادارة الشئون التجارية تشبه ادارة التوزيع والاعلان ، كما تشبه أقسام التحرير فى الوكالة نفس أقسام التحرير فى الصحف ، أما ادارة الشئون المالية والادارية فهى القاسم المشترك فى جميع المنشآت الصحفية وغيرها • (أنظر الخريطة رقم ١) •

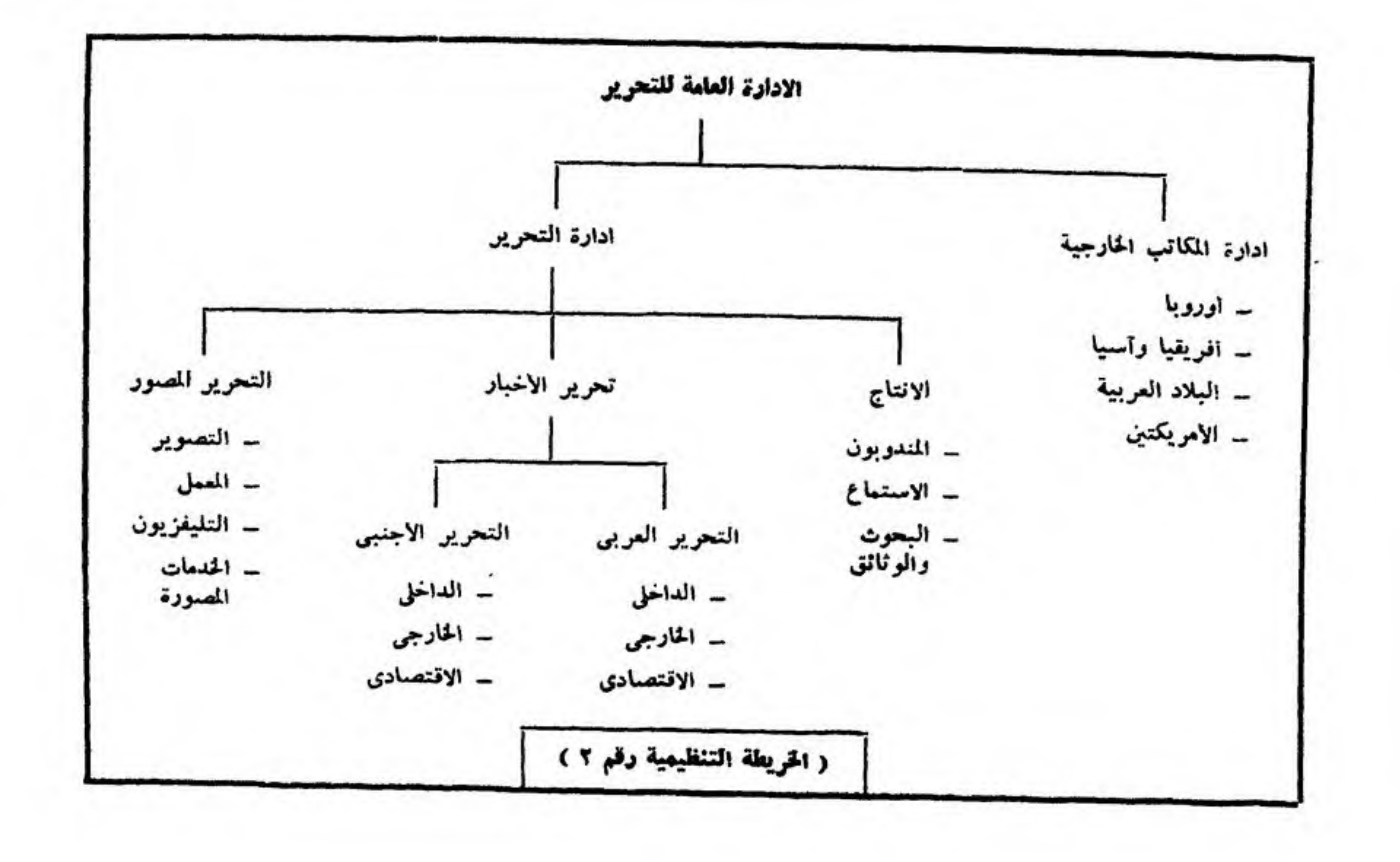


الخريطة التنظيمية (رقم ١)

ولا شك أن أقسام التحرير تعتبر العمود الفقرى للوكالة من الناحية الصحفية . وينقسم العمل فى الادارة العامة للتحرير الى قسمين رئيسين . أما القسم الأول فتتولاه ادارة المكاتب الخارجية ومناطقها فى أوروبا وأفريقيا وآسيا والعالم العربى والأمريكتين. وأما القسم الثانى فتشرف عليه ادارة التحرير التى تتولى مهمة الانتاج وتحرير الأخبار والتحرير المصور . (أنظر الخريطة التنظيمية رقم ٢) .

ويتولى الانتاج المندوبون وقسم الاستماع وقسم البحوث والوثائق . ويوزع المندوبون على سائر القطاعات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية والفنية، وكذلك قطاعات الخدمات التعليمية والصحية والرياضية وقطاعات الشباب وغيرها . ولذلك فهم ينتشرون فى جميع أنحاء الجمهورية ، بين الوزارات والهيئات والمؤسسات ، لجمع الأخبار ، وابلاغها بأسرع الوسائل الى المركز الرئيسى غير أن المندوبين يجدون منافسة شديدة من زملائهم فى الصحف ، ومع ذلك فهم يقومون بجهد كبير . كما أن مراسلى الأقاليم الذين ينتشرون فى عواصم المحافظات يساهمون فى تغطية الأخبار المحلية .

أما قسم الاستماع فيتولى استقبال أخبار الاذاعات المختلفة بشتى اللغات ، ويسجلها ، للوقوف على اتجاهات السياسة العالمية . ولا شك أن الاذاعات تعتبر مصدرا أساسيا للوكالات . وخاصة فى أيام الانقلابات ، حين تقطع كل وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية ، ويصبح مصدر الأخبار الوحيد هو اذاعة الدولة ، وبيانات نظام الحكم الجديد .



(الخريطة التنظيمية رقم ٢)

أما قسم البحوث والوثائق فهو يمثل ذاكرة الوكالة ، وخزانة معلوماتها ، ويتوقف على نجاح هذا القسم مهمة استكمال الأخبار بالمعلومات التفسيرية ، وقد رأينا أن الفن الصحفى لم يعد يكتفى بمجرد سرد المعلومات الصماء ، وأنما يقوم بشرحها وتفسيرها والقاء الأضواء عليها • وبقدر ما تحتويه أقسام الوثائق من معلومات سواء فى شكل مكتبة أو نشرات أو بطاقات ،يكون العمل الصحفى ناجحا • ويلاحظ أن وكالات الأنباء الحديثة تستخدم الوسائل الالكترونية والآلاتالحاسبة لتخزين المعلومات واستعادتها.

وينقسم تحرير الأخبار الى قسمين رئيسيين : قسم التحرير العربى . وقسم التحرير الأجنبى• وفى القسمين، يقوم المحررون بصياغة الأخبار الداخلية والخارجية والاقتصادية ، كما يعتبر جهاز الترجمة من أجهزة التحرير أيضا ، وهو يضم نخبة من المترجمين الأكفاء الذين يتقنون اللغة العربية واللغات الأجنبية وخاصة الانجليزية والفرنسية •

أما ادارة التحرير المصور فتقوم بمهمة التصوير والتحميض والطبع، سواء بالنسبة للتصوير الصحفى أو التصوير التليفزيونى. فقد أنشىء قسم الخدمة التليفزيونية سنة ١٩٦٣ ، وهو يقوم بمهمة تصوير الأفلام التسجيلية واخراجها . كما يقوم باعداد التحقيقات الصحفية التى تقبل الوكالات والصحف الأجنبية على شرائها • وقد استطاعت الوكالة أن تنتج أفلاما سينمائية ناجحة سنة ١٩٦٤.

ويجدر بنا الاشارة الى مراقبة الأخبار التى تتولى متابعة نشاط الوكالة وغيرها من الوكالات والصحف ، وهى تقوم بذلك لتقويم نشاط الوكالة وتوجيهه ، واكتشاف نقاط الضعف وعلاجها بأسرع ما يمكن • ولذلك فان مراقبة الأخبار تقدم عدة تقارير

يومية الى المدير العام ورئيس مجلس الادارة ، بل ان بعض هذه التقارير تبلغ تليفونيا فى حينها ، وخاصة اذا استجدت أحداث تدعو لذلك ٠

الادارة الفنية :

ولما كانت وكالة الأنباء تقوم بجمع الأخبار وتوزيعها باستمرار ودون توقف ، بمعنى أنها تقدم خدماتها لجميع الصحف الصباحية والمسائية ، ولجميع محطات الاذاعة والتليفزيون ، على اختلاف مواعيد نشراتها ، فهى اذن كالصحيفة التى تظهر كل دقيقة ليلا ونهارا ٠ ولذلك فان عاملى السرعة والدقة هما المعياران اللذان يقاس بهما نجاح الوكالة ٠

وقد ترتب على ذلك ضرورة توفر وسائل الاتصال السلكى واللاسلكى وجميع الاختراعات الالكترونية الحديثة لجمع الأخبار وتوزيعها على نطاق واسع للغاية ، بحيث أن هذا النشاط قد يصل الى دول بعيدة فى قارات مختلفة ٠ ولا شك أن الادارة الفنية هى التى تقوم بمهام ادارة شئون الاتصال والحركة والمواصلات ، فضلا عن الصيانة ٠ وهى تقوم أيضا بالاشراف على المبرقات الكاتبة وتركيباتها اللازمة ، بالاضافة الى شئون اللاسلكى والتشغيل وحفظ البرقيات بطريقة علمية ٠

والواقع أن أجهزة الارسال والاستقبال الحديثة التى حلت محل الوسائل التقليدية قد جعلت من وكالات الأنباء مراكز يتفوق فيها العلم التطبيقى وأحدث المخترعات التكنولوجية ٠ ولا شك أن المبرقات الكاتبة هى أهم هذه المخترعات وأحدثها ٠ والمبرقة الكاتبة عبارة عن جهاز ارسال له ملامس شبيهة بالآلة الكاتبة ، يضغط

عليها الموظف الفنى ، فتنبعث منها شحنات كهربائية معينة ، وتنتقل سلكيا أو لاسلكيا ، وتحرك بدورها أجهزة استقبال مماثلة فى دور الصحف والاذاعات • ويمكن لمرسل واحد أن يبعث رسائله الى عدد كبير من أجهزة الاستقبال فتعمل جميعا فى وقت واحد •

وهناك طريقة أخرى تمتاز بالسرعة ، وهى أن جهاز الارسال لا يبعث بشحناته مباشرة ، وانما يثقب شريطا من الورق بطريقة معينة تترجم رموزها حروف الكتابة ثم يوضع الشريط داخل جهاز ارسال ، فتتحول الثقوب الى شحنات كهربائية سريعة ، تستقبلها الأجهزة الالكترونية فى دور الصحف والاذاعة ، وتقوم أجهزة الاستقبال بتحويل الشحنات الكهربائية الى حروف وكلمات بطريقة أوتوماتيكية •

وبعد اختراع الراديو ، توصل الخبراء الى امكان استخدام المبرقات الكاتبة فى الارسال والاستقبال اللاسلكى • وهناك أجهزة « هل » (١) أو أجهزة « الراديو تليتايب » (٢) التى تنقل الشحنات الكهربائية بواسطة الأثير ، بمعنى أن العمل هنا لا يحتاج الى أسلاك ، وانما تقوم الوكالة بارسال نشراتها بالراديو . بينما تستقبل أجهزة الراديو أيضا الأنباء على شرائط مثقبة . تتحول الى حروف بطريقة أوتوماتيكية •

وقد رأينا أن الراديو قد حل محل الارسال التلغرافى فى الحرب العالمية الاولى ، عندما قطع خط الاتصال البحرى عبر المحيط الاطلسى • ومن الطريف أيضا أن وكالات الأنباء الحديثة تنقل الأخبار الى المشتركين عن طريق اللاسلكى ، وقد وجد أن

---

(١) Hell.

(٢) Radiotélétype.

ذلك أفضل بكثير من الاعتماد على خطوط التليفون، غير أن الاتصال بالراديو يعتمد على الظروف الجوية ، وهذا من عيوبه الرئيسية ٠

وقد تطورت فنون نقل الأخبار الى أن أصبحت الآن قادرة على نقل صحف كاملة بما فيها من عناوين وسطور وصور ورسوم وخرائط وألوان ، ويمكن استقبالها جميعا على صفحة واحدة ، اما في البيوت مباشرة ، واما في الصحف حيث يمكن حفرها على اسطوانات دائرية ، وصب الرصاص عليها ، واعدادها لطبع ملايين النسخ من الصحف ٠

وقد تطورت وسائل الارسال والاستقبال في وكالة أنباء الشرق الأوسط تطورا كبيرا ، وأصبح لها محطة للاستقبال على أحدث طراز هندسي ، كما أنها تعتمد الآن على أجهزة ارسال قوية خاصة بها ٠ ومع أننا نستورد أشرطة التثقيب ، فانه من الممكن أن نقوم بتصنيعها في القريب العاجل ، وذلك يوفر لنا مبالغ كبيرة من النقد الأجنبي ، كما أن الاهتمام بالصيانة ، وسرعة تصليح الأعطال لا بد وأن يزيد من عمر الأجهزة ٠ ومن الضروري أن تتعاون كليات الهندسة في الجامعات من أجل دراسة فنون الاتصال الحديثة ، حتى نعتمد على أنفسنا مستقبلا في صناعة هذه الأجهزة وتصديرها للوكالات الآسيوية والافريقية ، خاصة وان احتياجات هذه الدول تتزايد يوما بعد يوم حتى تبلغ المئات من أجهزة الارسال والاستقبال ٠

الشئون المالية والادارية والتجارية :

وتقوم ادارة الشئون المالية والادارية بالاشراف على شئون الأفراد والسكرتارية والحسابات والتكاليف والخزينة ، فضلا عن

المراجعة والمشتريات والمخـازن ، وتتبعها أيضـا الشئون الطبية والشئون العامة • ولا شك أن الادارة من أهم الأنشطة التى تحقق الاستخدام الأمثل للامكانيات المتاحة • ويخطىء من يظن أن عمل وكالات الأنباء يقوم على المهارة الصحفية وحدها ، اذ أن العناية بالشئون الادارية والأساليب التنظيمية من أهم ضرورات نجـاح المؤسسات الصحفية بوجه عام والوكالات بصفة خاصة •

وقد أكد « ماكنمارا » وزير الدفاع الأسـبق فى الولايات المتحدة الأمريكية فى احدى خطبه بأن أساس تقدم الولايات المتحدة الأمريكيـة فى التكنولوجيـا هـو العـلم والادارة • بل ان « اندروكارنيجى » مؤسس صناعة الصلب فى الولايات المتحـدة الأمريكية يعتقد أنه بامكان الولايات المتحدة اذا ما أخذت منهـا المصانع والأموال وطرق التجارة وترك لها التنظيم أن تسـترد أموالها فى سنوات قليلة •

فالادارة هى التى تقوم باعداد وتنمية الجهاز الفنى والادارى والتحـريرى ورعايتـه اجتماعيـا وصحيا ، وتدبير المرتبـات والانفاقات فى الوكالة ، وصيانة المبـانى والآلات والأجهـزة الالكترونية الدقيقة ، كما أنها مسئولة مع ادارة الشئون التجارية عن تسويق النشرات والصور والأفلام وكافة المنتجـات ، وحصر الاحتياطات والمخصصات التى تراها الادارة كافية لمواجهة الطوارىء والاحتيـاجات المسـتقبلة ، وهى التى تقـوم بتنفيـذ العقـود والاتفاقيات بين الوكالة وغيرها من الوكالات والصحف والاذاعات والهيئات المشتركة فى نشراتها •

وتتعاون ادارة الشئون التجـارية مع ادارة الشئون الماليـة والادارية لدراسـة حسـابات التكاليف ، والقيـام بتحصيل

الاشتراكات سـواء التيكرز أو النشرات أو المجلات أو الصـور أو الأفلام أو التحقيقات المصورة ٠

وقد قامت وكالة أنبـاء الشرق الأوسط فى سـنة ١٩٦٥ بدراسة مشروع لانشاء جريدة اعلانية مضيئة ، تقـوم بعرض الأنباء فى بعض الميادين بخط كبير مضىء كهربائيا ، ويتخلل ذلك اعلانات عن السلع والمنتجات ، وقد أجريت تجربة عملية لهـذا المشروع ، ونجحت الاتصالات ببعض الشركات الأجنبية للتقدم بمناقصة لتنفيذه ٠

والحقيقة أن الاعلان هو مصـدر ايراد رئيسى للصحافة . ويمكن أن يكون مصدرا رئيسيا أيضا لايرادات وكالات الأنباء ٠ وقد رأينا أن وكالة أنباء هافاس الفرنسية قد اعتمدت على ايراد الاعلانات للموازنة بين دخلها وانفاقها ، كما أن بعض الوكالات تقوم بحملات اعلان مستترة لبعض المؤسسات الكبرى من خلال الأخبار ٠

غير أنه من المتفق عليه أن خضوع الوكالات لضغوط الاعلانات لا بد وأن يؤدى فى نهاية الأمر الى تلوين الأخبار وتحيزها ، بل وقد يؤدى الى انحرافهـا ، كمـا أن الضغوط السياسية الحزبية الضيقة لا بد وأن تؤدى فى نهاية الأمر الى نفس النتائج المنافية للصدق والدقة والأمانة ٠ وفى رأينا أن خير سبيل لنجاح وكالة الأنباء هو العمل على ترويج نشراتها وتعدد عملائها من صحف واذاعات ودور تليفزيون وهيئات أخرى ٠

ان احياء نشرة « الكومتيل » مثلا ـ وهى نشرة اقتصـادية ناجحة ـ وتوزيعها على أكبر عدد ممكن من المشتركين فى العالم

العربى وأفريقيا وآسيا يضمن للوكالة دخلا كبيرا • كما أن العناية بالصور والأفلام التليفزيونية من حيث الكم والكيف معا ـ تعود على الوكالة بايرادات ضخمة محققة ، وخاصة اذا عنينا بالجوانب العربية والافريقية • وحتى اذا قلت الاخبار ، ينبغى أن تقوم بتحقيقات صحفية عن جوانب كثيرة من حيـاة النـاس وعاداتهم وتقاليدهم الشرقية ، وهذه اذا اتقنت تدر أرباحا هائلة •

ويقيننا أن العمل على احياء اتحاد وكالات الأنبـاء العربية والتعاون الوثيق مع الوكالات والصحف والاذاعات الافريقية لا بد وأن يضمن لنا سوقا رائجة لنشراتنا وصورنا وأفلامنا • ومصر التى تتمتع بمركز قيادى سياسى وفكرى ـ لا شك فيه ـ يمكن أن تكون مصدر اشعاع ثقافىْ وحضارى من خلال وكالة أنبائها •

الباب الثامن

نحو وكالة اسلامية دولية للأنباء

ان الحس الاخبارى أو الحاسة الانبائية مركوزة في وجدان المسلمين ، فالأمة الاسلامية تعتمد في جميع منطلقات حياتها ، وفى تشريعاتها ونظمها على القرآن الكريم الذى لا يفتأ يتحدث عن أنباء الماضي في القصص القرآنى بعبره التاريخية السامية ـ التى استخرج منها المفكر الاسلامى الكبير ابن خلدون أسس فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ـ فضلا عن أنباء الحاضر والمستقبل جميعا .

ان الأنباء في القرآن الكريم تأتى في صيغ بليغة عميقة بحيث يحسها المسلم في أغوار وجدانه ، ومن هنا تنشأ الحساسية المرهفة للنبأ على نحو يجعل الأمة الاسلامية أمة فريدة في هذا المضمار .

ويتردد مفهوم النبأ لفظا ومعني في كثير من آيات القرآن الكريم مثل :

« عم يتسالون . عن النبأ العظيم . الذى هم فيه مختلفون . كلا سيعلمون . ثم كلا سيعلمون »(1) .

« قل هو نبأ عظيم . أنتم عنه معرضون »(2) .

« ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر »(3) .

« لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون »(4) .

---

(1) النبأ : ١ ـ ٥ (2) ص : ٦٧ ـ ٦٨

(3) القيامة : ٣ (4) الأنعام : ٦٧

نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم · وأن عذابى هو العذاب الأليم »(١) ·

« قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »(٢) ·

ولما كان الانباء أو الاخبار الدينى يستهدف هداية البشرية وانتشالها من الظلمات الى النور ومن الضلالة الى الهدى ، فان الاعلام الاسلامى يتخذ بالضرورة أشكالا شتى ، منها البشارة والنذارة ، ومنها البلاغ المبين ·

« وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين »(٣) ·

« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »(٤) ·

« يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا· وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا »(٥) ·

« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا »(٦) ·

« وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا »(٧) ·

---

(١) الحجر : ٤٩ ـ ٥٠
(٢) البقرة : ٢٣
(٣) الأنعام : ٤٨
(٤) النساء : ١٦٥
(٥) الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦
(٦) سبأ : ٢٨
(٧) الكهف : ٥٦

« ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس »(١) .

ويمكن القول أن الجهل هو بمثابة الفوضي ، أما الاعلام فهو بمثابة النظام أو النور الذى يبدد الظلام ويهيىء المعنى وسط الغموض والضياع . فكثيرا ما يصبح الاعلام الصادق والنبأ الصحيح بمثابة نجاة من الغرق في طوفان الفوضي بفضل البلاغ المبين . يقول الله تعالى :

« قل انى لن يجيرنى من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحدا . الا بلاغا من الله ورسالاته »(٢) .

والبلاغ المبين هو سلاح اخبارى هام في نظر الاسلام ، لأنه يعطى القوة والمناعة والقدرة على شق طريق الهداية كما تفعل جذور النباتات فى شقها للصخر . فالبلاغ المبين يتغلغل من الأعماق الى الأعماق . وفي هذا كلمة عمر بن الخطاب لسعد ابن أبى وقاص رضي الله عنهما : « الزم العدل ... فانه وان رؤى لينا أقمع للباطل » .

والبلاغ المبين لا يفرض بالقوة ولا يصطنع العنف ، وانما يسلك مسلك الاقناع العقلى والاستمالة الوجدانية السامية فى صدق ودون مواربة ، لأن الكتمان هو عكس البلاغ المبين . والتعتيم الاعلامى صناعة جديدة يتقنها الاعلاميون المحدثون وخاصة لكتمان أخبار العالم الثالث ومنه العالم الاسلامى بوجه خاص .

---

(١) المائدة : ٦٧ (٢) الجن : ٢٣

واذا كان الاعـلام يمثل قوة النور ومجـال الضوء فـان الكتمان يمثل التعتيم والاظلام . والله سبحانه وتعالى يهـدد كاتمى الحق أشد تهديد وأعظمه هولا :

« ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ، فأولئـك أتوب عليهم وأنـا التواب الرحيم » (١) .

« ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشـترون به ثمنا قليلا ، أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليـم . أولئـك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار . ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق »(٢) .

حاجتنا الى اعـلام اسـلامى :

وهكذا نرى أن الكتمان هو عدم ايصال الخبر ، وهـذا يؤدى الى عدم التقدير . والعجيب أن العالم المـادى من حولنا يحاربنا بسلاحين اعلاميين هما الكتمان أو الصمت والتشويه أو الكذب والمبالغة . فالوكالات العالمية تخدم أغراضا سياسية وايديولوجية واقتصادية لصالح البلاد التى تتبعها .

لقد وصفـ رئيس وزراء يوغوسـلافيا مجمع وكـالات أنباء دول عدم الانحيـاز بأنه خطـوة عملية على طريق كسر الاحتكار الاعلامى اذ يقول أ « ان المجمع تمكن خلال الأعـوام الثلاثة الماضية من تجميع حوالى سـتين وكالة من وكـالات

---

(١) البقرة : ١٥٩ ـ ١٦٠ (٢) البقرة : ١٧٤ ـ ١٧٦ .

عدم الانحياز وبدأت عملية تغيير الميزان الحالى في نطاق الاعلام الذى كانت وكـالات الأنبـاء العالمية تسـيطر على ٧٠٪ من اعـلامه »(١) ٠

وقد توفر مصطفى المصمودى على دراسـة ظاهرة تدفق الاعلام من الدول الصناعية الكبرى الى دول العـالم الثالث وانتهى الى هذه النتيجة المؤسـفة : « لقد سـجلنا من ضمن الأخبار القليلة المتعلقة ببلداننا أن الاعـلام عن حدث ما تكتسيه صيغة مغرضة بل وتشويهية ، فأجهزة الاعلام فى البلاد المتقدمة تبرز الطابع السلبى للأمور بينما طموحات العالم الثالث للحياة الأفضل والمزيد من العدل واقامة علاقات دوليـة أكثر توازنا ومازالت لا تحظى بعناية هذه الأجهزة »(٢) ٠

وقد ألف مصطفى المصمودى العديد من المقالات العلميـة وتقدم بها الى الوكالات والهيئات الدولية وفى مقدمتها هيئـة (اليونسكو) الدولية مطالبا باقامة نظام دولى جديد تراعى فيه العدالة في الاعلام وتدفق الاخبـار مع العناية بدول العـالم الثالث والاهتمام بشئونه بطريقة متوازنة ، ولكن الوكـالات الكبرى لازالت سـادرة فى غيها ، ولا يعنيهـا الا الأخبـار المسلية والمثيرة عن الشرق ، فاهتمامهم بالهند يدور حول القرود والفيلة والمهراجات والثعابين وزواج الأطفال ، أما احـداث البنجاب وما يفعله السيخ بعد الاعتداء على معبدهم الذهبى فلا يروى الا من جانبه الترفيهى فقط ٠

---

(١) نشرة المركز الاقليمى لمجمع وكالات أنباء دول عدم الانحياز - (بغداد) ١٩٧٩ ٠

(٢) نشرة الأنباء التونسية ١٩٧٩

أما العالم الاسلامى فلا يظفر الا بالصمت والكتمان ولا يذكر شيء عن انجازاته وثقافته . فاذا قارنا مثلا زيادة البابا الى أمريكا الجنوبية سنة ١٩٧٩ ، وزيارته لافريقيا سنة ١٩٨٤ بزيارة شيخ الأزهر لبريطانيا وأمريكا نجد العجب العجاب . فالوكالات الكبرى هللت للبابا ، وصاحب المصورون رحلته الى القارتين وروجوا لخطبه ترويجا هائلا الى حد المبالغة الشديدة والاسراف المبتذل ، بينما لم تذكر كلمة واحدة عن زيارة شيخ الأزهر للندن عند اقامة المعرض الاسلامى ، ولا لزيارته للولايات المتحدة الأمريكية عندما قابل الرئيس الأمريكى جيمى كارتر .

انها مؤامرة الصمت والكتمان من ناحية والتشويه المغرض من ناحية أخرى . ومن هنا تنشأ أهمية انشاء وكالة أنباء اسلامية دولية لجمع الأخبار وتوزيعها فى العالم الاسلامى وخارجه ، لمواجهة القوى التى تتربص بالعالم الاسلامى وتشوه ثقافته ، وتزدرى رجاله وتصمت صمتا رهيبا ازاء منجزاته وتراثه وايجابياته .

لقد شعر المسلمون أخيرا بحاجتهم الماسة الى قيام وكالة أنباء اسلامية دولية تتحدث عن الأمة بصدق ودقة واقناع وتنقل أخبارها نقلا مبرءا من النقائص ومسايرا للعصر وما استحدثت فيه من تقنيات وفقا لميزان اسلامى دقيق يقوم على العدالة والضبط على نحو ما كان المسلمون الأوائل يشترطونه في رواة الأحاديث .

انّ الاتحاد السوفيتى والصين الشيوعية لا تخجلان من التصريح بأن عملهما الاخبارى يخدم أغراضا عقدية ايديولوجية

فيقول مدير الدعاية فى الحزب الشيوعى الصينى شارحا أهمية وكالة أنباء الصين للحزب « ان الوكالة مهمة كأهمية الحكومة والجيش والمحاكم وهى سلاح في الصراع الطبقى » .

وقد رأينا من قبل أن وكالات الأنباء في أوروبا وأمريكا تعمل في خدمة أغراض سياسية واقتصادية ، وللدعاية المدروسة غير المباشرة للنظم الغربية . فهل هناك أى شك في أهمية قيام وكالة أنباء اسلامية دولية تخدم قضايا العالم الأسلامى ، وتوزع أخباره على سائر انحاء العالم بما يؤكده الاسلام من قيم اخبارية سامية ؟

قيم الاعلام الاسلامى وضوابطه

لقد وضع الاسلام من القيم والضوابط الاعلامية ما يجعل قيام وكالة أنباء اسلامية دولية مثلا أعلى يحتذى . يقول الله سبحانه وتعالى : « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (١) .

ويقول جل شأنه :

« انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون » (٢) .

ويقول عز من قائل : « ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » (٣) .

ويقول أيضا « واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به » (٤) .

---

(١) التوبة : ١١٩
(٢) النحل : ١٠٥
(٣) النحل : ١١٦
(٤) الحج : ٣٠ - ٣١

ويبين لنا القرآن الكريم أهمية السداد في القول وتقوى الله في جميع ما يروى أو يذاع : « ياآيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم »(١) .

وفي مجال التحقق من صدق الأنباء والتروى في قبول نشرها واذاعتها بين الناس يعظنا الله سبحانه وتعالى بقوله : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »(٢) . فلا محل للشائعات والأخبار المغرضة فى الاعلام الاسلامى .

ومن آفات الاعلام الحديث أن الصحفيين ينقلون معلومات ليسوا متخصصين فى فهمها أو تعمق معانيها ، والحقيقة أن الصحافة الحديثة تلجأ الى مؤسسات أخرى غير الصحافة لشرح الأخبار وتفسرها ، ولذلك فان الصحفيين لا يكونون أبدا فى موقف ثابت لحل مشكلة أو التصدى لقضية عامة ، وهم لذلك غالبا ما يعتمدون على مصادر لها مصالحها الذاتية فى وصف أو تقرير الواقع في تقاريرهم . ولكن القرآن الكريم يضع دستورا هاما في هذا الصدد فيقول الله تعالى : « ولا تقف ماليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »(٣) . ويقول سبحانه وتعالى : « ولا ينبئك مثل خبير »(٤) . كما يقول جل جلاله : « نبئونى بعلم ان كنتم صادقين »(٥) . فالاعلام الاسلامى يحث على التخصص ويحض على الفهم ويؤثر الدقة والعناية والتعمق والاحاطة .

---

(١) الأحزاب : ٧٠ ــ ٧١
(٢) الحجرات : ٦
(٣) الاسراء : ٣٦
(٤) فاطر : ١٤
(٥) الأنعام : ١٤٣

وثمة آفة أخرى في الاعلام الغربى المعاصر وهى العناية الشديدة بالاثارة وسرد أنباء العنف والجرائم بطريقة يغدو فيها المجرم بطلا أو قدوة تحتذى ، كما يولى هذا الاعلام أيضا اهتماما مبالغا لأخبار الجنس والشذوذ وينشر الصور العارية على اعتبار أنها من مروجات الاعلان والتوزيع في وقت معا ، ولا بأس من رواية الشائعات وعرض المآسي العائلية وأخبار الراقصات والممثلات مع الكثير من المبالغة والتهويل ، وهى جميعا من الأمور التى يرفضها الاسلام رفضا تاما .

والدين الاسلامى ينهى عن الذم والتعريض وانتهاك الحرمات والغيبة والنميمة . ولعل سورة الحجرات من أهم السور التى تقدم لنا دستورا اسلاميا دقيقا ووافيا لمهنة الاعلام . يقول عز من قائل: « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . ياأيها الذينآمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولاتجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم » (١) .

ويقول جل جلاله « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون »(٢) . والكلمة في الاسلام مسئولية كبرى لابد أن يدرك الاعلاميون أهميتها وخطرها . « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء

---

(١) الحجرات : ١١ ـ ١٢ (٢) النور : ١٩

تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ٠ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار »(١) ٠

ان مقومات الاعـلام في الاسلام أساسها الصدق والعـلم والخبرة والبرهان والأمانة والعفة والخيرية والكمال ٠ وهـو اعلام دولى له صفة العمومية والشمول ، والتعارف بين الدول والشعوب مطلب اسلامى عزيز بقوله تعالى : « ياأيهـا الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير »(٢) ٠

الاعلام الاسـلامى في العهد النبوى :

ولقد كان اهتمام الرسـول عليه الصلاة والسـلام بجمع الأخبار والمعلومات شديدا ، فقد بدأ في اقامة نظام لنقل أخبـار مكة اليه منذ أن بدأت سراياه وغزواته ، واستلزم الأمر مراقبة حدود المدينة وطرق القوافل المـارة بها حتى لا تباغته قريش ٠ فمنذ اللحظة الأولى التى غادر فيها الرسـول ﷺ مكـة بصحبة الصديق اتخذ عبد الله بن أبى بكر وهو غلام شاب فطن رسـولا يأتيهما بأخبار قريش يوما بعد يوم ، فكان عبـد الله يوافيهما بالأخبار وما اتخذته قريش من وسائل البحث عنالنبى عليـه الصلاة والسلام ٠ وهكذا يمكن القـول أن عبد الله كان أول مراسل اخبارى في تاريخ الاسلام ٠

ولقد مارس الرسول عليه الصلاة والسلام مهمة الاستطلاع وتسقط الأخبار والمعلومات بنفسه ٠ فعندما كان المسـلمون على وشك الاشتباك مع المشركين في بدر ، خرج الرسـول

---

(١) ابراهيم : ٣٣ ـ ٣٦ (٢) الحجرات : ١٣

الرســول عليه الصلاة والسلام حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد واصحابه وما بلغه عنهم فأخبره الشيخ بما عنده وهو لا يعلم أنه رسول الله ﷺ ·

ومن ناحية أخرى كان العبــاس بن عبد المطلب عمه عليه الصلاة والسلام يوافيه بالأخبار من داخل مكة نفسها منذ أن أسلم رضى الله عنه قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه ويكتب باخبار المشركين الى رســول الله ﷺ الذى كتــب اليه مرة يقول « ان مقامك بمكة خير » ·

وكان رسول الله ﷺ يكلف رجــالا بالاستطلاع وجمــع الأخبار والمعلومات كما حدث في غزوة الخندق مثــلا عنـــدما قال عليه الصلاة والسلام : « ألا رجلا يأتينى بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة · قم ياحذيفة فأتنــا بخبر القوم ولاتذعرهم على » ·

وفي الحديبية ظهرت عظمة المسلمين في مجــالين مترابطين ومتلازمين ألاوهما الدبلوماسية والاعلام · ففى السنة السادسة للهجرة رغب الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه في العمرة ، الا أن المشركين وعلى رأسهم أبو سفيان أبوا وأقسموا ألا يدخل محمد عليه الصلاة والسلام وصحبه مكة ذلك العام · ودارت مفاوضات طويلة بين المسلمين وقريش في الحديبية وهى ضاحية قرب مكة ، وتبادل الفريقان البعــوث فكانت بعثة المســلمين برئاسة عثمان بن عفان احدى السفارات النبوية الناجحة ، وطال مكثها حتى ظن المسلمون هلاكها ، وهنا يقوم المراسلون ورجال الأخبار بجمع المعلومات من أوثق مصادرها ويصبح للنبأ قيمة كبرى في حيــاة المســلمين لأنهم كانوا يشــعرون بالقلق والتحفز لاعلاء كلمة الله ·

وتم صلح الحديبيـــة ، وبعض الصحــابة غير راضين عنه ولكنه أدى الى فتح مكة فتحا مبينا وانتصار المسلمين انتصارا باهرا ، كما تطورت خبرات المســلمين الاعلاميــة من المجــال الداخلى الى مجال خارجى أوسع وأرحب ، عندما بعث الرسول عليه الصلاة والسلام رجاله الى الملوك والأمــراء لتبليغ رسالة الاسلام . وبلغ عدد هؤلاء الملوك والأمراء الذين راسلهم النبى عليه الصلاة والسلام ثمانية ، كان أهمهم وأعظمهــم بلاريب قيصر الروم وملك فارس ، وهو درس اعلامى كبير حول أهمية ذوى النفوذ فى التأثير .

واذا كانت بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام الى قيصر وعامليه على مصر والشام لم تأت بنتائج ايجابية فانها كانت ذات أثر اعلامى خطير في البلاط الرومانى والكنيســة والرأى العام المسيحى . ويتضح ذلك من زواج النبى عليه الصـــلاة والســلام بمارية القبطية كمــا يتضــح في بعض المجاملات والأقوال والودية المتبادلة بين العالمين الاسلامى والنصرانى في ذلك الوقت .

وكانت للبعثات النبوية آثار اعلامية مدوية فى فارس رغم تمزيق كسرى لكتاب الرسول عليه الصلاة والســلام ، كمــا أن أمراء البحرين وعمان آمنوا برسالة الاسلام وأدوا الجزية عن رعاياهم من غير المسلمين . كما جامل النجاشي بعثة الرســول عليه الصلاة والسلام مجاملة طيبة ترددت اصداؤها في المنطقة بأسرها فكان لها قيمة اعلامية تاريخية . وهكذا رأينا كيف كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتعامل مع أصحاب الســلطة والنفوذ كما كان يتعامل أيضا مع عامة الشعب .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يختار رسـله من ذوى الشخصية القوية والدراية والمعرفة بشئون من يبعثهم اليهـم واشترط فيهم قوة الذكاء وطلاقة اللسان وحسن المظهر .

النشاط الاخبارى فى الخلافة الراشدة :

وقـد اهتم الخلفاء الراشـدون بمهمة النشـاط الاخبارى اهتماما كبيرا ، نرى ذلك واضحا في حروب الردة وما اكتنفها من أحداث جسام كانت أخبارها تتردد في كل مكان ، وكان أبو بكر الصـديق يولى نقل أخبـار ميـادين القتال جـل اهتمـامه وعنايته .

اما عمر بن الخطـاب فقد بلغ بهذا المرفق الاعـلامى أعلى الدرجات وقمة النضج والاستواء لأنه كان متعلقا بتلابيب جنده حريصا عليهم فكان يتسقط الأنباء من جميع المصادر بعنـاية فائقة ويستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يصبح حتى منتصف النهار .

ومما يروى عن عمر رضي الله عنه ـ أنه لقى أحد العائدين من فارس فسأله عن المسلمين فقال له « هـزم الله المشركين » وعمر يخب معه ويستخبره والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه حتى دخل المدينة فاذا النـاس يسلمون عليـه بامرة المؤمنين فقال له الرجل « فهلا أخبرتنى رحمك الله انـك أمير المؤمنين فقال عمر لا بأس عليـك ياأخى » . وليس معنى ذلك أن عمـر ابن الخطاب لم يكن يعتمد الا على هؤلاء العائدين ، بل لقد كان له رسله الذين يوافونه بالمعلومات ولكنه كان يحب دائما أن يتابع ويراجع ويستوثق من صحة المعلومات .

وأهم ما يلفت النظر أن عمـر بن الخطـاب الذى دون الدواوين لم يغب عنه أن يجعل ديوان البريد في صدارة أدوات الدولة الاسلامية ، ومهمته نقل الأخبار ومراقبة عماله فى سائر الأقطار والولايات فكانت أخبار المشرق والمغرب متوفرة لديـه في كل مسـاء وصباح .

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه ـ يحدث الناس ويسالهم ويستخبرهم عن الأسعار والأخبار وكان يفعل ذلك يوم الجمعة على وجه الخصوص، ويبدو أن هذه قد أصبحت سمة من سمات الاعلام الاسـلامى الذى يعرض الأخبار عرضا أسبوعيا ، حتى أن الوالى ابراهيم باشا الكبير بن محمد على باشـا عنـدما أصدر صحيفة في مصر أسماها « بالجرنال الجمعى » لأنها كانت صحيفة أسبوعية تصدر كل يوم جمعة ، وكانه تقليد اسـلامى منذ صدور الاسـلام لعرض الأخبار ومراقبة الولاة والحكام .

ولا شك أن ظروف الفتنة الكبرى والاحداث الجسـام التى وقعـت بين على ومعـاوية ، والحـروب التى نشـبت ، والانقسامات التى وقعت ، والفرق الاسلامية التى نشأت ـ كل ذلك جعل المهمة الاخبـارية تـزداد أهمية ، حتى أصبـح لها المتخصصون والخبراء في جمع الاخبار والمعلومات عن كل فريق وكل جانب .

الاعلام الاسـلامى في العصر الأموى :

وقد اهتم الأمويون بالبريد والأخبار اهتمـاما كبيرا حتى بالغ بعض الباحثين بالقول أن معاوية هو أول من أنشأ ديوان البريد والخبر « فهو أول من وضع البريد لتسرع اليه أجبـار بلاده من جميع أطرافهـا ، وأحضر رجالا من دهاقين الفرس

وأهل عمال الروم فعرفهم بمايريد ، فوضعوا له البريد واتخذوا له بغالا بأكف كان عليها سفر البريد ، وكان لا يجهز عليه الا الخليفة وصاحب الخبر » .

غير أننا قد بينا من قبل ان الاهتمام بالأخبار وجمع المعلومات قد بدأ منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وكان معروفا كنظام أساسي رسمى لجمع الأخبار والمعلومات وديوان للبريد فى عهد الخلفاء الراشدين ، وربما يكون لمعاوية فضل فى توسيع نطاق النقل وتعبيد الطرق وترتيب المحطات .

ويؤثر عن عبد الملك بن مروان أنه جعل نظام جمع الأخبار والمعلومات أدارة هامة في ادارة شئون الدولة وربط أطرافها المتباعدة . ومما يروى عنه قوله لأحد رجاله واسمه ابن الدغيدغة : « وليتك ما حضر ببابى الا أربعة ـ المؤذن فانه داعى الله فلا حجاب عليه ، وطارق الليل فشر ما أتى به ولو وجد خيرا لنام والبريد فما جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه فربما أفسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة . والطعام اذا أدرك فافتح الباب وارفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول » (١) .

لقد أدرك الأمويون أهمية الاعلام والأخبار والمعلومات فى سبيل تأييد الدولة ، ومساندة السلطة ، وكسر شوكة الأعداء . ومما يؤثر عن الخليفة هشام بن عبد الملك أن مصاريف البريد فى خلافته باقليم العراق وحده بلغت أربعة ملايين درهم،ويكفى الأمويون فخرا أنهم أصحاب الفضل في توسيع نظام البريد وترتيب وسائل جمع الأخبار بصورة لم يسبق لها مثيل .

الاعلام الاسلامى فى العصر العباسي :

ولقد كان نظام جمع الأجبار وتوزيعها توزيعا محكما ومدروسا من أهم العوامل التى ساعدت على قيام الدولة

---

(١) القلقشندى ـ صبح الأعشي فى كتابه الانشاء جـ ١٤ ص ٣٦٧

العباسية ، وكانت الحميمة مركزا هاما من المراكز الاعلامية على طريق الحج بين شرق الدولة الاسلامية ومكة المكرمة. ومما يؤثر عن الخليفة المنصور أنه قال (١) « ما كان أحوجنى الى أن يكون على بابى أعف منهم . قيـل لـه : من هم يا أمـير المؤمنين ؟ قال : هم أركان الملك ولايصلح الملك الا بهم كما أن السرير لا يصلح الا بأربع قوائم ان نقصت قائمة وهى : أما أحـدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فانى عن ظلمها غنى ، والرابع ثم عض على أصـبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه ! آه ! قيل له وماهـو ياأمير المؤمنين . قال : صاحب بريد يكتب بخبر هـؤلاء على الصحة » .

فالاعلام الصحيح الدقيق ركن ركين من نظام الدولة ومرفق لابد منه لاستتباب الأمن واعمار الأرض ، لأنه حلقة الوصـل بين الحكام والمحكومين ، وعين الرقابة على المسئولين من الولاة في الأقاليم .

وعندما أنفذ الخليفة المهدى ابنه هارون الرشـيد لمحاربة الروم، رتب ما بينه وبين معسكر ابنه بردا كانت تأتيه بأخباره، وظلت هذه البرد تعمل من أجل الوقوف على حركات الروم العسكرية على الحدود الشامية .

وتتضح أهمية الاعلام في الصراع الذى حدث بين الأمين والمامون ، فلم تكن القوة العسكرية وحدها كافية للنصر دون

(١) الطبرى ـ تاريخ الأمم والملوك ـ مجلد ٣ جـ ١ ص ٣٠٤

مساندة الملامية . فلما كاشف الأمين أخاه المأمون بخلعه من ولاية العهد ، أجابه المأمون باسقاط اسم الأمين من الخطبة وقطع البريد والأخبار عنه . وليس أدل على أهمية الجانب الاعلامى عند المأمون مما يروى من أن رسول البريد قطع مسافة ٧٥٠ ميلا بين الرى ومرو في ثلاثة أيام وجاء يحمل رسالة تقول على لسان القائد طاهر بن الحسين « كتبت اليك ورأس على بن عيسى قائد الأمين في حجرى وخاتمه في يدى وجنوده تحت امرتى » (١) .

ومن الثابت أن انتصار البويهيين كان يرجع الى اخفاء المعلومات عن الخليفة العباسي ، ثم السيطرة على مرفق الأخبار بعد نجاحهم في الوصول الى السلطة ، وحدث نفس الشىء مع السلاجقة الذين أحكموا السيطرة على نظام جمع الأخبار وحرصوا على أن ترد اليهم الأنباء بانتظام ، وكان أشدهم حرصا في هذه الناحية الخليفة الناصر لدين الله العباسى .

وهكذا نرى أن نظام جمع الأخبار وتوفير وسائله واحكام السيطرة عليه من أهم مقومات الحكم في الدولة الاسلامية .

واذا أفلت زمام الاعلام من الحاكم كان نذير سوء ينبىء بزوال السلطان وتحوله الى من يملك القدرة على الوقوف على الأخبار والمعلومات في حينها . وهكذا تتضح العلاقة الوثيقة بين السياسة والاعلام .

الجذور الاسلامية لوكالات الأنباء :

لقد أدركت الحضارة الاسلامية الزاهرة قيمة الأخبار وقدرتها تقديرا عظيما ، وتأكد لنظام الحكم الاسلامى الدور

---

(١) الطبرى ــ المرجع السابق مجلد ٣ جـ ٢ ص ٧٨٣

الخطير الذى يمكن لأجهزة المعلومات أن تنهض به لربط أواصر الدولة ، وتخصصت الخبرة الاسلامية الطويلة والخصبة فى مجال الاعلام عن انشاء دواوين للبريد والخبر تستخدم أحدث وسائل الاتصال في ذلك العصر كالحمـام الزاجل المـدرب قبل ظهور التلغراف واللاسكى ، والمشاعل التى ترسل الأخبـار عن طريق شدة النار فيها ومدى ارتفاعها في السماء ، فضـلا عن البريد المـائى في الأنهار والبحار (١) ٠

وقد نقل اليهود الذين عاشوا في كنف الدولة الاسـلامية في الأندلس ـ على وجه الخصوص ـ التـراث الاخبـارى الدقيق الى أوروبا فى عصر النهضة ، فنشأت فى ايطاليا وجنوب فرنسا وفي النمسا مكاتباخبارية تشبه دواوين البريد والخبر الاسلامية ، واستخدم فيها الحمام الزاجـل على نحو ما فعـل المسلمون ٠ ومن الثابت أن المكاتب الاخبـارية فى أوروبا فى القرون الوسطى قبيل عصر النهضة كانت تمد الطبقة التجارية بأخبار المـال والاقتصاد والتجارة ، كما تمد الطبقة الحـاكمة بالمعلومات العسكرية والسـياسية ، كما اسـلفنا القـول في الفصول السـابقة ٠

ثم تضافرت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٠ ثم التقدم العلمى والتكنولوجى ، لتهيئة الفرصة لميلاد وكالات الأنباء ، ففى الوقت الذى اتسع فيه نطاق الأحداث في العـالم ، واختصرت وسائل الاتصال المتقدمة مسافات الزمان والمكان ، وتشابكت مصالح الدول تشابكا لم تشهده البشرية من قبل ، اتسعت اهتمامات الناس،وتعطش الجميع للأخبار والمعلومات٠

---

(١) نظير حسان سعداوى ـ نظام البريد فى الدولة الاسلامية : ١٤٨ ـ ١٤٩

الصحوة الاسلامية والوعى الاعـلامى :

ولقد فطن المســلمون أخيرا بعــد كفــاحهم المرير ضــد الاستعمار ، وفي خضم يقظتهم العارمة وصحوتهم الزاهرة ، الى أنأعدادهم الكبيرة التى تربو علىالألف مليون نسمة،ومقدراتهم الهائلة وثرواتهم العظيمة ، ومصادر ثرواتهم الطبيعية من نفط ومعادن وغيرها ، الى أنهم بحاجة ماسة الى استكمال أسباب نهضتهم بالتضامن عن طريق انشاء وسائل الاعلام الخاصة بهم والتى تتميز بطابعهم الحضارى وسماتهمالثقافية فلطالما اكتوى المسلمون من وكالات الأنباء الأجنبية التى تصدر في نشــاطها الاخبــارى عن تصــورات اعتقادية فاســدة وأهــداف خبيثة تكيد للاســلام والمسلمين ، وتصورهم تصويرا بشعا مغرضا ، وقد حان الوقت لأن يقيم المسلمون وكــالة أنباء متخصصــة تحدث الأمة في صــدق ، وتنقل الأخبــار على أسس من القيــم والمبادىء الاسلامية الصحيحة مبرأة من التشويه والانحراف ٠

ومنذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، ونالت بعض الدل الاسلامية استقلالها ، أخذ المسلمون يدركــون دور أجهزة الاعلام فى استنهاض الهمم ، وجمــع آلكلمة ، والحث على التضامن ٠ وأخذ الحلم الذى يراود قادة المسلمين يتحول الى حقيقة منذ سنة ١٩٥٠ ، عندما اقترح مؤتمر العالم الاسلامى المنعقد فى كراتشي انشاء وكالة اسلامية دولية للأنباء ٠ وقــد جرى التفكير فى انشاء الوكالة الاسلامية كوسيلة لنقل أخبار الأمة الاسلامية للعالم ، واعتبر ذلك ضروريا لسبب رئيسى هو أن وكالات الأنباء الدولية متحيزة وليس هنــاك وسيلة أمــام المسلمين لعرض أخبارهم على نطاق العالم ٠

وقد أصدر مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقــد في كراتشى سنة ١٩٧٠ قرارا بالاجماع ينص على انشــاء وكالة

أنباء اسلامية دولية وذلك تلبية لرغبة عامة وحاجة ملحة في في العالم الاسلامى حرصا على عرض قضايا المسلمين عرضـــا سليما مبرءا من التشويه والتحيز .

دستور الوكالة ومهامها :

وفي أبريل سنة ١٩٧١ ، قام مجمــوعة من الخبراء بعقــد اجتماعات فى مدينة طهران بغرض دراسة امكانيةوضع مشروع وكالة الأنباء الاسلامية الدولية في حيز التنفيذ . ولاحظت لجنة الخبراء آنفة الذكر أناقامة مشروع للاتصالالسلكى واللاسلكى مع أهميته قد يستغرق بعض الوقت،واقترحت دستورا للوكالة يجعلها فى المرحلة الأولى بمثابة اتحاد لوكالات الأنباء المحلية في الدول الاسلامية ، على أن يكون مقر الوكالة في طهران .

بيد أن مؤتمر وزراء خارجية الــدول الاســلامية الثالث المنعقد في جــدة في شهر فبراير سنة ١٩٧٤ اصدر قرارا بأن تكون مدينة جــدة مقرا لهذه الوكــالة كما وافق على دستور الوكــالة وأهدافها .

وتتلخص مهام المنظمة الدولية لوكالة الأنباء الاســلامية IINA في كونها أداة للتعاون والتضامن بين الشعوب الاسلامية على النحو التالى :

أ ـ اقامة التعاون بين المنظمات الاخبارية المختلفة في العالم الاســلامى .

ب ـ توفير التسهيلات بينها لمبادلة المعلومات حول الأمور المهنية والفنية وغيرها .

ج ـ الحث على التعاون الاقتصادى والثقافى بين الأقطـار الاسـلامية .

وتمثلت الغاية الأساسية للمنظمة التى سميت (المنظمة الدولية لوكالة الأنباء الاسـلامية) في اقامة خدمات الارتبـاط الدولية .

والهدف الرئيسي للوكالة هو أن تتولى اعـداد وتحرير التقارير الاخبارية عن مجريات الأحداث في الأقطـار الاسلامية أو ما يدور حولها من وجهة نظر محرريها ومعلقيها وكتابها ، وتزويد وسائل الاتصال في العالم والأقطار الاسلامية على نحو خاص بها ، لتتمكن الوكالة على هـذا النحو من ملء الفجـوة القائمة في الأخبـار الشاملة والصحيحة في خدمات الاتصالات الدولية .

والى جانب الأخبار التى تقدمها سـائر خدمات الاتصالات الدولية ، يجب أن تقوم المنظمة الدولية لوكالة الأنباء الاسلامية باعداد مجموعة الأخبار الخاصة بها والتى يقوم المحررون بانتقاء المناسب منها .

والوكالة لا تستطيع تقديم خدماتها التجارية قبل اجتياز مرحلتها التجريبية والتعـاملية ، لذلك يترتب على الدول الأعضاء فيها تقـديم الدعم المادى والمعنـوى لتمويلهـا وتأمين نفقاتها .

وطبقا للقرار السياسي الذى اتخذه وزراء خارجية الأقطـار الاسلامية ، فان المنظمة الدولية لوكالة الأنبـاء الاسلامية ، هى تابعة لجميع الدول الاسـلامية التى تتحمل مسئولية تطورها ونجاحها .

ادارة الوكالة وأهدافها :

وتتألف ادارة وكالة الأنبـاء الاسـلامية من جهازين همـا الجمعية العامة والمجلس التنفيذى . اما الجمعية العامة فتتألف من ممثلى وكالات الأنباء الوطنية أو من هيئات مناسبة تعينها الدول الأعضاء ، وتدعى الجمعية العامة الى الانعقاد مرة كل سنتين ، على أن يصادف موعد ومكان اجتماعها موعد ومـكان اجتماع مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ، على أن تعقـد الجمعية العامة أى اجتماع طارىء عندما يتسلم المجلس التنفيذى طلبات مكتوبة مما لا يقل عن نصف أعضـاء وكالة الأنبـاء الاسلامية .

أما المجلس التنفيذى فيتـكون من سبعة أعضـاء تنتخب الجمعية ستة منهم ، على أن يكون العضو السابع الأمين العـام للمؤتمر الاسلامى بحكم منصـبه أو من يمثله ، وعلى المجلس التنفيذى اختيار رئيس له .

وتستمر عضوية الأعضاء المنتخبين فى المجلس التنفيذى لفترة سنتين على الأقل على أن يعاد انتخاب ثلاثة من الأعضـاء لفترة أخـرى . وتتخذ قـرارات المجلس التنفيـذى بتصويت الأغلبية المطلقة .

وقد عقـدت الجمعية العامة أول اجتمـاع لها في مدينـة كوالالمبور بماليزيا في يومى ١٦ و ١٧ أغسطس سنة ١٩٧٢ . وفي هذا الاجتماع أصدرت الجمعية العامة الهيكل التنظيمى للوكالة وميزانياتها وخططها الفنية .

وتحددت أهداف الوكالة فيما يلى :

أ ـ دعم وحماية التراث الثقافي الاسلامى الضخم .

ب ـ توثيق العلاقات بين الدول الأعضاء ٠

ج ـ تنمية الاتصالات العلمية والتعاون الفنى بين وكالات الدول الأعضاء ٠

د ـ العمل في سبيل توحيد أهداف العـالم الاسلامى ٠

هـ ـ العمل على خلق وعى أكبر بين الشعوب الاسـلامية لـما تواجهه من مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية ٠

و ـ العمل على اقامة وكالة أنباء اسلامية دولية قائمة بذاتها ولها مراكزها الاقليمية الخاصة بها ٠

كما تحددت اختصاصات وكالة الانباء الاسلامية (اينـا) على النحو التالى :

أ ـ تسهيل تبادل المعلومات والأخبار والصور ٠

ب ـ جمع وتوزيع المعلومات ذات الأهمية بالنسبة للعالم الاسلامى ٠

ج ـ تسهيل عملية تبادل المراسلين الصحفيين ٠

مراحل تطوير الوكالة :

وجاء في بيان الجمعية العامة آنفة الذكر في اجتماعها بمدينة كوالالمبور أن وكالة الأنباء الاسلامية قد أسست بادىء ذى بدء كاتحـاد يضم وكالات أنباء الدول الأعضـاء أو المؤسسات التى تمارس نشاطها كوكالات أنباء ٠ وقد ورد في نص بيان الجمعية العامة أن (اينا) ليست وكالة أنباء دولية بكل ما تحمله العبارة من معنى رغم أن أحد أهدافها هو العمل على ايجاد وكـالة أنباء

عالمية قائمة بذاتها . لذلك يصبح من الضرورى أن تبدأ (اينا) أعمالها كهيئة تنسيق بالنسبة لمختلف وكالات الأنباء الوطنية وأن تمضي قدما الى أن تحتل مكانها بين وكالات الأنباء العالمية. ووفقا لطبيعة دستورها تعتبر (اينا) هيئة اعتبارية مستقلة في حد ذاتها ، وهى مرتبطة بالمؤتمر الاسلامى بحكم نصوص ميثاقة ويحضر الأمين العام للمؤتمر الاسلامى جلسات المجلس التنفيذى للوكالة بحكم منصبه .

وقد وضعت الجمعية العامة تخطيطا لتطوير الوكالةلتصبح عالمية ذات كيان قائم بذاته . فهى تبدأ بتخطيط نشاطها من عام الى آخر بأسلوب يمكنها من السير حثيثا نحو بلوغ هدفها ، ولذلك فان التخطيط يسير على مراحل ، ومن البداية حتى الهدف النهائى ، أى من بداية التعاون المتعدد الأطراف بين وكالات الأنباء الى مرحلة تأسيس (اينا) كوكالة أنباء عالمية ، وهنالك يجب أن يكون التطوير على ثلاث مراحل . على أن تنحصر المرحلة التمهيدية في الاستعدادات لانشاء (اينا) وتتلخص المرحلة الأولى في تحقيق التعاون العام في مجال الخدمات بين الوكالات الأعضاء وبدء برنامج التدريب . أما المرحلة الثانية فهى اقامة الأجهزة الضرورية لوكالة أنباء عالمية .

وحددت بداية المرحلة التمهيدية من شهر أبريل سنة ١٩٧٢ الى شهر أغسطس سنة ١٩٧٢ ، أما المرحلة الأولى فتبدأ من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٢ الى شهر ديسمبر سنة ١٩٧٤ ، كما تبدأ المرحلة الثانية في شهر ديسمبر سنة ١٩٧٤ وتنتهى في شهر ديسمبر سنة ١٩٧٦ .

ومتى توفرت الخبرة الفنية والأموال والموظفون الأكفاء لدى (اينا) أصبح باستطاعتها أن تجارى عملها كوكالة أنباء عالمية .

دراسة لم تكتمل :

غير أن توفير الخبرة الفنية والأموال اللازمة ليس بالأمر السهل الميسور ، وعلى هذه الصخرة تتحطم المشروعات مهما توفر من حسن النية . فقد حددت الجمعية العامة رسم العضوية بمبلغ ثلاثة آلاف دولار أمريكي ، وطلب الى الأمين العام مناشدة الدول الغنية للتبرع بسخاء للوكالة ، وأيد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد في مدينة بنغازى في مارس سنة ١٩٧٣ جميع القرارات المتعلقة بانشاء الوكالة .

ولما كانت الوكالة قد بدأت أعمالها باصدار نشرة أسبوعية من الامانة العامة تعتمد على المعلومات المتلقاة عن طريق البريد من الدول الأعضاء يتم توزيعها على بعض المراكز الصحفية بواسطة البريد أيضا ، فقد وجد أن هذا النشاط المتواضع للغاية لايمكن أن يلبى الاحتياجات المرموقة ، فما كان من المجلس التنفيذى الا أن أصدر قراره في سبتمبر ١٩٧٣ بايقاف هذا النشاط البريدى البطىء الذى لا يمكن أن يحقق الغرض من بذله .

وبعد أن ألغى النظام البريدى ، أخذ المجلس التنفيذى على عاتقه مهمة دراسة اقامة نظام سلكى ولا سلكى قادر على ارسال واستقبال الأخبار على مستوى دولى ، وأعد مشروعا قدمه الى مؤتمر القمة الاسلامى المنعقد في لاهور سنة ١٩٧٤ بتكلفة قدرها ٥ر٢ مليون دولار . وبعد أن وافق مؤتمر القمة على المشروع من حيث مبدأ تمويل الوكالة ، واعتمد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد في كوالالمبور في يونيو سنة ١٩٧٤ المبلغ المطلوب ـ وهو ٥ر٢ مليون دولار ـ لتمويل الخطوات الضرورية لاقامة الوكالة ، اتضح أن هذا المبلغ متواضع جدا

ولا يمكن أن يفى بالغرض المطلوب ، وكان لابد أن يقرر المجلس التنفيذى مرة أخرى الغـاء المشروع وذلك في نوفمبر سـنة ١٩٧٤ .

المشروع المستقل وميزانيته اللازمة :

وكان لابد أن تعهـد الوكالة الى خبـراء استشاريين متخصصين بدراسة كيفية توفير اجهزة الاتصـالات اللازمة ، وتقدير الميزانية تقديرا دقيقا . وبالفعل اختـارت الوكـالة مؤسسة استشارية أعدت تقريرا شاملا اتضح منه أن تكلفة المشروع هى حوالى ٣٠ مليون دولار ويشمل الرقم المـذكور نصب أجهزة الارسـال والالتقاط في أبنية مناسبة ، وانشاء مركز قيادى رئيسي للوكـالة .

كما تضمن المشروع كذلك نصب سبع مرسـلات بموجات عالية وأجهزة التقاط اذاعية ، ونفقـات صيانتها لمـدة عـام واحد ، وتستطيع الوكالة بهذه الأجهزة أن تبث أخبارهـا من أندونيسـيا الى المغـرب وبعض منـاطق من أوربـا وآسـيا وأفريقيـا .

وقد عرض تقرير نشاط الوكالة ومقترحاتها على مؤتمـر وزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد في طرابلس بليبيـا في مايو سنة ١٩٧٧ ،فأقر المؤتمر ضرورة وضع ميزانية كافية تحت تصرف الوكالة لتنفيذ مشروعها الرئيسي في غضون خمسـة أشهر .

واعربت المملكة العربية السعودية في هـذا المؤتمـر عن استعدادها لتقديم مليونى دولار ، كما تعهدت ليبيا بتقـديم مليون دولار والعراق مائة ألف دولار .

وكان المؤمل أن تتوفر الميزانية اللازمة للوكالة لتبادر الى توقيع عقد تنفيذ المشروع قبل نهاية سنة ١٩٧٧ ، لكن المؤسف أن الوكالة لم تحصل لا على الميزانية التى اقترحها مؤتمر طرابلس ولا على غيرها .

فلم يسع الوكالة الا أن تطلب من أصحاب العطاءات تمديد فترة المقترحات الى ٩٠ يوما أخرى ، بأمل الحصول على الاعتمادات ، واتضح في النهاية أن الاعتمادات المطلوبة لن تتوفر للوكالة على المدى القريب وما كان بالوسع مطالبة أصحاب العطاءات بتمديد فترة اقتراحاتهم الى زمن غير محدد ، لذلك طلب من الهيئة الاستشارية ابلاغ اصحاب العطاءات بتأجيل تنفيذ المشروع .

وكان من الواضح أنه من الصعوبة بمكان والحالة هذه توفير ما يعادل ٣٠ مليون دولار في فترة زمنية قصيرة ، وأنه يترتب على الوكالة أن تطيل انتظارها ، اذا كانت تأمل تجميع هذا الاعتماد ، علما بأن تكاليف المشروع تتضاعف بمرور الزمن .

المشروع المؤقت :

وعندما أخفقت الوكالة في الحصول على الميزانية اللازمة لتنفيذ المشروع الذى يستهدف اقامة أجهزة مستقلة ، كان لابد من الالتجاء الى حل مؤقت بغية الاستمرار في العمل . وقد وجد أن استئجار أحد خطوط الاتصالات الدولية ليس بفكرة سديدة ، لأنه لايبدل شيئا من الوضع القائم ، ولأنه لايمكن الاعتماد على نظام الاتصالات الغربية في مبادلة أنباء الاقطار الاسلامية .

أما الحل العملى الآخر فهو استئجار قناة توزيع من احدى الشركات الدولية تكون خاضعة للوكالة لارسال الأنباء ليلا ونهارا ، مع العلم بأن الهدف الرئيسي وهو امتلاك نظام اتصال مستقل للوكالة يجب أن يظل هدفا ثابتا لا يقبل التغيير لأن أى وكالة أنباء دولية بمعنى الكلمة لابد أن تكون لها سيطرة كاملة على جميع اجهزة اتصالاتها .

وعلى أية حال ، فانه قد بدأت الاتصالات والمحادثات التمهيدية مع الشركة الايطالية ITALCABLE (ايطالكابل) التى لها نشاطات واسعة في مجال أجهزة الاتصال الدولية ، وقد تبين أنه من الممكن وضع جهاز له طاقة كبيرة تحت تصرف الوكالة الاسلامية لالتقاط أنباء جميع الأقطار الاسلامية وارسال هذه الأنباء الى جميع مناطق العالم الاسلامى ، بحيث تنتخب هذه المناطق على اساس امتلاكها لجهاز الاتصالات الوطنية والداخلية ليتسنى لها نشر الأخبار الواردة اليها من الوكالة الاسلامية داخل منطقتها .

وحيث أن الدول الأعضاء بادرت الى تعاون دولى ، فانه من المتوقع أن تبادر كذلك الى توزيع الأخبار الواصلة اليها من (ايطالكابل) ITALCABLE كجزء من نشاط هذه الدول في جهودها أو تعاونها الجماعى . ويتوقع أيضا أن تحترم الدول المؤسسة للوكالة الاسلامية قرارها السياسى وتعطى أهمية تفضيل للأنباء الواصلة اليها من المنظمة .

وقد أصدر مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الثامن الذى عقد في داكار بالسنغال في الفترة من ٢٤ الى ٢٨ أبريل سنة ١٩٧٨ قرارا حول الوكالة تضمن موافقة المؤتمر على أن اقامة نظام الاتصال اللاسلكى الخاص للوكالة يجب أن يبقى

هدفا نهائيا للوكالة لمساعدتها على الاضطلاع بواجباتها دون الاعتماد على مصادر لاتتفق ودورها ، لكنه في نفس الوقت أيد المشروع البديل الخاص باستئجار الوسائل والتجهيزات السلكية من مصادرها الحالية كاجراء مؤقت حتى تباشر الوكالة أعمالها .

كما دعا المؤتمر الأمانة العامة الى تحديد المبالغ المطلوب من الدول الأعضاء دفعها لصندوق المشروع العام للاتصالات السلكية واللاسلكية الخاص بالوكالة ، وأهاب بالدول الأعضاء أن تسدد اشتراكاتها السنوية في الوكالة بانتظام .

واستنادا الى موافقة مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية وقع رئيس المجلس التنفيذى للوكالة في مدينة الرياض يوم ١٣ يناير سنة ١٩٧٩ عقدا لتوزيع وتجميع النشرة التى تصدرها الوكالة . وقد تعهد الجانب الايطالى في العقد المبرم بينه وبين الوكالة في ١٧ فبراير سنة ١٩٧٩ بتزويد الوكالة بمرسلات لبث أنباء الوكالة للدول الاسلامية بالشرق الأوسط والأدنى وأفريقيا وآسيا الى جانب بعض الدول الأوروبية ، كما يقوم الجانب الايطالى بتقديم الامكانات اللازمة لاقامة محطةاستقبال بالمقر الرئيسي للوكالة بجدة الذى يتصل بروما بواسطة دوائر القمر الصناعى ، وبذلك تتمكن الوكالة من جمع الأنباء من الدول الأعضاء ومراكز الأنباء الدولية واعادة بثها بالسرعة اللازمة .

محاولات تغطية العجز في الميزانية :

ومما لاشك فيه أن العقبة المالية تعتبر من أكبر العقبات في سبيل اقامة وكالة الأنباء الاسلامية الدولية . وقد وضعت

الجمعية العمومية في اعتبارها أن رسم الاشتراك السنوى ومقداره ثلاثة آلاف دولار لكل دولة لايكفى وأنه لابد من مصادر أخرى مثل التبرعات والمنح والهبات . ولكن هل تحققت آمال المسئولين عن الوكالة ؟ .

الواقع أنه في عام ١٩٧٣ سددت ست دول فقط اشتراكاتها وفي سنة ١٩٧٤ لم يسدد من الدول اشتراكات سوى خمس عشرة دولة فقط ، وفي سنة ١٩٧٥ بلغ عدد الدول المسددة لاشتراكاتها ثلاث عشرة دولة . فليس غريبا أن تظهر الميزانية التقديرية المقدمة للجمعية العمومية الثانية بجدة سنة ١٩٧٤ عجزا لايقل عن ٣٥٠ ألف دولار في العام ــ وهذا على افتراض مثالى هو أن جميع الدول الأربعين يمكن أن تسدد اشتراكاتها وأن الامانة الاسلامية سوف تتمكن من الوفاء بكامل التزاماتها .

ولتغطية العجز في ميزانية الوكالة ، وجه المؤتمر السادس لوزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد في جدة ، دعوة لكل الدول الأعضاء للتبرع بالمصاريف الرأسمالية والجاريةللوكالة في مراحلها الأولى ، حيث أعلنت المملكة العربية السعودية عن تبرع سنوى قدره خمسة وسبعون ألف دولار ، كما أعلنت الامارات العربية المتحدة تبرعا سنويا قدره خمسة وعشرون ألف دولار ، مما مكن الوكالة من تغطية ٣١٪ من ميزانيتها .

واستجابة لنداء آخر من مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية تلقت الوكالة التبرعات التالية :

مليون دولار ــ من المملكة العربية السعودية .

مليون دولار — من الامارات العربية المتحدة .
نصف مليون دولار — من الكويت .
نصف مليون دولار — من قطر .
مائة ألف دولار — من ايران .
خمسون ألف دولار — من سلطنة عمان .

والتزمت الامارات العربية المتحدة بدفع نصف مليون دولار أخرى ، كما التزمت ليبيا بدفع ٦٢٥٠٠٠ دولار وأعلنت السودان عن تبرع سنوى مقداره مائة ألف دولار .

وقد بلغ مجموع الاشتراكات التى تم تسديدها خلال سنة ١٩٧٧ وتضمنت بعض المتأخرات ٥١٠٠٠٠ دولار أمريكى ، وهو أكبر مبلغ تم دفعه للوكالة في سنة واحدة، أما جملة الاشتراكات المحصلة سنة ١٩٧٦ فقد بلغت ٢٤٠٠٠٠ دولار فقط .

وأشارت احدى الدراسات عن الوكالة الى أن عدد الدول الأعضاء التى دفعت اشتراكاتها السنوية لم يتجاوز في أى سنة من السنوات خمس عشرة دولة من أعضائها البالغ عددها وقت اعداد الدراسة ٤٠ دولة .

بعض الحلول المقترحة

وقد عرضت عدة حلول للتغلب على العقبة المالية . من هذه الحلول مثلا أن تدفع الدول الأعضاء أقساطا متساوية ولكن هذا الحل غير عملى لأنه لم يثبت عمليا حتى في تمويل الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامى . وثمة حل آخر يجعل مسئولية التمويل على عاتق بضع دول غنية تقوم بتقديم المبلغ الكلى

للمشروع والمصروفات الجارية لسنوات قليلة ، تقـوم بعدها سائر الدول بسداد مساهماتها المـادية والعملية بعد أن تكون الوكالة قد أقامت أجهزتها الفنية للاتصال السلكى واللاسلكى .

وثمة حل ثالث يقضي بالحصول على قرض طويل الأجل لمدة حوالى ثلاثين سنة مثلا لتطوير نظام الاتصالات في الوكالة ، ويمكن أن تقـدم (اينا) معداتها والأصول الأخرى كضـمان للبنك ، ثم يمكن سـداد القرض على أقسـاط من حصـيلة الاشتراكات في الوكالة بعد أن تكون قد بدأت في توزيع نشراتها وتقديم خدماتها ، والوقوف على أقدامها .

أما الحل الرابع فهو قائم على أساس منح ثقل للأعضـاء في التصويت بموجب المبلغ الذى يدفعه كل عضو ، وهى طريقة متبعة في نظام هيئة (الكومسات) الدولية التى تقوم بتشغيل القمر الصناعى الأمريكى الدولى . فصوت العضو يتناسب مع مساهمته المـالية في رأس المـال . كما أن هذا النظام مستخدم في كثير من المنظمات الدولية الأخرى .

أما الحل الخامس وهو الحل العملى الذى أخذ به أخيرا فهو استعمال التسهيلات الحالية لوكالة الأنباء السعودية ، وقد صدرت موافقة نائب رئيس مجلس الوزراء في المملكة العربيـة السعودية على اعطاء وكالة الأنباء الاسلامية الدولية حيزا من خدمات وكالة الأنباء السعودية ، وجاء في نص الموافقة أنهـا اتخذت لتكون حافزا للدول الاسلامية الأعضاء لتبـادر الى تسديد التزاماتها المادية ومساعدتها .

وقـد أعلنت وكالة الأنباء السـعودية عن اسـتعدادها لتخصيص ثلاث ساعات يوميا لتوزيع نشرات وكالة الأنبـاء

الاسلامية الدولية على وسائل الاعلام في داخل المملكة ـ بشرط أن تقوم الوكالة الاسلامية بارسال نشراتها الى الرياض بواسطة التلكس وباللغة العربية .

أما التوزيع الخارجى فيتم عن طريق استئجار ساعات ارسال مستقلة لتوزيع خدماتها الأخبارية في حدود مائتين وخمسين ألف دولار سنويا على وجه التقريب ، حيث أن ساعات ارسال وكالة الأنباء السعودية تحكمها اتفاقيات ينبغى الالتزام بها(١) .

وهكذا يظل العائق المالى قائما في سبيل اقامة شبكة مستقلة سلكية ولاسلكية لوكالة الأنباء الاسلامية الدولية ، مما جعل الوكالة تسلك سبيل استئجار قناة توزيع من احدى الشركات الدولية .

وماذا وراء العائق المالى ؟

ولكن يبقى السؤال الملح الذى يطرح نفسه : هل حقيقة يتعذر على الدول الاسلامية توفير التمويل اللازم لوكالة الأنباء الاسلامية الدولية ؟ أم أن الأمر يتجاوز ذلك الى الواقع الأليم وهو تنازع الأقاليم الاسلامية وانقسامها وتفرق صفوفها وضعف التضامن فيما بينها ؟ لا شك أن هذا التنازع الذى بلغ حد الاقتتال ليس من الاسلام في شيء . وقد بين الله عز وجل للأمة الاسلامية أن عقبى النزاع والخلاف والانقسام قاتلة وذلك في قوله تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »(١) .

---

(١) سيد محمد ساداتى احمد الشنقيطى: وكالة الأنباء الاسلامية الدولية في الميزان ـ اطروحة مخطوطة .

(٢) الأنفال : ٤٦

فالنزاع والخلاف واتباع الأهواء والتشرذم السياسي والعقائدى الى اليمين والى اليسار والى الوسط لن يورث الا المذلة والفشل، وقد جنت الأمة الاسلامية من وراء ذلك المر والحنظل، كما ـ ينبه الله تعالى أن افتراق الأمة وتمزقها شيعا متناحرة انما هو كارثة اجتماعية مدمرة لا تقل فى خطورتها عن خطورة الكوارث الكونية، وذلك في قوله تعالى : « قل هو القادر أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض »(١) وقد تجلى للجميع العاقبة الوخيمة لاقتتال المسلمين .

ان افتراق الأمة شيعا واحزابا سياسية تابعة للدول الأجنبية هو السبب الحقيقى وراء تخلف المسلمين ، وليست ظاهرة العجز عن انشاء وكالة الأنباء الاسلامية سوى مظهر واحد من مظاهر الفرقة والانقسام ، فكيف يتسنى مثلا الاتفاق الاعلامى على صياغة خبر من الأخبار يتناول أوضاع المسلمين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وهم على ما هم عليه من التنابذ والتنافر والاقتتال ؟ ناهيك عن موقف المعلقين والكتاب والمحللين .

ان واقع المسلمين بحاجة الى اعادة نظر شاملة يشترك فيها المسلمون جميعا بقادتهم وزعمائهم ورؤسائهم وأهل الحل والعقد فيهم لأن التشخيص الصحيح للمشكلة الاسلامية لا ينحصر فى أن المسلمين ضعفاء ، وانما فى أنهم لا يعرفون كم هم أقوياء .

---

(١) الأنعام : ٦٥

انهم أقوياء بدينهم وبكثرتهم العددية وبثرواتهم الطبيعية وبمواقع بلادهم الاستراتيجية ٠

ان المسلمين بحاجة الى التضامن وتنظيم الصفوف والتخطيط العلمى المنظم في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاعلام وفى شئون الدفاع ٠ فمن المؤلم أن تنجح كافة التكتلات العالمية كالدول الغربية والدول الشيوعية والدول الأسيوية والدول الأفريقية ودول عدم الانحياز في انشاء أجهزة الاعلام الخاصة بها ، في حين يخفق المسلمون في اقامة وكالة أنباء جديرة بهم ٠

وحتى التكتلات فى البلد الواحد بدأت تدرك أهمية انشاء وكالة أنباء خاصة بها ، كما يتضح من انشاء وكالة الأنباء الكتائبيه فى لبنان ، وكذلك فعل الأتراك المسلمون فى قبرص فما بال العالم الاسلامى بأسره يتعثر فى انشاء وكالته الدولية٠

ان الأمة الاسلامية غنية والحمد لله برجالها وكفاءاتها الفنية والعلمية ، وطاقاتها المقتدرة بحيث تستطيع اقامة وكالة الأنباء الاسلامية الدولية اللائقة بها ، والتى تقدم خدماتها على أوسع نطاق وتبث اخبارها باللغات العالمية الحية ، لنقل الحقائق دون تشويه أو قصد مبيت ٠

وقد آن الأوان لكى تتضامن الامة الاسلامية لجمع ما تشتت من شملها ، واعادة ماتهدم من بنيانها ورأب ماتصدع من أركانها فهى أمة لن تموت ما وفت للرسالة وحملت الأمانة وعملت بالأمر الالهى بالوحدة والتضامن والتزام الجماعة والاعتصام بحبل الله والاستمساك بالعروة الوثقى ٠

المراجـــع

أولا ــ المراجع العربية

د· ابراهيم امام

تطور الصحافة الانجليزية فى القرنين الســابع عشر والثامن عشر ·
(القاهرة) ١٩٥٦

دراسات فى الفن الصحفى ·
(القاهرة) ١٩٧٢

د· ابراهيم عبده

الصحافة فى الولايات المتحدة ·
(القاهرة) ١٩٦١

دراسات فى الصحافة الأوروبية ــ تاريخ وفن ·
(القاهرة) ١٩٥١

د· حسنين عبد القادر — الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة ·
(القاهرة) ١٩٥٧

خالد محمد خالد — أزمة الحرية فى عالمنا ·
(القاهرة) ١٩٦٤

د· خليل صابات — الصحافة رسالة واسنعداد وفن وعلم ·
(القاهرة) ١٩٦٧

عبد الحميد متولى — أزمة الأنظمة الديمقراطية ·
(القاهرة) ١٩٦٤

د· عبد اللطيف حمزه

الاعلام له تاريخه ومذاهبه ·
(القاهرة) ١٩٦٣

الصحافـة والمجتمـع ·
(القاهرة) ١٩٦٣

د. عبد اللطيف حمزه — أزمة الضمير الصحفى .
(القاهرة) ١٩٦٠
الاعـــلام والدعاية .
(بغداد) ١٩٦٨
عبد الله اسماعيل البستانى — حرية الصحافة ـ دراسة مقارنة .
(القاهرة) ١٩٦٠
محمـــد عصفور — أزمة الحريات فى المعسكرين الشرقى والغربى .
(القاهرة) ١٩٦١
محمد مفيد الشوباشى — الأدب الثورى عبر التاريخ .
(القاهرة) ١٩٧٠
د. محمد نجيب أبو الليل — تاريخ الصحافة فى أوروبا وأمريكا .
الطبعة الأولى
نعـيم عطيــه — فى النظرية العامة للحريات الفردية .
(القاهرة) ١٩٦٥

* * *

ثانيا ـ مراجع مترجمة

أرزومانيان ـ ترجمة وصفى أمينى ـ أزمة الرأسمالية العالمية .
(موسكو) ١٩٦٥
ألبرت كان ـ ترجمة مفيد بعلبكى ـ مصرع الديمقراطية فى العالم الجديد .
(بيروت) ١٩٥٥
ايفار سبكتور ـ ترجمة صالح الشبكشى ـ خطر العقل الروسى .
(بدون تاريخ)
ايزاك دويتشر ـ ترجمة محمد خليل مصطفى ـ الصراع بين روسيا والغرب .
(كتب سياسية)
توماس بيرى ـ ترجمة مروان الجابرى ـ الصحافة اليوم .
(بيروت) ١٩٦٤
فيل أولف ـ ترجمة أحمد قاسم جودة ـ وراء الأخبار ليلا ونهارا .
(القاهرة) ١٩٦٥

ثالثا ـ المراجع الأجنبية

Andrews A History of British Journalism (London) 1859.

Berry. T. E., Journalism Today (Appleten - Century) 1958.

Bird. G. L. and Frederic E. Merwin, The Press and Society (Prentice - Hall) 1951.

Bleyer W. G., Main Currents in The History of American Journalism (Houghton Mifflin), 1927.

Bond, E. F., An Introduction to Journalism (Memillan), 1954.

Brucker., Freedom of Information (Memillan), 1951.

Burns, A. R., The Decline of Competition - A Study of The Evolution of American Industry (Mcgraw - Hill) 1936.

Clark. W. C. Journalism Tomorow (Craftsmen) 1958.

Ford, E. H. and E. Emery, Highlights In The History of The American Press (Minnesota) 1954.

Galbraith. J. K.. American Capitalism. The Concept of Countervailing Power (Houghton Mifflin) 1952.

Gerald, J. E., The Social Responsibility of The Press (Minnesota) 1963.

Herd. H., The March of Journalism (Allen & Unwin) 1952.

Krieghbaum, H., Facts in Prerspective (Prentice-Hall), 1956.

McCabe, C. R., Damned Old Crank. A Self-Portrait of E. W. Scripps (Harper), 1951.

MacDougall, C., Newsroom Problems and Policies. (Macmillan) 1941.

MacNeil, N., Without Fear or Favor (Harcourt), 1940.

Mott, F. L., American Journalism (Mcmillan), 1950.

Mott, E. L., The News in America (Harvard), 1952.

Pollard, J. E., Principles of Newspaper Management. (Megraw-fill), 1937.

Rucker, E. W. and H. L. Williams, Newspaper Organization and Management (Iowa), 1955.

Salmon, L. M., The Newspaper and Authority. (O. U. P.), 1923.

Scoble, H. M., Press and Politics (Bocton), 1957.

Seldes, G., Lords of the Press. (Bobbs - Merrill), 1935.

Siebert, F. S., The Rights and Priveleges of the Press (Appleton Century), 1931.

Stewart, K. and J. Tebbel, Makers of Modern Journalism. (Prentice - Hall), 1952.

Storey, G., Reuter's Century. (Max Parrish), 1951.

Thayer, F., Newspaper Business Management. (Prentice - Hall), 1954.

Whitney, S. N., Antitrust Policies (Century Fund) 1958.

Wiggins, J. R., Freedom or Secrecy (Oxford), 1956.

Williams, F., Dangerous Estate, The Anatomy of Newspapers. Longmans), 1957.

Wolseley R. E., & L. R. Campbell, Exploring Journalism. (Prentice - Hall), 1957.

Wolseley, R. E., The Magazine World. (Prentice - Hall), 1955.

Woods, A., Modern Newspaper Production. (Harper) 1963.

Wright, D. M., Capitalism. (Chicago), 1951.

World Communication. Prepared by the Department of Mass Communications, U N E S C O.

فهــرس الكتاب


٧٢/٢٦٦٢

تطلب جميع منشوراتنا من
مؤسسة
دار الكتاب الحديث
للطبع والنشر والتوزيع
الكويت شارع فهد السالم عمارة السوق الكبير
بجوار المخازن الكبرى محل رقم ٢٥٠ ارضى
ت : ٤٣٦٧٦٥ ص ٠ ب ٢٢٧٥٤